لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القراء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعاج

المجلد الثاني

دار اللباب

لباب التفاسير

(٢)

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

9 789933 930271

دار اللُّبَاب

للدِّراسَاتِ وتَحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنيّةٌ.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشَّيخُ الإمامُ برهانُ الدِّينِ تاجُ القرّاءِ أبو القاسمِ محمود بن حمزة بن نصرٍ نوَّر الله قبره: حدَّثنا الشَّيخ الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل قال: نا عليُّ بن أحمد الواحديُّ في كتاب «أسباب النُّزول» أنَّه قدمَ وفدُ نجرانَ ـ وكانوا ستِّين راكبًا ـ على رسولِ اللهِ ﷺ، وفيهم أربعةَ عشرَ رجلًا من أشرافِهم، وفي الأربعة عشر ثلاثةُ نفرٍ إليهم يَؤولُ أمرُهم:

العاقبُ: أميرُ القومِ وصاحبُ مشورتِهم[1] لا يصدرونَ إلّا عن رأيه، واسمُه عبدُ المسيح.

والسَّيِّدُ: عالمُهم وصاحبُ رحلِهم، واسمُه الأيهمُ.

وأبو حارثةَ بنُ علقمةَ: أسقُفُهم وحَبرُهم وإمامُهم وصاحبُ مدراسِهم، وكان قد شَرُفَ فيهم، ودرَسَ كتبَهم حتى حسُنَ عملُه في دينِهم، وكانت ملوكُ الرُّوم قد شرَّفوه وموَّلوه، وبنوا له الكنائسَ لعلمِه واجتهادِه.

فقدموا على رسول الله ﷺ، ودخلوا مسجدَه حين صلَّى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَراتِ؛ جُبَبٌ وأرديةٌ في جَمال رجالِ بَلْحارثِ بن كعبٍ ـ يقول بعضُ مَن رآهم مِن

(١) في (ن): «مشورتهم الذين».

أصحابِ رسول الله ﷺ: ما رأينا وفدًا مثلَهم ـ وقد حانَت صلاتُهم، فقاموا فصلَّوا في مسجد رسول الله عليه السَّلام، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»[١]، فصلَّوا إلى المشرق، فكلَّمَ السَّيِّدُ والعاقبُ رسولَ الله عليه السَّلام، فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «أسلِما» فقالا: قد أسلَمْنا قبلَك، قال: «كذبْتُما، يمنعكُما من الإسلامِ دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتُكما الصَّليبَ، وأكلُكم الخنزير» قالا: إن لم يكن عيسى ولدًا لله فمَن أبوه؟! وخاصموه جميعًا في عيسى، فقال لهم[٢] النَّبيُّ عليه السَّلام: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّه لا يكونُ ولدٌ إلّا وهو يشبهُ أباه؟» قالوا: بلى، قال: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّ ربَّنا حيٌّ لا يموتُ، وأنَّ عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّ ربَّنا قيِّمٌ على كلِّ شيءٍ يحفظُه ويرزقُه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملكُ عيسى من ذلك شيئًا؟!» قالوا: لا، قال: «ألسْتُم تعلمون أنَّ ربَّنا صوَّرَ[٣] عيسى في الرَّحمِ كيف شاء، وربُّنا لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يُحدثُ؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنَّ عيسى حملَتْه أمُّه كما تحملُ المرأةُ، ثم وضعَتْه كما تضعُ المرأةُ ولدَها، ثم غُذِيَ كما يُغذَّى الصَّبيُّ، ثم كانَ يَطعمُ ويَشربُ ويُحدثُ» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكونُ هذا إلهًا كما زعمتُم؟» فسكتوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم صَدْرَ سورةِ آلِ عمرانَ إلى بضعٍ وثمانينَ آيةً[٤].

* * *

---

(١) «فقال رسول الله دعوهم» من (ن).

(٢) «لهم» من (ن).

(٣) في (ن): «فإن ربنا صور».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٧، ٩٨)، والخبر روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧١، ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٠٩)، عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧) عن الربيع.

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبقَ الكلام في الحروفِ أوّلَ (البقرة).

وحُرِّكَت الميمُ هاهنا[١] بالفتحِ لالتقاءِ السّاكنين؛ الميمِ واللّام[٢]. وقيل: نُقِلَ حركةُ الهمزةِ إلى الميم، وهو بعيدٌ[٣].

﴿ٱلۡحَيُّ﴾: هو الذي يصحُّ منه الإدراكُ. وقيل: الذي يصحُّ منه الفعلُ.

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ مجاهدٌ والرَّبيعُ: القائمُ بتدبيرِ عبادِه[٤].

محمَّدُ بنُ جعفرٍ: الدّائمُ البقاء[٥].

وزنُه (فَيْعُول) مِن (قامَ).

* * *

(٣) ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا محمَّد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآنَ.

والتَّنزيلُ والإنزالُ واحدٌ، وقيل: التَّنزيلُ ما يكونُ مُفصَّلًا، والإنزالُ عامٌّ[٦].

---

(١) «هاهنا» من (ن).

(٢) هذا رأي سيبويه. انظر: «الكتاب» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) هذا رأي الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩)، وقد أطنب أبو حيّان بذكر الخلاف والاستشهاد له في «البحر المحيط» (٣/ ١٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٧، ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦).

(٥) لم أقف على هذا اللفظ عن محمَّد بن جعفر، وهو تفسير الزَّجّاج للحيِّ، وقد روى الطبري عن محمد بن جعفر قوله: «القيوم: القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦).

(٦) في (ن): «العام». انظر: «معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٢١٦)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦١) =

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: بالعدلِ[(١)].

محمَّد بن جريرٍ: بالصِّدقِ فيما اختُلفَ فيه[(٢)].

والباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ إثباتِ الحقِّ، ويَحتمِلُ الحالَ؛ أي: محقًّا، تقولُ: خرجَ بسلاحِه؛ أي: مُتسلِّحًا[(٣)].

﴿مُصَدِّقًا﴾: يخبرُ بصدقِ الأنبياء.

قتادةُ ومجاهدٌ: ﴿مُصَدِّقًا﴾ للكتبِ التي تقدَّمَت[(٤)].

أبو مُسلمٍ: تصديقُه لها أنَّها أخبرَت بمجيئِه، ووقوعُ الـمُخبَرِ به يجعلُ المخبِرَ صادقًا[(٥)].

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يُقالُ لِما يُرَى ويُمكنُ التَّصرُّفُ فيه: هو بين يديه، وكذلك يُستعمَلُ للشَّيءِ إذا كان قدّامَ شيءٍ غيرَ بعيدٍ منه.

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: كتابَ موسى عليه السَّلام.

= و(٣/ ٧٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٧٩).

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٣٥)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٦٧) بلا نسبة.

(٢) هذا اختيار الطبري، وقد روى نحوه عن محمد بن جعفر بن الزبير. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٨٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٨٠، ١٨١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٥)، وذكر الرازي عن أبي مسلم وجوهاً أخرى محتملة في «التفسير الكبير» (٧/ ١٣٠ ـ ١٣١).

واشتقاقُها من (وَرِيَ الزَّنْدُ)؛ إذا ظهرَتِ النّارُ منها[١]، وقيل: من (التَّورية)؛ لأنَّ فيها كناياتٍ كثيرةً[٢].

ووزنُها عند البصريِّين: (فَوْعَلَة) كـ(حَوْقَلَة)، قُلِبَت الواوُ تاءً كـ: تُخمةٍ، وتراثٍ[٣].

وعندَ الكوفيِّين: (تَفْعِلة) بالكسر، قُلِبَت كسرتُه فتحةً[٤]، كـ(جاراةٍ) في (جارية)[٥]، و(ناصاةٍ) في (ناصية)[٦].

وقيل: (تَفعَلة) بالفتح[٧].

﴿و﴾ أنزلَ[٨] ﴿الإنجيل﴾: كتابَ عيسى عليه السَّلام.

واشتقاقُه من (النَّجْل) أو (النَّجَل)[٩]؛ لأنَّه منبعُ علومٍ، ومُتَّسَعُ علومٍ، ووزنُه: (إفعيل)[١٠].

---

(١) هذا رأي الفراء. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٦١٤).

(٢) هذا رأي مؤرج، وقد ذكره المصنِّف، واستغربه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٥٢)، و«سر صناعة الإعراب» له أيضاً (١/ ١٥٥).

(٤) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٧٢)، و«غريب القرآن» للسجستاني (ص: ١٣٦).

(٥) في (و): «الجارية».

(٦) وهي لغة طيء أو بني عقيل. انظر: «الجراثيم» لابن قتيبة (٢/ ٣٠٩)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ١٤٠).

(٧) ذكره أبو علي احتمالًا مع الوجهين السابقين. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ١٣).

(٨) «أنزل»: ليس في (ن).

(٩) النجْل: الولد، والنجَل: سعة العين، وقد سقط «النجَل» في (و).

(١٠) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٦)، و«التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٦١٧)، و«معاني =

والأصحُّ عند النُّحاةِ أن لا يُوزَنا؛ لأنَّهما أعجميان[١].

* * *

(٤) ـ ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: بيانٌ ودلالةٌ.

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: الفرقَ بينَ الحقِّ والباطل.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآنُ، وكرَّرَ اختصاصًا له وتشريفًا.

وقيل: تقديرُه: وأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ وأنزلَ الفرقانَ هدًى للنّاس، فيكونُ (الهدى) راجعًا إلى الكلِّ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، فيكونُ (الهدى) للقرآنِ[٢] فحسبُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: هم وفدُ نجرانَ[٣].

= القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٠)، و«عمدة الكتاب» للنحاس (ص: ١٢٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٣٩٦).

(١) اشتهر هذا القول عن الزمخشري، وقد صححه أبو حيان والسمين الحلبي بعد نسبته للزمخشري، وقد أشار إليه الزجاج والمعري قبل ذلك، ومذهب الإمام الشافعي في اسم (القران) يرجح هذا الرأي، ولم أقف على من صحَّحه تصريحاً قبل المصنِّف. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٠)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢٠١)، و«الكشاف» (١/ ٣٣٥)، و«البحر المحيط» (٣/ ٥ ـ ٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٦).

(٢) في (ن): «للفرقان».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٨).

وقيل: عامٌّ.

والآياتُ: القرآنُ. وقيل: الدّلالاتُ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيعٌ ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾؛ أي: عقوبةٍ، نَقَمَ: أنكرَ، وانتقَمَ: عاقبَ[1].

***

(٥) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: هو[2] سبحانه عالمٌ بهما وبما فيهما؛ لأنَّه خالقٌ جميعَهما.

***

(٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾: يجعلُكم على صورةٍ، والصُّورةُ: الهيئةُ يكونُ عليها الشَّيءُ بالتَّأليف، من (صارَ يَصُورُ)؛ إذا أمالَه[3].

﴿فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الذُّكورةِ والأنوثةِ والسَّوادِ والبياضِ، وجميعِ ما تختلفُ به الصُّورُ، وعيسى عليه السَّلام مُصوَّر، فهو عبدٌ مربوبٌ.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

***

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٤٦٤)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٨٣).

(٢) «هو» من (ن).

(٣) يُقال: صار عنقَه يصوره؛ إذا أماله. انظر: «العين» (٧/ ١٤٩).

(٧) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾: القرآنَ.

﴿مِنۡهُ﴾: من الكتابِ ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: أصلٌ يُعمَلُ به في كلِّ كتابٍ أنزلَه الله.

ولم يَجمَع[(١)]؛ لأنَّ الجميعَ أمٌّ. وقيل: كلُّ واحدةٍ منهنَّ أمٌّ[(٢)].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾؛ أي: وآياتٌ أُخَرُ، و(أُخَرُ) لا تتصرَّفُ للعَدْلِ عن الألف واللّام والصِّفةِ[(٣)].

واختلفَ المفسِّرون في الـمُحكَم والـمُتشابِه؛ فروى عطيّةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ المحكمَ النّاسخُ الذي يُعمَل به، والمتشابهَ المنسوخُ الذي لا يُعمَل به[(٤)].

وإليه ذهب قتادةُ والضَّحّاكُ والسُّدِّيُّ[(٥)].

---

(١) فيقول: هن أمهات الكتاب.

(٢) ولم تُجمع على الحكاية، أو أنها مفرد في اللفظ جمع في المعنى، فالتقدير: كل آية أم. انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٦٤) مادة: (أ م م)، و«غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ٢٤١).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢١٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٢٠) عن الضحاك وقتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٤) من طريق السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورُوي عنه أيضًا: أنَّ المحكمَ ما أمرَ به الله(١) في كلِّ كتابٍ أنزله، نحوُ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١]، ومثلُه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وما سوى المحكمِ متشابهٌ(٢).

وعن محمَّد بن جعفرِ بن الزُّبير(٣): المحكمُ ما لا يَحتمِلُ من التَّأويل إلّا وجهًا واحدًا، والمتشابهُ ما احتملَ وجوهًا(٤).

ابن زيد: المحكمُ الذي لم تتكرَّر ألفاظُه، والمتشابهُ الذي تكَرَّرَتْ ألفاظُه(٥).

وعن مجاهدٍ: المحكمُ ما لا يَشتبِهُ معناه، كقوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]، والمتشابهُ ما اشتبهَت معانيه(٦).

---

(١) في (ن): «ما أمره الله به».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٢).

(٣) «بن الزبير» من (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٧)، ولفظه: «﴿ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ فيهن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وُضعت عليه، وأخر متشابهة في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام؛ لا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق».

(٥) في (و): «لفظه». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٦) ذكر نحوه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٢)، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٩) قوله في المتشابه، وأما قوله في المحكم فروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٦) عنه قوله: «ما فيه =

وعن جابر بن عبد الله: المحكمُ ما يُعلَم تأويلُه، والمتشابهُ ما لا يُعلَمُ تأويلُه، واستأثَرَ الله بعلمِه نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢][1].

الفرّاء: المتشابهُ حروفُ التَّهجِّي في أوائل السُّور، طلبوا أن يعرفوا مدَّةَ بقاءِ أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام منها، واشتبهَت عليهم[2].

قلْتُ: القرآنُ كلُّه مُحكَمٌ، من قوله: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]؛ أي: أُحكِمَت بالنَّظم العجيب والمعنى البديع، وكلُّه متشابهٌ، من قول الله سبحانه: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: يشبهُ بعضُه بعضًا، لا خلافَ فيه ولا تناقضَ[3].

والمرادُ بالمحكمِ هاهنا والله أعلم: ما لا يتطرَّقُ إليه النَّسخُ بوجهٍ ما، من قولهم: أحكمْتُ الشَّيء؛ أي: منعْتَ منه الخللَ، وأصلُه من (المنع).

= من الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدق بعضه بعضًا، وهو مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ومثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]». وروى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) في حديث طويل، وضعَّف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (١/ ٥٧)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (١/ ٢٩٤)، وقال الطبري (٥/ ١٩٩): «وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبهُ بتأويل الآية».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٠).

(٣) هذا الكلام متفق عليه، وهو خارج من نطاق الخلاف، وإنما ساقه المصنِّف لتوضيح المعنى، وتمهيدًا لترجيحه، وقد ذكره قبله: الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٠)، وقد استغرب المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٢).

والمـرادُ بالمتشـابهِ والله أعلـم: مـا اسـتأثرَ اللهُ بعلمِه، كمـا ذهبَ إليـه جابرُ بنُ عبـد الله، وهـو ما دخلَ في شَـبَهِ غيـرِه، ومثلُه (الـمُشْكِلُ)؛ أي(١): دخلَ في شَـكلِ غيرِه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميلٌ عن الحقِّ إلى الباطلِ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ وهو المشكِلُ الذي لم يبيِّنْه اللهُ، فيفسِّرونه على وجهٍ يحتملُه اللَّفظُ ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلبًا لإيقاعِ الشُّكوكِ بينَ المسلمين، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ما يَؤولُ إليه معنى الكلام.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لأنَّه ـ سبحانه ـ استأثرَ بعلمِه، كوقتِ السّاعةِ وإخراجِ الدّابّة.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: الثَّابتونَ فيه، من قولهم: (رسخَ الشَّيءُ)؛ إذا ثبت.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنَّهم مُتعبَّدون بظاهرِه دونَ الكشفِ والبحثِ عنه.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ ذلك، وهو المحكمُ والمتشابهُ ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: وَحْيه وتنزيلِه.

و(كلٌّ) معرفةٌ؛ لدلالتِه على الإضافةِ، ولم يُبْنَ بناءَ (قبلُ) و(بعدُ) و(فوقُ)؛ لأنَّها عندَ الانفرادِ قد تتعرَّفُ وقد تتنكَّرُ، فبُنِيَت عند التَّعريفِ وأُعربَت عند التَّنكير للفَرقِ، و(كلٌّ) في الأحوالِ معرفةٌ(٢).

و﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ استئنافٌ عندَ الجمهور.

وذهبَ مجاهدٌ والرَّبيعُ إلى أنَّه رُفعَ بالعطفِ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٣)، وإليه

---

(١) في (ن): «إذا».

(٢) ذكر المصنف هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣)، وانظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١١٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٢٣٤).

(٣) هذا مفهوم مما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠) عن مجاهد والربيع، وما رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٢) عن مجاهد.

ذهبَ القَتَبي أيضًا في «مشكله»[1]، وجعلوا (يقولون) حالًا من (الرّاسخين)، وهذا بعيدٌ من أوجهٍ ثلاثةٍ:

الأوَّل: لأنَّهم وإنْ زعموا أنّا نعلمُ بعضَ المتشابه، فلا بدَّ لهم من القولِ[2] بالعجزِ عن بعضِه، وهو ما سبق.

والثّاني: ما في بعضِ المصاحفِ، وهوَ: (ويقولُ الرّاسخون)[3]، وهذا قاطعٌ.

والثّالث: أنَّ الحالَ يقتضي أن يكونَ من المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وهذا فاسدٌ لا محالةَ، والله أعلم.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: وما يتَّعظُ، وأصلُه: يتذكَّرُ.

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أصحابُ العقول.

***

(٨) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾؛ أي: لا تُمِلْها عن الحقِّ، من قولِه: ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥].

الزَّجّاج: لا تتعبَّدْنا بما يكونُ سببًا لزيغِ قلوبِنا[4].

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٦٦، ٦٧).

(٢) في (ن): «لهم بالقول».

(٣) نُسبت هذه القراءة لأبي بن كعب رضي الله عنه، كما في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩١)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٢٢٠)، ونُسبت لابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير عبد الرزاق» (٣٧٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٧٩).

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أنلتَنا الهدايةَ.

و﴿إِذْ﴾ واقعٌ موقعَ (أن)، ويجوزُ أن يكونَ ﴿بَعْدَ﴾ زيادةً[1]، ويجوزُ أن يكونَ ﴿بعد﴾ مضافًا إلى ﴿إِذْ﴾؛ أي: بعدَ وقتِ الهدايةِ[2].

﴿وَهَبْ لَنَا﴾: أعطِنا، والهبةُ: العطيّةُ المتبرَّعُ بها.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾: من عندِك.

﴿رَحْمَةً﴾: خيرًا ونعمةً.

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾: المعطي سُؤْلَ العبادِ في الدُّنيا والمعاد.

والآيةُ تَحتمِلُ أن تكونَ عطفًا على قولِ الرَّاسخين، وتَحتمِلُ الاستئنافَ؛ أي: قولوها، وكذلك الآيةُ التي بعدها.

* * *

(٩) ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ الجمهورُ: حاشرُهم وباعثُهم.

﴿لِيَوْمٍ﴾: لأجلِ يومٍ، وهو يومُ القيامة.

ابن عيسى: لجزاءِ يومٍ، فحذفَ المضاف[3].

ويُحتمَلُ: جامعُ النّاسِ في قبورِهم لحشرِ يومٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣)، واستغربه.

(٣) وهو قول الزجاج أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ١٤٢).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ في وقوعِه؛ أي: اليوم، ويُحتمَلُ: لا ريبَ في الجَمْعِ[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يجوزُ أن يكونَ متَّصلًا بالأوَّل على تلوين الخطاب، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا؛ أي: لا يخلفُ ما وعدَ المسلمينَ من الحشرِ والنَّشرِ والثَّوابِ والعقاب.

***

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾: لن[٢] تمنعُ عنهم ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ وإن كثُرت.

ابن عيسى: الغنى حقيقةٌ تنفي الحاجةَ؛ أي: فلا يكون شيءٌ ينفي الحاجةَ إلى الله سبحانه.

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ ذبُّهم وشجاعتُهم[٣].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أبو عبيدة: عند الله[٤].

المبرِّد: ﴿مِّنَ﴾ لابتداءِ الغاية[٥].

﴿شَيْـًٔا﴾ يُحتمَلُ أن يكون مفعولًا، ويُحتمَل أن يكون مصدرًا؛ أي: شيئًا من الإغناء.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: حَطبُها، وقيل: لهبُها.

---

(١) في (و): «الجميع».

(٢) في (و): «لم».

(٣) المراد: لن تغني أموال الكفار ولا ذب أولادهم ودفاعهم عنهم شيئاً.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٨٧)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٥).

(٥) انظر: «المقتضب» للمبرد (١/ ٤٤) و(٤/ ١٣٦).

(١١) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كعادتِهم في تكذيبِ الحقِّ.

وقيل: كعادتِهم في عقوبتِهم على كُفرِهم.

والدَّأبُ: العادةُ.

وقيل: كاجتهادِهم في تكذيبِ الرُّسلِ ونُصرةِ الكُفرِ على الإيمان.

والدَّأبُ: الاجتهادُ والدَّوامُ على العمل.

محمَّد بن جرير: لن تغنيَ عنهم كما لم تُغنِ عن آلِ فرعونَ والذين من قبلهم[١].

وقيل: ﴿هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: يُعذَّبون كما عُذِّبوا، وتتَّقدُ النَّارُ بأجسادِهم[٢] كما تتَّقدُ بأجسادِ آل فرعون.

وقيل: إنَّ الذين كفروا كدأبِ آلِ فرعونَ في الكفر. وهذا لا يجوزُ؛ للإحالةِ بين الصِّلةِ والموصول.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: يجوزُ أن يكونَ حالًا؛ أي[٣]: قد كذَّبوا، ويجوزُ أن يكونَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٣٤). وقد قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٤): «الكاف إذا كان بمعنى (مثل) محكوم عليه بالنصب أو الرفع أو الجر؛ فيجوز أن يكون محله رفعاً بالخبر؛ أي: دأبهم كدأب آل فرعون.

ويجوز أن يكون نصباً بقوله: (لن تغني)؛ أي: لن تغني إغناءً مثل ما لم تغن عن آل فرعون.

ويجوز أن يكون نصباً بما دل عليه (وقود النار)؛ أي: يتوقدون توقداً مثل توقد آل فرعون».

(٢) في (ن): «في أجسادهم».

(٣) «أي» من (ن).

استئنافًا؛ أي: هم كذَّبوا، ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ مبتدأً، و﴿كَذَّبُواْ﴾[١] خبرَه.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾: بسببِ ذُنوبِهم.

ومعنى أخذتَه بكذا: جازيتَه عليه.

والذُّنوبُ: جمعُ الذَّنْب[٢]، وهو الإثمُ، وأصلُ الذَّنْبِ: التُّلُوُّ للشَّيء، يقول: ذَنَبَه يذنبُه ذنبًا؛ إذا تلاه، والذَّنْبُ: الجُرْمُ؛ لِما يتلوه من العقاب، والذَّنوبُ[٣] يتبعُ الحبلَ، والذَّنَبُ يتبعُ سائرَ الجسد.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فلا يُطاقُ عقابُه.

* * *

(١٢) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَت في قريشٍ قبلَ وقعةِ بدرٍ، فصَدَقَ الله قولَه، وأنجزَ وعدَه[٤].

وعن الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: نزلَت في اليهود[٥].

---

(١) في (و): «مبدأ والذين».

(٢) في (ن): «جمع ذنب».

(٣) الذنوب؛ أي: الدلو العظيمة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (ذ ن ب) (١٤/ ٣١٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٦٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٨٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (٩٨). ورواه أبو داود (٣٠٠١) من طريق سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لم يوثقه غير ابن حبان.

وقولُه: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ أي: في الدُّنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في العُقبى.

والياءُ(١) محمولٌ على لفظِ (الذين)، كقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾، والتّاءُ على تقدير: قُل لهم إذا لاقيتَهم.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المُستقرُّ جهنَّم.

***

(١٣) - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾؛ أي: ظهرَت لكم أيُّها اليهودُ دلالةٌ واضحةٌ على صحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ؛

قيل: هي غلبةُ القليلِ الكثيرَ.

وقيل: هي تقليلُ الكفَّارِ في أعينِ المؤمنين، وهذا أولى.

﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾: فرقتَينِ.

﴿ٱلْتَقَتَا﴾: اجتمعَتا يوم بدرٍ.

﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون.

﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾؛ أي: وفئةٌ أخرى كافرةٌ.

﴿يَرَوْنَهُم﴾: ترى الفئةُ المؤمنةُ الفئةَ الكافرةَ ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ مِثْلَي الفئةِ المؤمنة،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (سيغلبون) و(يحشرون) بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

وذلك أنَّ المؤمنينَ كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا، والكافرينَ كانوا ألفًا؛ عن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما[1].

وذهبَ قتادةُ إلى أنَّهم كانوا[2] بين تسعِ مئةٍ إلى ألفٍ، فأرى الله المؤمنين الفئةَ الكافرةَ على عددٍ تيقَّنوا بالغلبةِ، وهو قولُه: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦][3].

وقيل: ترى الفئةُ الكافرةُ الفئةَ المؤمنةَ مِثْلَي الفئةِ المؤمنةِ.

وقيل: مِثْلَي الفئةِ الكافرة، فجبُنُوا عن مقاتلتِهم للكثرة[4].

والأوَّلُ أظهرُ وأولى، كقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال الفرّاء: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾؛ أي: ثلاثةَ أمثالِهم[5]، وردَّ عليه الزَّجّاج[6].

ومَن قرأ[7]: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ بالتّاء[8]، فالتَّقديرُ: ترون أيُّها المؤمنون الفئةَ الكافرةَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤٧، ٢٤٨) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) «كانوا» من (ن).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٦)، وانظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٢١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٥)، وعدَّه من العجائب؛ لأن نصَّ القرآن يأباه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٥)، واستغربه.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨١).

(٧) في (و): «قال».

(٨) وهي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠١)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

مِثْلَي المؤمنين، وكان القياسُ: (مثليكم)، قال أبو عليٍّ في «الحجّة»: هو كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩][(١)].

ويَحتمِلُ وجهًا آخرَ، وهو: أنَّه ـ سبحانه ـ جعلَ القومَ ثلاثةَ أصنافٍ، حيث قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ﴾، والتّاءُ تعودُ إلى مَن تعودُ إليه الكاف، والضَّميرُ الأوَّلُ يعودُ إلى الفئة الكافرة، والثّاني إلى الفئةِ المؤمنة.

﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ «الحجّة»: الرُّؤيةُ في قولِه: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ للعينِ بدليلِ قولِه: ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾، قال: و﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ ينتصبُ على الحال[(٢)].

ويُحتمَلُ أن يكونَ من رؤيةِ القلب، و﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ المفعول الثّاني، والتَّقديرُ: يرونهم رؤيةً مثلَ رؤيةِ العينِ، فحُذِفا[(٣)]، والمعنى: تتنزَّل منزلةَ العيان.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يقوِّي، من (الأَيْدِ) و(الآدِ).

﴿بِنَصْرِهِۦ﴾: بعونِه وحجَّتِه.

﴿مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما سبقَ ﴿لَعِبْرَةً﴾: لعِظةً ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: لذوي البصائرِ.

والعِبرةُ: ما يُعبرُ به من الجهلِ إلى العلمِ، وأصلُه النُّفوذُ.

* * *

---

(١) فهو من الالتفات. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩).

(٣) أي: كلمتي (رؤية) و(مثل).

(١٤) - ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ جُلُّ المفسِّرين على أنَّ الفاعلَ هو الله سبحانه، واستدلُّوا بقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ [الكهف: ٧]، وقوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ﴾ [الصافات: ٦]، وذهبَ الحسنُ إلى أنَّ الفاعلَ هو الشَّيطانُ، ودليلُه قولُه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأنعام: ٤٣][١].

وقيل: ما كانَ خيرًا فاللهُ زيَّنَه، وما كانَ شرًّا فالشَّيطانُ زيَّنَه.

والتَّزيينُ: التَّحسينُ، وقيل: التَّحبيبُ، وحقيقةُ التَّزيينِ: جعلُ الشَّيءِ مُتقبَّلًا في الطَّبْع.

وقيل: تقديره: زُيِّنَ وحُبِّبَ للنّاسِ حبُّ الشَّهواتِ.

والشَّهوةُ: تَوَقانُ النَّفْسِ إلى الشَّيء، وهو مصدرٌ، والتَّقديرُ: حبُّ ذوي الشَّهواتِ.

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾: جمع (ابنٍ)، ويُحتمَلُ أن يكون[٢] جمع (ابنٍ) و(ابنةٍ)، فغُلِّبَ التَّذكيرُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧)، ولفظ الطبري: «مَن زينها؟ ما أحدٌ أشد لها ذمًّا من خالقها».

ووفَّق بين القولين ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٠٨) فقال: «وإذا قيل: زين الله، فمعناه بالإيجاد والتهيئة لانتفاع وإنشاء الجبلة عن الميل إلى هذه الأشياء، وإذا قيل: زين الشيطان، فمعناه بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوهها. والآيةُ تحتمل هذين النوعين من التزيين، ولا يختلف مع هذا النظر».

(٢) في (ن): «ويحتمل أنه».

﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ﴾: جمع (قِنطارٍ).

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ والضَّحّاكُ: هو ألفٌ ومئتا دينارٍ[1].

ابنُ عمرَ وأبيٌّ بن كعبٍ وأبو هريرةَ ومعاذُ بن جبلٍ رضي الله عنهم: ألفٌ ومئتا أوقيّةٍ[2].

وعن الحسنِ أيضًا: ألفُ دينارٍ، أو اثنا[3] عشرَ ألفَ درهمٍ[4].

قتادةُ: ثمانون ألف درهمٍ، أو مئةُ رطلٍ[5].

مجاهدٌ وعطاءٌ: سبعون ألف دينارٍ[6].

أبو نضرةَ: مِلءُ مَسْكِ ثورٍ ذهبًا[7].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن الحسن.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) عن معاذ وابن عمر وأبي هريرة وأبي بن كعب رضي الله عنهم، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٨) عن معاذ رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «واثنا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٧) عن الحسن بلفظ: «القنطار اثنا عشر ألفًا»، ورواه الدارمي في «سننه» (٣٥١٠) بلفظ: «القنطار دية أحدكم اثنا عشر ألفاً»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٦_٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك أيضًا.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٨).

(٦) رواه الدارمي في «سننه» (٣٥١١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٨) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٨) عن عطاء الخرساني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩) عن أبي نضرة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١٤) عن الكلبي.

أبو عُبيدةَ: ليسَ بمحدودٍ(١).

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ قتادةُ: المضاعَفة(٢).

الفرّاءُ: تسع قناطير(٣).

السُّدِّيُّ: المضروبة دراهم ودنانير(٤).

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ هما المعروفان، وسُمِّيَ ذهبًا؛ لسرعةِ ذهابِه في الإنفاقِ والزَّكاة، وفضّةً؛ لأنَّها تُفرَّقُ بضربِ الدَّراهم، وتُفرَّقُ بالإنفاق، والفَضُّ: التَّفريقُ.

﴿وَٱلْخَيْلِ﴾: الأفراس، وسُمِّيَت خيلًا؛ لاختيالِها في مشيتِها.

﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرّاعية(٥)، من قولِه: ﴿تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: الحَسَنة(٦)، من (السِّيْماءِ)، وهو الحُسْنُ.

قتادةُ: المعلَّمة(٧)، من (السِّيْماءِ)(٨)، وهي العلامةُ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٨٨)، وروى هذا القول الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩) عن الربيع بن أنس، ورجَّحه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٤١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٢).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٨٠) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٣، ٢٦٤) عن مجاهد والسدي.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤).

(٨) في (ن): «السيماء».

وقيل: ذوات الأوضاحِ من الغُرّةِ والتَّحجيل(١).

ابن زيد: الـمُعدّة للجهاد(٢).

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: الإبل خاصّة، وتُستعمَلُ للبقرِ والغنمِ أيضًا.

﴿وَٱلْحَرْثِ﴾: البساتين والمزارع.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما تقدَّم ذكرُه ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يتمتَّعون وينتفعون به في الدُّنيا، لا يدومُ.

ابن بحرٍ: أي: ذلك على عظيمِ إحسانِ اللهِ فيه متاعُ الحياةِ الدُّنيا.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾: الجنَّةُ التي لا تَنقضي ولا تَنتهي.

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أأخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: من الذي تقدَّمَ.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ما حُرِّم عليهم.

قيل: الاستفهامُ تمَّ عند قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ثم بيَّنَ وأنبأ فقال: ﴿جَنَّـٰتٌ﴾؛ أي: هو جنّاتٌ(٣).

---

(١) ذكره الرازي عن أبي مسلم. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٧/ ١٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٥).

(٣) فالجار والمجرور (للذين اتقوا) متعلقان بـ(خير)، و(جنات) خبر لمبتدأ محذوف.

وقيل: تمَّ عند قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ثم أخبرَ[1] فقال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾[2].

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: رضا الله.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: عالمٌ بهم فيجازيهم.

وقيل: المرادُ بالعبادِ: أولياؤُه وأهلُ طاعتِه.

* * *

(١٦) ـ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قيل: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

وقيل: وصفٌ للعبادِ فيمَن حملَها على الأولياءِ وأهلِ الطّاعة.

وقيل: رفعٌ بالاستئناف؛ أي: هم الذين.

وقيل: نصبٌ على المدح؛ أعني: الذين يقولون[3].

* * *

(١٧) ـ ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

---

(١) «ثم أخبر» من (ن).

(٢) فـ(جنات) مبتدأ، وقد تقدَّمَ عليه خبره، وهو (للذين اتقوا).

(٣) ذكر المصنف الوجوه الثلاثة الأخيرة في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٦).

﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾: على أداءِ ما فُرِضَ[1] عليهم، غيرَ جازعينَ على ما امتُحِنوا به.

﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في أقوالهم وأفعالهم[2] ونيّاتهم.

﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: الدّاعين.

وقيل: الخاضعين.

وقيل: الدّائمين على العبادة، وقد سبق.

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ ﴾: المتزكّين والمتصدّقين.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ قتادةُ: المصلّين فيها[3].

أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: السّائلينَ المغفرةَ فيها[4].

عليٌّ الواحديُّ: المصلِّينَ صلاةَ الصُّبح[5].

---

(١) في (ن): «افترض».

(٢) «وأفعالهم» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٤٥).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٣/ ٥٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥) بلفظ: «أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة».

(٥) ذكر الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٠٧) أن هذا قول ابن عباس وزيد ابن أسلم وابن كيسان، وقد رواه عن زيد بن أسلم ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥)، واختار الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٢٠) قول مجاهد وقتادة، ولكنه اختار هذا القول في «الوجيز» (ص: ٢٠٢)، ولذلك نسبه المصنف له في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٧)، وعدَّه من العجائب، وقال: «فإن الإجماع على أن للصائم أن يتناول الطعام في السحر، فكيف تصح صلاة الصبح فيه؟!».

وهذا غُلُوٌّ؛ لأنَّ السَّحرَ الوقتُ الذي قُبيل[١] طلوع الفجر، ويجوزُ للصّائم تناولُ الطَّعامِ فيه، وأصلُه: الخفاءُ.

ومحلُّ الجميعِ نصبٌ على المدح، ويجوزُ أن يكونَ جرًّا على صفةِ ﴿العباد﴾.

* * *

(١٨) ـ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال الكلبيُّ: لَمّا ظهر رسولُ الله ﷺ بالمدينة قدِم عليه حَبْرانِ من أحبار الشّام، فلمّا أبصرا المدينةَ قال أحدُهما لصاحبه: ما أشبهَ هذه المدينةَ بصفةِ مدينةِ النَّبيِّ الذي يخرجُ في آخر الزَّمان، فلمّا دخلا على النَّبيِّ ﷺ عَرَفاه بالصِّفةِ والنَّعتِ فقالا: أنت محمَّد؟ قال: «نعم»، قالا: وأنت أحمد؟ قال: «نعم»، قالا: إنّا نسألُك عن شهادةٍ، فإنْ أنت أخبرتَنا بها آمنّا بك وصدَّقناك، فقال لهما: «سلاني»، قالا: أخبرنا عن أعظم شهادةٍ في كتاب الله، فأنزل اللهُ على نبيِّه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، فأسلمَ الرَّجلان[٢].

والمعنى عند الزجّاج: علمَ اللهُ وبيَّنَ؛ لأنَّ الشّاهدَ هو العالم الذي يبيِّنُ ما علمَه[٣].

أبو عبيدة: معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: قضى الله[٤]. وزيَّفَه[٥] ابنُ جرير[٦].

---

(١) في (ن): «قبل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٥)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٢٠).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٨٩).

(٥) «وزيفه» من (ن).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

المؤرِّج: معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: قال الله؛ بلغةِ قيسِ عَيلان[١].

وشهادةُ اللهِ بنصْبِ الأدلّةِ وبعْثِ الرُّسل.

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بما عاينوا من عظيم قدرته ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ قيل: هم الأنبياء، وقيل: العلماء.

الحسن: المؤمنون[٢].

أي: شهدوا بما ثبتَ عندَهم وتبيَّنَ من خَلْقِه.

وإنَّما عطفَ ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ على ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وهم علماء؛ لأنَّ الملائكةَ حالُهم في العلم سواءٌ، والبشرُ منهم عالم ومنهم جاهلٌ، فخصَّ أولي[٣] العلمِ بالذِّكْرِ.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدلِ؛ يحفظُه ويدبِّرُه، وهو حالٌ من اسم ﴿ٱللَّهُ﴾، أو مِن ﴿هُوَ﴾.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرَّرَ تأكيدًا.

وقيل: الأوَّلُ شهادةُ الله، والثَّاني شهادةُ الملائكةِ وأولي[٤] العلم.

ويُحتمَلُ أنَّ الأوَّلَ جارٍ مجرى الشَّهادة، والثَّاني جارٍ مجرى الحُكم[٥].

---

(١) في «ن»، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٠): قيس بن غيلان، والمعروف: قيس عيلان، وقد يقال: قيس بن عيلان. انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٣١)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٤)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٢/ ٣٧٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٧٤).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٠).

(٣) في (ن): «أولو».

(٤) في (ن): «وأولوا».

(٥) في (و) زيادة: «ولولا التحاشي لقلت: مقدمة ونتيجة».

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: هو العزيز الحكيم، رُفِعَ[١] على الاستئناف، وليسَ بوصفٍ لـ﴿هُوَ﴾؛ لأنَّ الضَّميرَ لا يُوصَفُ.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ مَن فتحَ[٢] فلتعلُّقِه بـ﴿شَهِدَ﴾. وقيل: تقديره: لأنَّ.

ومَن كسر فعلى الاستئناف. وقيل: لأنَّ الشَّهادة قولٌ فجازَ كسرُه. وقيل: على لغةِ قيسِ بنِ عيلان[٣].

وأكثرُ المحقِّقين على أنَّ المرادَ بـ﴿ٱلدِّينَ﴾ هاهنا[٤]: الطَّاعةُ[٥].

وقيل: الدِّينُ هو[٦] المعتقَدُ الذي تعتقدُه كلُّ أُمَّةِ نبيٍّ؛ وذلك أنَّ أهلَ الكتبِ افتخرُوا بأديانهم، وقال كلُّ واحدٍ: لا دينَ إلّا دينُنا، وهو دينُ الله، فأنزلَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾؛ أي: الدِّينُ الصَّحيحُ المرضيُّ عند الله الإسلامُ؛ أي: دينُ محمَّدٍ عليه السَّلام.

والإسلامُ: العملُ بطاعةِ الله فيما أمرَ به ودعا إليه، واشتقاقُه من (السَّلامة)؛ لأنَّه تأديةٌ إليها، ويأتي (أسلمَ) بمعنى: دخلَ في السِّلم.

---

(١) «رفع» من (ن).

(٢) وهو الكسائي؛ فقد قرأ بفتح الهمزة، وقرأ باقي السبعة بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٣) في «ن»: «قيس بن غيلان».

(٤) «هاهنا» من (ن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٠)، و«معجم الفروق اللغوية» (١/ ٥٠٩)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٣٢٣).

(٦) «هو» من (ن).

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الرَّبيعُ: هم اليهود؛ أي: ما اختلفوا في دينِ الإسلام وأَمْرِ النَّبيِّ عليه السَّلام[1].

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: معلومُهم؛ لأنَّهم كانوا مُجمعين على مَجيئِه ووجوبِ اتِّباعِه عليهم، فلمّا جاءهم اختلفُوا؛ فقال بعضُهم: لم يُبعَث إلينا؛ لأنّا أُمرنا بلزومِ السَّبتِ ما دامت السَّماوات والأرض، وقال بعضهم: ليس هو بالنَّبيِّ المبعوثِ لنا.

وقيل: هو اختلافُ اليهودِ في التَّوراةِ بعدَ موسى عليه السَّلام، وتحريفُهم وتفسيرُهم التَّوراةَ على أهوائِهم.

ابنُ جريرٍ: أرادَ النَّصارى واختلافَهم في عيسى عليه السَّلام بعدَ نزولِ الإنجيلِ ورفعِ عيسى عليه السَّلام[2].

وقيل: عامٌّ، و(الكتاب) للجنسِ، والاختلافُ: ذهابُ كلٍّ واحدٍ إلى نقيضِ ما ذهبَ إليه الآخر.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨٤) عن الربيع قال: «إن موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرًا من أحبار بني إسرائيل، فاستودعهم التوراة، وجعلهم أمناء عليه؛ كل حبر جزءاً منه، واستخلف موسى يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول، ومضى الثاني، ومضى الثالث، وقعت الفرقة بينهم، وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف، وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيًا بينهم على الدنيا، طلباً لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها، فسلط الله عليهم جبابرتهم، فقال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴾». ثم قال الطبري: «فقول الربيع بن أنس هذا يدلُّ على أنه كان عنده أنه معني بقوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود من بني إسرائيل، دون النصارى منهم ومن غيرهم».

(٢) هو اختيار ابن جرير، وقد رواه عن محمد بن جعفر بن الزبير أيضاً. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٢ و٢٨٤).

﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: طلبًا للرِّياسةِ وحسدًا.

وانتصابُه على المفعولِ له، والعاملُ فيه: ﴿ما اختلفوا﴾، وفيه تقديمٌ، وتقديرُه: وما اختلفَ الذين أوتوا الكتابَ بغيًا إلَّا مِن بعد، وهذا قولُ الأخفش[1].

وقال الزَّجّاج: العاملُ فيه مضمَرٌ؛ أي: اختلفوا بغيًا[2].

وقيل: نُصِبَ على المصدرِ، وفعلُه مضمَرٌ[3].

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ الزَّجّاج: سريعُ المجازاة[4].

ابن جريرٍ: سريعُ الإحصاءِ لا يحتاجُ إلى عَقْدٍ ولا قَبْضٍ بيدٍ[5].

وقيل: الحِسابُ: المحاسبةُ؛ أي: ينتقمُ من الكافرين.

* * *

(٢٠) - ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾؛ أي[6]: خاصموك في أنَّ الدِّينَ عند الله[7] الإسلامُ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٧).

(٣) أي: بغوا بينهم بغياً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٥٢)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٧).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٥)، وروى معناه عن مجاهد.

(٦) «أي» من (ن).

(٧) في (ن): «أن دين الله».

الجمهورُ على أنَّ المرادَ بهم نصارى نجران.

﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾: نفسي[١]، وخُصَّ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أشرفُ ما فيها. وقيل: خُصَّ الوجهُ؛ لأنَّه به تتميَّزُ نفسٌ عن نفسٍ.

الزَّجّاجُ: ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ﴾: قصدْتُ بعبادتي إلى الله[٢].

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾؛ يعني: المؤمنين.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: اليهود والنَّصارى.

﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: العرب وسائر الكفّار.

وهذا دليلٌ على أنّه كان مبعوثًا إلى الخلقِ جميعًا.

﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾؛ أي: مُرهم بالإسلام، استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: أسلِموا، كقولِه: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٣]؟

﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ﴾: أطاعوا، ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾: أصابوا[٤] الرُّشدَ والهدى.

﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أعرضُوا عن الإيمانِ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾؛ أي: فخلاكَ ذمٌّ؛ إذ[٥] ليس عليك إلّا التَّبليغُ.

---

(١) أي: أُطلق الجزءُ وأُريد به الكلُّ، وذلك نحو: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٨).

(٣) ذكر سيبويه أن الاستفهام يأتي للعرض، وذكر الفراء أنه يأتي بمعنى الأمر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥١٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٢).

(٤) في (ن): «وأصابوا».

(٥) «أي: فخلاك ذم إذ» من (و)، وعبارة (خلاك ذم) تعني: أنَّك لا تُذَمُّ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٠٧).

و(البلاغُ) واقعٌ موقعَ (التَّبليغ) و(الإبلاغ)[١]، ويُحتمَلُ أنَّه إذا بلَّغ وقد عرفوه بنعتِه وصفتِه، لزمَهم الإيمانُ به.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فيجازيهم على كفرِهم وإسلامِهم.

***

(٢١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾؛ أي: ويدينونَ دينَ مَن قتلَ الأنبياء.

وقيل: إنَّما ذُكِرَ بلفظِ المستقبلِ؛ أي: دامُوا على ذلك.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدل.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: سوى الأنبياءِ.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قيل: البشارةُ استهزاءٌ[٢]. وقيل: لظهورِ أثرِها على البَشرة[٣].

---

(١) انظر: «المفردات» للراغب (ص/ ١٤٤).

(٢) لأن (البشارة) في الأصل للمفرح والسارِّ، فإذا جمعت كلامين في خير وشر جاز التبشير فيهما جميعاً؛ على ما ذهب إليه الفراء وجملة من أئمة اللغة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٨).

(٣) وهذا عند مَن لا يخص (البشارة) بالخبر السارِّ. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٤٩)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (١٥/ ٥٢٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٨٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١/ ٢٠٩).

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «قتلَتْ بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا من أوَّلِ النَّهارِ في ساعةٍ واحدةٍ، فقامَ مئةٌ واثنا عشر رجلًا من عُبّادِ بني اسرائيل، فأمروا مَن قتلهم بالمعروفِ ونهوهم عن المنكر، فقُتِلوا جميعًا في آخرِ النَّهارِ من ذلك اليومِ»[1].

***

(٢٢) - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فلم تُدفَع عنهم اللَّعنةُ، وحُرِموا المدحَ والثَّناءَ في الدُّنيا، واستحقُّوا العقابَ عليها في العُقبى.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾: من دافعٍ يَدفعُ عنهم المكروهَ.

***

(٢٣) - ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ السُّدِّيُّ: دعا رسولُ الله ﷺ اليهودَ إلى الإسلام، فقال له نعمانُ بن أوفى: هلمَّ يا محمَّدُ نخاصمْكَ إلى الأحبار، فقال رسول الله عليه السَّلام: «إلى كتابِ الله»، فقال: بل إلى الأحبار، فأنزل الله هذه الآية[2].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٢٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٠)، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وفي إسناده مجهول. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ٢٧٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٧١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٩).

وروى سعيدُ بنُ جُبيرٍ وعكرمةُ عن ابن عبّاسٍ قال(١): دخلَ رسولُ الله ﷺ بيتَ المدراسِ على جماعةٍ من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نُعيم بن عَمرٍو والحارثُ بن زيدٍ: على أي دينٍ أنتَ يا محمَّد؟ فقال: «على ملّةِ إبراهيم» قالا: إنَّ إبراهيمَ كان يهوديًّا، فقال عليه السَّلام: «فهلمُّوا إلى التَّوراة، فهي بيننَا وبينكم»، فأبَيا عليه، فأنزل الله هذه الآية(٢).

الكلبيُّ: نزلَت في اللَّذَين زنَيا من خيبر(٣)، وسيأتي ذكرُه.

والمعنى: ألم ينتهِ علمُكَ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ وقد سبقَ ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: التَّوراة.

وقولُه: ﴿نَصِيبًا﴾: تحقيرٌ لهم ووضعٌ(٤) منهم.

وقيل: أُوتوا علمَ بعضِ التَّوراة.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: التَّوراة.

قتادة: القرآن(٥).

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: ليبيِّنَ لهم ما اختلفوا فيه، وجُعِلَ حاكمًا حيث كانَ سببًا.

وقيل: ليحكم النَّبيُّ.

---

(١) في (و): «قالا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٣)، وذكره ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٦٧٢)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٣) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ن): «تحقيرًا لهم ووضعًا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٥).

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعـرِضُ عن الدّاعـي ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: العلماءُ ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المدعـوِّ إليه.

* * *

(٢٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك التَّولِّي ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: زعموا أنَّ اللهَ وعدَ يعقوبَ ألّا يعذِّب أحدًا من ولدِه إلّا تحلَّةَ القَسَمِ، ومضى تفسيرُه في (البقرة).

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: افتراؤُهم؛ أي: قولُهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾[١].

قتادة: افتراؤُهم قولُهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٢].

والغُرورُ: الأطماعُ في غير مطمعٍ.

والافتراءُ: الافتعالُ مِن (الفِريةِ)، وهي الكذبُ، والفَرْيُ: الشَّقُّ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾؛ أي: فكيفَ حالُهم؟

الزَّجّاجُ: فكيفَ يكونُ حالُهم[٣]؟

---

(١) «النار» ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢)، وتمام كلامه: «المعنى والله أعلم: فكيف يكون حالهم =

وقيل: فكيفَ يقولونَ وكيفَ يفعلونَ ـ فحَذفَ لِما فيه من تحريكِ النَّفسِ على استحضارِ كلِّ نوعٍ من أنواعِ العذابِ ـ إذا جمعناهم[١]؟

﴿لِيَوْمٍ﴾: لجزاءِ يومٍ.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليومِ، وقيل: في الجَمْع؛ أي: لا ترتابوا في وقوعِه.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أي: جزاءَ ما كسبَت، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادةٍ أو نقصانٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ قال ابن عباسٍ وأنس بن مالكٍ رضي الله عنه: لَمَّا افتتحَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّة ووعدَ أمَّتَه مُلْكَ فارس والرُّوم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمَّدٍ مُلْكُ فارسَ والرُّومِ، هم أعزُّ وأمنعُ من ذلك، ألم يكفِ محمَّدًا مكَّةُ والمدينةُ حتَّى طمعَ في مُلْكِ فارسَ والرُّومِ، فأنزل الله هذه الآية[٢].

قتادة قال: ذُكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ سأل ربَّه أن يجعل ملك فارس والرُّوم في أمَّته فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية[٣].

= في ذلك الوقت؟ وهذا الحرف مستعمل في الكلام، تقول: أنا أكرمك وأنت لم تزرني، فكيف إذا زرتني؟».

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ١٤١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٠). قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ٢٥): «لم أجد له إسنادًا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

وقيل: نزلت يومَ الخندقِ.

ومعنى ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: يا اللهُ، كما سبق[١].

و﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ نُصِبَ على النِّداء؛ أي: يا مالك الملك، عند سيبويه[٢].

المبرِّد والزَّجّاج: صفةٌ لقولِه: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾[٣]. وردَّه أبو عليٍّ[٤].

ومعناه: مالك أمر الدُّنيا والآخرة.

الزجّاج: مالك العباد وما ملكوه[٥].

مجاهدٌ: مالك النُّبوّة[٦].

وقيل: الجنّة.

﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: مَن تشاء[٧] أن تؤتيَه.

﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ أي: ممَّن تشاء[٨] أن تنزعَه.

والنَّزْعُ: قَلْعُ الشَّيءِ عن الشَّيء.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: محمَّدًا ﷺ وأصحابَه.

---

(١) في الكلام على لفظ الجلالة في (الفاتحة)، وهذا مذهب البصريِّين كالخليل وسيبويه. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٥) و(٢/ ١٩٦)، و«الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢) هو مقتضى كلامه. انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (ص: ٥٥٤).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٨).

(٧) «أي: من تشاء» من (ن).

(٨) «أي: ممن تشاء» من (ن).

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: أبا جهلٍ وحِزبَه.

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾؛ أي: بتقديرك.

وأراد(١) الخيرَ والشَّرَّ، فاكتفى بذِكرِ أحد الضِّدَّين عن الآخر، وله أمثالٌ(٢).

وقيل: خصَّه بالذِّكرِ للرَّغبةِ في فعلِه بالعبدِ(٣).

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ممّا تريدُ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بالكمال.

***

(٢٧) - ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أي: ما تنقصُ من اللَّيل تزيدُ في النَّهار، وما تنقصُ من النَّهار تزيدُ في اللَّيل، ومن ذلك زيادتُهما ونقصانُهما(٤).

---

(١) «وأراد» ليس في (ن).

(٢) فمن هذه الأمثال قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾، ولكن ثمة فرق بين هذه الأمثال وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾؛ فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، ولكن لا ينبغي لأحد أن يقول: الله خالق الشر، أو الله بيده الشرُّ، وإنما نقول بلسان العبد الخاضع لربِّه الـمُؤتسي بنبيِّه: «الخير كله في يديك، والشر ليس إليك». انظر: «صحيح مسلم» (٧٧١)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٣١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٩ و٣٦٢ و٦١٥)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٣٣١)، و«تحقيق الفوائد الغياثية» لشمس الدين الكرماني (١/ ٤١٨).

(٣) أي: لأن رغبة العبد إلى الله أن يفعل الخير به، كما في: «البسيط» للواحدي (٥/ ١٥٩)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٩).

(٤) في (و): «زيادتها ونقصها». كلام ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٥) =

وقيل: يأتي به بدلَ الآخر.

والوُلوجُ: الدُّخولُ في الشَّيء، والإيلاجُ: إدخالُ الشَّيءِ في الشَّيء، وهو هنا مجازٌ.

وقيل: معنى (في) هاهنا: (على)[1].

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: النَّسمةَ من النُّطفةِ، والدَّجاجَ من البيضِ.

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: النُّطفةَ من الإنسانِ، والبيضَ من الدَّجاجِ.

وقيل: المؤمنَ من الكافرِ، والكافرَ من المؤمنِ.

أبو عبيدة: الطَّيِّبَ من الخبيثِ، والخبيثَ من الطَّيِّب[2].

ومعنى الإخراجِ في الآية: التَّكوينُ، وحقيقةُ الإخراجِ: إخراجُ الشَّيءِ منَ الظَّرفِ.

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مضى تفسيرُه.

***

(٢٨) ـ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ: كان الحجّاجُ بن عمرو وابن أبي الحُقَيق وقيس بن زيد ـ وهؤلاء كانوا من اليهود ـ يباطنون نفرًا من

= بلفظ: «ما نقص من النهار يجعله في الليل، وما نقص من الليل يجعله في النهار»، وممن وافق ابن عباس في هذا مجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن زيد. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١٧).

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٩١).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٠).

الأنصار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فقال رِفاعةُ بنُ المنذر وعبدُ الله بنُ جُبيرٍ وسعدُ[١] بن خَيْثمةَ لأولئك النَّفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم؛ لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النَّفرُ إلّا مباطنَتَهم وملازمَتَهم، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال الكلبيُّ: نزلَت في المنافقين؛ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ وأصحابِه، كانوا يتولَّون اليهودَ والمشركين، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكونَ لهم الظَّفرُ على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثلِ فعلِهم[٣].

وقال جُويبرٌ عن الضَّحّاكِ عن ابن عبَّاسٍ: نزلَت في عُبادةَ بنِ الصّامتِ الأنصاريِّ، وكان بدريًّا نقيبًا، وكان له حلفاءُ من اليهود، فلمّا خرج النَّبيُّ ﷺ يومَ الأحزابِ قال عبادةُ: يا نبيَّ الله، إنَّ معي خمس مئة رجلٍ، وقد رأيتُ أن يخرجوا معي فأستظهرَ بهم على العدوِّ، فأنزل الله هذه الآية، ونهى المؤمنين عن اتِّخاذ الكافرين أنصارًا وأعوانًا، وعن الاستظهارِ[٤] بهم وإظهارِ المحبّةِ لهم[٥].

الزَّجّاجُ: أي: لا يجعلْ ولايتَه لمن هو غيرُ مؤمنٍ[٦].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاتِّخاذ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: من دينِ اللهِ في شيءٍ، واللهُ بريءٌ منه، كما قال:

---

(١) في (ن): «سعيد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٩) عن ابن إسحاق.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (و): «الاستعانة».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٦).

إِذا حاوَلْتَ فِـي أَسَدٍ فُـجُـورًا فإِنِّي لَسْـتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي[١]

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾؛ أي[٢]: إلّا أن يكونَ للكافرِ عليك سلطانٌ فتخافَه على نفسِك ومالِك، فحينئذٍ يجوزُ لك إظهارُ الموالاةِ وإبطانُ المعاداة.

الزَّجّاج: أباحَ اللهُ إظهارَ الكفرِ مع التَّقيّةِ وسلامةِ النِّيّة[٣].

و﴿تُقَىٰةً﴾ مصدرٌ كـ(التُّؤَدة) و(التُّخَمة).

وقُرِئَ: ﴿تَقِيّةً﴾[٤]، والتَّقيّةُ والتُّقاةُ: إظهارُ اللِّسانِ خلافَ ما ينطوي عليه القلبُ للخوفِ على النَّفسِ.

ويُحتمَلُ أنَّ ﴿تُقَىٰةً﴾ جمعُ تَقيٍّ، كـ(كَمِيٍّ) و(كُماةٍ)، فيكونُ نصبًا على الحالِ[٥].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عذابَه وبطشَه، والمرادُ بالنَّفسِ: الذّاتُ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هذا وعيدٌ آخرُ؛ أي: مصيرُكم إليه، والعقابُ مُعَدٌّ لدَيه.

* * *

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوان النابغة» اعتنى به: حمدو طماس (ص: ١٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٦)، و«شرح أبيات الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٨٨)، و«تفسير الماوردي» (٢/ ١٩٣). وقد استشهد به سيبويه على حذف الياء وقفاً.

(٢) «أي» من (ن).

(٣) وقد قيَّد الإباحة بخوف القتل، فقال: «إلا أن هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النية وخوف القتل». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٦).

(٤) وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩).

(٥) ذكره الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٢٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٠)، واستغربه.

(٢٩) - ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ ﴾: الصَّدْرُ معروفٌ، وصَدْرُ كلِّ شيءٍ: مُقدَّمُه.

﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: يعاقِبْكم ويُثِبْكم عليه، وقيل: يعلمْه كائنًا، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

***

(٣٠) - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ قيل: تلقاه مكتوبًا في كتابِ الحَفَظةِ.

وقيل: تلقى جزاءَه مُحضرًا.

و﴿مُّحْضَرًا ﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ ﴾: تـمنَّى النَّفسُ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا ﴾: بينَ النَّفسِ ﴿وَبَيْنَهُۥٓ ﴾ وبينَ ما عملَت من سوءٍ ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾: زمانًا طويلًا، والأمَدُ: الغايةُ.

ومحلُّ ﴿مَّا﴾ رفعٌ بالابتداء، وقيل: نصبٌ عطفًا على ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ﴾.

ومحلُّ ﴿تَوَدُّ ﴾ خبر؛ لأنَّه وصفُ ﴿سُوٓءٍ ﴾.

وأجازَ ابنُ عيسى أن يكونَ للشَّرطِ على بُعدٍ[1].

---

(١) وقد منعه النحّاس، فقال: «ولو كانت «ما» منقطعة من الأولى على أن تكون شرطاً وتعطف جملة على جملة لم يجز؛ إلّا أن تجزمَ (تودّ)، ولا نعلم أحداً قرأ به وإن كان جائزاً في النحو». انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥١).

و﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ نصبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، تقديرُه: اذكرْ يومَ تجد[١].

عن ابن عيسى: قال ابن جريرٍ: اتَّقوا يومَ[٢] تجد؛ فيكون مفعولًا به[٣].

الزَّجّاج: نصبٌ بـ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾، أو بـ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[٤]. وفي قوليه بُعدٌ؛ لأنَّ التَّحذيرَ موجودٌ، واليومَ موعودٌ، ولأنَّه لا يُحالُ بين المصدر وبين معموله.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: مِن رأفتِه تحذيرُه.

***

(٣١) ـ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ جُويبرٌ عن الضَّحّاك عن ابن عبّاسٍ قال: وقفَ رسولُ الله ﷺ على قريشٍ وهم في المسجدِ الحرامِ وقد نصبوا أصنامَهم، وعلَّقوا عليها بيضَ النَّعام، وجعلوا في آذانها الشُّنوفَ[٥] وهم يسجدون لها، فقال: «يا معشرَ

(١) ذكر هذا الوجه ابن الجوزي، ونسبه لابن الأنباري. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣).

(٢) في (ن): «يوماً».

(٣) «فيكون مفعولًا به»: ليس في (ن)، وهذا يصدق على هذا التقدير وعلى الذي قبله. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٢٢)، وفيه: «وقد زعم أهل العربية أن معنى ذلك: واذكر يوم تجد، وقال: إن ذلك إنما جاء كذلك؛ لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا كذا وكذا؛ لأنه في القرآن في غير موضع، واتقوا يومَ كذا وحينَ كذا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٧)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥) الشُّنوف: جمع الشَّنْف، وهو القرط الأعلى. انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٨٣).

قريشٍ، لقد خالفتم ملَّةَ أبيكم إبراهيمَ وإسماعيلَ، ولقد كانا على الإسلام»، فقالت قريشٌ: يا محمَّد، إنّا نعبدُ هذه حبًّا لله؛ ليقرِّبونا إلى الله زُلفى، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وتعبدون الأصنامَ؛ لتقرِّبكم إلى الله، ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأنا رسولُه إليكم وحجَّتُه عليكم، وأنا أولى بالتَّعظيمِ من أصنامِكم(١).

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: أنَّ اليهود قالت: نحن أبناءُ الله وأحبّاؤُه، فأنزلَ الله هذه الآية(٢).

وروى محمَّد بن إسحاق بن يسار عن محمَّد بن جعفر بن الزُّبير قال: نزلَت في نصارى نجران، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّما(٣) نعظِّمُ المسيحَ ونعبدُه حبًّا له(٤) وتعظيمًا له، فأنزل الله هذه الآية(٥).

ومحبّةُ العبدِ لله: إيثارُه طاعتَه(٦).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٣)، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٦٧٨): «وهذا من منكرات جويبر؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيهما في أوائل الزمر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٣).

(٣) في (و): «نحن».

(٤) في (ن): «لله».

(٥) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٩)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٦) ورجَّحه فقال: «وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير؛ لأنه لم يجرِ لغير وفد نجران في هذه السورة ـ ولا قبل هذه الآية ـ ذكرُ قومٍ ادعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه».

(٦) المحبة تستلزم الطاعة، والطاعة دليل المحبة، ولكنَّ المحبة شيء والطاعة شيء؛ فالمحبة عمل القلب، والطاعة عمل الجوارح، وقال ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص: ٣٠٣): «وإنما كانت =

ومحبَّةُ اللهِ للعبد(١): مدحُه وثناؤُه عليه(٢).

* * *

(٣٢) ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾؛ فإنَّها من علامةِ المحبَّة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الطَّاعةِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا يُثني عليهم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اختارَ ﴿ءَادَمَ﴾: أبا البشرِ ﴿وَنُوحًا﴾: شيخَ المرسلينَ ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: المؤمنين.

وقيل: آلُ(٣) إبراهيمَ: أولادُه وأولادُ أولادِه، فيكونُ محمَّدٌ ﷺ فيهم ومنهم.

﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: موسى وهارون عليهما السَّلام.

الحسنُ: عيسى وأمُّه(٤).

= موافقة المحبوب دليلاً على محبَّته لأنَّ مَن أحبَّ حبيباً فلا بدَّ أن يحبَّ ما يحبُّه ويبغضَ ما يبغضُه»، والمعنى الذي ذكره المصنف أورد نحوه الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٨١).

(١) في (ن): «العبد».

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (١/ ٤٣١)، وقيل: هي عفوه عنه، وغفران ذنبه، وإرادة الثواب له، وإنعامه عليه. انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٣٩٥)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ١٨١).

(٣) «آل» من (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥١)، واستغربه، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٤) عن الحسن أن المراد بالآل: عيسى عليه السلام.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانِهم.

وقيل: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عامًّا[١].

وفي معنى اصطفائِهم ثلاثةُ أقوالٍ:

الفرّاء: اصطفى دينَهم[٢].

الزَّجّاج: اختارَهم للنُّبوّةِ على عالمي زمانهم[٣].

وقيل: اختارَهم بالفَضْلِ على غيرِهم[٤].

* * *

(٣٤) ـ ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: الذُّرِّيّةُ: أولادُ الرَّجلِ مِن صُلْبِه.

ومعنى ﴿مِنۢ بَعْضٍ﴾ قال الحسن وقتادة: في التَّناصرِ[٥].

غيرُهما: في التَّناسلِ[٦].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِما تقولُه الذُّرِّيّةُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضمرُه[٧].

---

(١) هذا مروي عن الحسن. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٦٣٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٩).

(٤) لأن (اصطفى) ضُمِّن معنى (فُضِّل). انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٢٨).

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) عن الحسن وقتادة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٦) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) لبعض المتأخرين.

(٧) في (ن): «تضمر».

(٣٥) ـ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وقيل: سميعٌ عليمٌ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾؛ أي: حينَ قالَت[١].

وهي: أمُّ مريمَ، واسمُها: حَنَّةُ.

وعمرانُ هذا ليسَ بأبي موسى، وبينهما ألفُ سنةٍ.

الأخفشُ: اذكر إذ قالت[٢]؛ فيكونُ[٣] مفعولًا به على السَّعة، ولا يكونُ ظرفًا لتقدُّمِه.

الزَّجّاج: اصطفى إذ قالت؛ ولا يجوزُ تعلُّقُه بـ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾؛ لتأخُّره، وإنَّما يتعلَّق بمثله مضمرًا[٤].

أبو عبيدة: ﴿ إِذْ ﴾ زائدةٌ[٥].

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ الشَّعبيُّ: مُخلَصًا للعبادة[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) واستغربه، وقال: «وفيه ضعف؛ لأن سمعه وعلمه سبحانه لا يختص بزمان دون زمان».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١٩).

(٣) في (و): «ويكون».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥١) من العجائب، وقال: «لأن الاصطفاء سابق على مقالتها، فلا يصلحُ أن يكون ظرفًا له».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٠)، ولم يرتضه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٧).

مجاهدٌ: خادمًا للمسجد[١].

وقيل: عتيقًا من أمرِ الدُّنيا[٢].

مشتقٌّ من (الحرِّيّة)، حرَّرته تحريرًا؛ أي: أعتقته، وقيل: من (تحرير الكتاب)، وهو إخلاصُه منَ الفساد.

وكان فرضًا على أولادِهم أن يطيعوهم في نذورهم.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ التَّقبُّل: أخذُ الشَّيء عن الرِّضا به.

* * *

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: ولَدَتها، وأصلُ الوَضْعِ: الحَطُّ، ومنه (الموضعُ).

وأنَّثَ الضَّميرَ؛ لأنَّ (ما) تقع على المذكَّر والمؤنَّث.

وقيل: يعودُ إلى معلومٍ دلَّ عليه الكلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ قتادة: لم يكن التَّحريرُ إلّا للغلمان فيما جرَت به العادةُ، فاعتذرَت من العدولِ عن النَّذر[٣].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: ضَمُّ التّاءِ على الحكاية، وسكونُه على الاستئناف[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦).

(٢) انظر: «إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٧٦، ١٧٧).

(٤) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم التاء وإسكان العين، وباقي السبعة بتسكين التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ لخدمةِ بيتِ المقدس؛ لِما يلحقُها من الحيضِ والنِّفاسِ والصِّيانةِ عن التَّبرُّجِ للنّاس.

﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ اسمٌ أعجميٌّ[(١)]، وقيل: عربيٌّ جاءَ شاذًّا كـ(مَدْيَن)[(٢)].

ومعنى (مريم) في اللُّغة: التي تُغازِلُ الفِتيان[(٣)]، قال:

قُلْـتُ لزِيـرٍ لـم تَصِلْـهُ مَرْيَمُـهْ[(٤)]

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾: أحترزُ وأحتفظُ.

﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أولادَها.

﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: إبليس.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: الملعون.

وقيل: الرّجيم بالنُّجوم[(٥)].

أي: مـن إغوائِـه، وقيـل: مـن عَصْـرِه؛ فقـد[(٦)] جاء فـي الخبر عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه

---

(١) في (ن): «عجمي». ذكر ذلك ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٢/ ١١٧٣)، والسيوطي في «المزهر» (٢/ ٦٢)، وذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) أن معناها الخادم بالعبرية.

(٢) فهذه أسماء مصوغة لأشخاص بأعيانها، لا مناسبةَ بينها وبين الفعل، ولو كانت من الفعل لاعتلت. انظر: «التعليقة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢)، و«الخصائص» لابن جني (٣/ ٣٥).

(٣) في (و): «الصبيان».

(٤) الرجز لرؤبة يمدح أبا العباس السفاح، وتمامه:

ضِلِّيـــلِ أهـــواءِ الصِّبـــا يُنَدِّمُـــهْ

انظر: «ديوان رؤبة بن العجاج» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٩) مادة: (ض ل ل).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢)، واستغربه.

(٦) في (ن): «وقد».

قـال: «مـا من مولـودٍ[١] إلّا عصرَهُ الشَّيطانُ عصـرةً أو عصرتَيْنِ إلَّا عيسـى وأمَّه»، ثم تلا هذه الآية[٢].

***

(٣٧) ـ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ﴾؛ أي: قَبِلَ اللهُ مريمَ في نذرِها، وإنْ كان قبلُ[٣] لا يقبَلُ إلّا الذُّكران.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قيل: الباء زائدةٌ، وقيل: للسَّبب.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: وأنشأها إنشاءً حسنًا في التَّربيةِ والتَّغذية.

وقيل: في تعلُّمِ الدِّين.

ونصـبَ ﴿نَبَاتًا﴾ علـى تقديـر: فنبتَـتْ نباتًـا[٤]، ويجـوزُ أيضًـا[٥] أن يعمـلَ فيه الملفـوظُ وإن حُذِفَـت الزَّوائـد؛ لأنَّها مُـرادةٌ[٦].

---

(١) في (و): «موجود».

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروى نحوه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦)، ولفظ البخاري: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسِّ الشيطان، غير مريم وابنها».

(٣) «قبل»: ليس في (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣) عن المفضل، وذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٣١) عن ابن الأنباري والزجاج، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) بلا نسبة، واستغربه. وفي (و) زيادة: «حسنا».

(٥) «أيضًا» من (ن).

(٦) هذا هو الوجه الذي قدَّمه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٢١).

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضَمَّها إليه.

و﴿زَكَرِيَّا﴾ ـ يُمَدُّ ويُقصَرُ ـ غيرُ منصرفٍ[١]، و(زكريٌّ) ـ بالتَّشديدِ منوَّنٌ[٢] ـ فيه لغةٌ[٣].

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ جعلَ الزَّجّاجُ (ما) مع الفعلِ في تأويلِ المصدرِ؛ أي: وجدَ عندها رزقًا كلَّ وقتِ دخولٍ[٤].

والمحرابُ: أكرمُ[٥] موضعٍ في المجلسِ يُتحارَبُ دونَه ويُنْفَسُ[٦] فيه، وهو من[٧] المسجدِ مقامُ الإمام.

وقيل: ﴿الْمِحْرَابَ﴾: الغرفة.

أبو عمرو[٨]: ﴿الْمِحْرَابَ﴾: القصر[٩].

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّه كان يجدُ عندها فاكهةَ الصَّيفِ في الشِّتاء وفاكهةَ الشِّتاءِ في الصَّيف.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿زَكَرِيَّا﴾، وباقي السبعة: ﴿زكرياء﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) «منون» من (ن).

(٣) هذه ثلاث لغات: زكريا وزكرياء وزكريٌّ، وفيه لغة رابعة: زَكَرٍ. انظر: «المنتخب من غريب كلام العرب» لكراع النمل (١/ ٥٤٠).

(٤) في (ن): «دخوله». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٣).

(٥) في (و): «أكبر».

(٦) أي: يُحسد، ويُنافسُ. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (٢/ ٢٩٢).

(٧) في (ن): «في».

(٨) هو أبو عمرو بن العلاء.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٧) مادة: (ح ر ب).

وقيل: كان عنبًا، ولم يكن في تلك البلادِ عنبٌ(١).

وعن الحسن: أنَّها لم تلقم ثديًا قطُّ(٢).

وكان(٣) ذلك معجزةً لزكريّا، وقيل: لعيسى عليهما السّلام(٤).

﴿قَالَ﴾؛ أي: زكريا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: من أين لك هذا؟

﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بلطفِه رُزِقْتُ.

وكان يأتيها بأمرِ اللهِ من الجنّة، وقيل: يأتيها به عبدٌ صالحٌ(٥).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

وقيل: معناه هاهنا: من حيث لا يحتسبُ، وهو مِن تمام كلامِها(٦)؛ تكلَّمَتْ به في المهدِ(٧).

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) بلا نسبة، واستغربه. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٥٣ و٣٥٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٢٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٨)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٠٩).

(٣) في (ن): «فكان».

(٤) ظاهر النص القرآني أن أمراً خارقاً للعادة جرى لمريم ورآه زكريا عليه السلام فسأل عنه، وقد مال أبو علي الجبائي إلى دفعه، أو نسبته لزكريا، وذلك على مذهب مَن يرى أن الأمر الخارق الذي يجري في عصر نبي إنما هو معجزة للنبي، وقد مال إلى هذا ابن حزم أيضاً، وردَّه الفخر الرازي. انظر: «الفصل» لابن حزم (٥/ ٢ ـ ٧)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢٠٨) و(٢٣/ ٢٨٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ٣٦٠)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٥٧ـ٣٥٨) عن محمد بن إسحاق أنه من تمام كلامها، وروى عنه أيضاً أن كلامها انتهى بـ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، واختار الطبري (٥/ ٣٥٩) أنه كلام مستأنف، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٨١) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه من تمام كلامها.

(٧) هذا بناء على ما ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٨) عن الحسن.

الحسن: استئنافٌ[١].

***

(٣٨) ـ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾ مُتَّصلٌ بالأوَّلِ على تقدير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٣٧ هُنَالِكَ﴾ يعني: في الجنّة[٢].

والجمهورُ على أنَّه مُتَّصلٌ بما بعدَه[٣].

المفضَّل: (هناك) للمكان، و(هنالك)[٤] للزَّمان[٥].

غيره: اللّام فيه مثله في (ذاك) و(ذلك)[٦].

---

(١) لعلَّ هذا بناء على الرواية التي ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧١) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٧) عن الحسن أنه قال: «كان يجد عندها قوتها، ولم ترضع ثديًا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾». وقال الحسن: «تكلَّمت وهي صغيرة»؛ ففي هذه الرواية ينتهي كلامها بـ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ كلام مستأنف، كما قال المصنِّف، ولكن لا تخلو عبارة المصنف من إشكال.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) وهو الفعل (دعا).

(٤) في (و): «هنالك».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٦)، ولفظه: «قال المفضل بن سلمة: أكثر ما يقال: (هنالك) في الزمان، و(هناك) في المكان، وقد يحمل هذا مكان هذا»، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٢٥).

(٦) وهي التي تُسمى لام البعد، وقيل: هي لغتان. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١٣١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٢٧)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (١/ ١٦٦)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٤٢).

﴿دَعَا زَكَرِيَّا﴾؛ أي: عند ذلك دعا زكريا ﴿رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ أراد: لَمّا رأى فاكهة الصَّيف في الشِّتاء وفاكهة الشِّتاء في الصَّيف على خلافِ مجرى العادةِ طمعَ في رزقِ الولدِ من العاقرِ على خلافِ مجرى العادة.

وقيل: أذنَ اللهُ له في السُّؤال.

﴿ذُرِّيَّةً﴾: ولدًا، والذُّرِّيَّةُ هاهنا واحدٌ؛ لقوله[1]: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥][2].

﴿طَيِّبَةً﴾: مباركةً.

وقيل: يبلغُ في الدِّينِ رتبةَ النُّبوّة[3].

وقيل: زاكيًا، وأنَّثَ للفظِ الذُّرِّيّة، كما قال:

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى ... وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ، ذاكَ الكَمالُ[4]

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾؛ أي: تجيبُ الدُّعاءَ، من قولنا: سمع الله لمن حمده.

***

(١) «لقوله» من (ن).

(٢) ذكر ذلك الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٠٨).

(٣) قد يفهم من لفظ المصنف هنا أن النبوة مكتسبة، وليس هذا مراده، بل مراده أن يكرمه الله تعالى بالنبوة فيكون اتصالًا للأنبياء السابقين قبله، والله أعلم.

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٨)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٢)، و«المذكر والمؤنث» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٤٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ١٧٤)، ولم أقف على من نسبه، ولا يحسن حمل الآية على ما في البيت من تأنيث (ولدته أخرى)؛ فقد عُدَّ ذلك من الشواذِّ أو الضرورة. انظر: «توضيح المقاصد» للمرادي (٣/ ١٣٥٣)، و«المساعد» لابن عقيل (٣/ ٢٨٩).

(٣٩) - ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾؛ أي: ناداه جمعٌ من الملائكة، وقيل: واحدٌ منهم، وقيل: جبريلُ.

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾: في القِبلةِ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾؛ أي: بأنَّ الله، ومَن كسرَ[١] فبإضمارِ القول.

وقيل: لأنَّ النِّداءَ قولٌ[٢].

﴿يُبَشِّرُكَ ﴾، و﴿يَبْشُرُكَ﴾[٣]؛ أي: يخبرك خبرًا تنبسطُ له بشرتُكَ من الفرح.

﴿بِيَحْيَىٰ﴾ قيل: اسم أعجميٌّ[٤].

وقيل: عربيٌّ[٥]، سُمِّي به؛ لأنَّ الله أحياه بالإيمان[٦].

---

(١) في (و): «كسرها». وقد قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة هنا، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٦)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٥٤).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففًا، وباقي السبعة: ﴿يُبَشِّرُكَ ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٤) في (ن): «عجمي». هذا منقول عن أبي علي الفارسي، وهو ما يميل إليه المصنف، وإليه ذهب أبو حيان والسمين الحلبي. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣) و(٢/ ٦٨٨)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٢٩)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٠٨)، و«الدر المصون» (٣/ ١٥٤)، و«المساعد» لابن عقيل (٤/ ٦٩).

(٥) ذهب إلى هذا النحاس. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٠).

(٦) ذهب إلى هذا الطبري، وهو مروي عن قتادة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٩ و٣٧٠).

وقيل: حييَ به رحمُ أمِّه[1].

وقيل: سمِّي يحيى؛ لأنَّه استُشهد، والشُّهداء أحياء[2].

وقيل: معناه: يموت، كالمفازةِ والسَّليمِ[3].

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جلُّ المفسِّرين على أنَّ الكلمةَ عيسى عليه السَّلام، ويحيى أوَّلُ من آمنَ بعيسى وصدَّقَه، وكان أكبرَ منه سنًّا.

وسُمِّي عيسى كلمةَ اللهِ لأنَّ الله سبحانه خلقَه بكلمتِه[4] من غيرِ أبٍ[5].

وقيل: لأنَّ النّاسَ يهتدونَ به كما يهتدونَ بكلمةِ الله، أي[6]: بكلامِه.

أبو عبيدةَ: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بكتابٍ من الله[7].

وقيل: بوعدٍ منه.

﴿وَسَيِّدًا﴾ ابنُ عبّاسٍ: كريمًا[8].

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٩٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٥) عن أبي القاسم بن حبيب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٣١).

(٤) في (ن): «بكلمة».

(٥) في (ن): «أب وهو كن».

(٦) «بكلمة الله أي» من (ن).

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩١)، وتتمة كلامه: «تقول العرب للرجل: أنشدني كلمة كذا وكذا؛ أي: قصيدة فلان وإن طالت».

(٨) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «السيد: الكريم =

سعيدُ بنُ المسيِّب: فقيهًا عالمـًا[١].

الضَّحّاكُ: الحسنَ الخلقِ[٢].

قتادةُ: حليمًا[٣].

ابنُ زيدٍ: شريفًا[٤].

﴿وَحَصُورًا﴾ قتادةُ: لا يأتي النِّساءَ مع القدرة، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ وابنِ مسعودٍ في جماعةٍ[٥].

= على ربه عز وجل»، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٥) عن مجاهد، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٣) عن الرقاشي. وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حليمًا تقيًّا».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٦٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٤)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٨٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٩).

(٥) ذكرت الروايات عن قتادة وابن عبّاس وابن مسعود أنَّ الحصور الذي لا يأتي النساء، ولم تصرِّح هذه الروايات بأن ذلك مع القدرة أو من دونها، لكنَّ المصنِّف استنبط أن ذلك مع القدرة؛ لأنَّ الفعل أُسند إليه، مما يدلُّ على اختياره ذلك، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «هو العنين»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما =

سعيد بن المسيِّب والضَّحّاك: هو العِنِّينُ الذي لا ماءَ له(١).

وروى أبو هريرة أنَّه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ بني آدمَ(٢) يَلقى اللهَ

= بلفظ: «الذي لا ينزل الماء»، ولعلَّ هذا يشير إلى أن ما استنبطه المصنِّف غير مقصود في هذه الروايات، لكنه اختيار بعض العلماء والمفسرين، كالسمعاني ونجم الدين النسفي والزمخشري والرازي وأبي حيان وغيرهم، والله أعلم. انظر: «تفسير السمعاني» (١/ ٣١٦)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٣٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٦٠)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٣٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨) عن سعيد بن المسيب بلفظ: «الحصور: الذي لا يشتهي النساء، ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخذ نواة فقال: ما كان معه إلا مثل هذه»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٤) عن الضحاك، ولفظ الطبري: «هو الذي لا ماء له»، وقد تقدمت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما بمثل ذلك أيضاً. وقد قال القاضي عياض معلِّقاً على هذه الروايات: «اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورًا ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوبًا أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حُذَّاق المفسرين، ونقَّاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه: أنه معصوم من الذنوب؛ أي: لا يأتيها كأنه حصر عنها. وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات. وقيل: ليست له شهوة في النساء. وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام، ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهي درجة نبينا ﷺ... ثم قال: والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم». انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٩٣).

(٢) في (و): «نبي».

بذنبٍ أذنبَه؛ يعذِّبُه عليه إن شاءَ أو يرحمُه[١]، إلّا يحيى بن زكريا؛ فإنَّه كان سيِّدًا وحصورًا ومن الصّالحين»، ثم أهوى النَّبيُّ عليه السَّلام يدَه[٢] إلى قَذاةٍ من الأرضِ فأخذَها وقال: «كانَ ذَكَرُهُ مِثْلَ هذهِ القَذاةِ»[٣].

وأصلُ الكلمةِ من (الحصرِ)، وهو المنعُ.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ خصَّ الأنبياءَ بذكر الصَّلاح؛ لأنَّه لا يتخلَّلُ صلاحَهم خلافُ ذلك[٤].

***

(٤٠) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أبردِّي إلى حالِ الشَّبابِ وامرأتي؟ أم تخلقُ الولدَ إبداعًا كخلقِ آدم؟ أم بأن تقوِّيَني على الجماعِ وامرأتي على القَبولِ على حالِ الكِبَرِ منّا؟

---

(١) في (و): «ويرحمه».

(٢) «يده» من (ن).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٤)، وكذا في «العلل» (٥/ ١٠١)، وقال: «لم يكن هذا الحديث عند أحد غير الحجاج، ولم يكن في كتاب الليث، وحجاج هذا هو شيخ معروف»، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حجاج بن سليمان الرعيني، وثَّقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله ثقات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤).

استفهامٌ[١] استعلامٍ، وقيل: استعظامٌ، وقيل: وسوس الشيطان[٢] أنَّ النِّداء من غير الملائكة.

﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ بحدوثِه فيَّ.

وقيل: بَلَغْتُهُ؛ على القلبِ[٣].

﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلدُ، يُقال: رجل عاقرٌ وامرأة عاقرٌ؛ أي: قعد عن الولادة، وأصلُه اللُّزومُ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: يكونُ لك الولدُ كما أنت وامرأتك من كبر السِّنِّ[٤]؛ أي: يقوِّيك على الجماع ويقوِّيها على الحَبَل.

﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: لا يعجزُه شيء.

ويحتمل أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ يُقدَّم على الموصوف، وتقديره: الله يفعل ما يشاء فعلًا كذلك؛ أي: كما وعدك من خلق الولدِ من شيخٍ وشيخةٍ.

* * *

(٤١) - ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

---

(١) في (و): «على حال الاستفهام».

(٢) في (و): «وسوس إليه».

(٣) ذكر ذلك ابن قتيبة، وقال السمين الحلبي: «ولا حاجة إليه». انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢٣)، و«الدر المصون» (٣/ ١٥٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤)، واستغربه، و(كذلك) على هذا التقدير في موضع نصب حال.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾: علامةً أعرفُ وقتَ عُلوق الولد. وإنما سألَ الآيةَ ليتمَّ له السُّرورُ ويزيدَ في الشُّكر.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: لا تقدرُ على الكلامِ مع النّاسِ ثلاثةَ أيّامٍ وأنت سويٌّ صحيحٌ.

وقيل: أُمِرَ أن يصومَ ثلاثةَ أيّامٍ، وكانوا لا يتكلَّمون في صومِهم.

قتادة والرَّبيع: ربا لسانُه في فيه حتَّى ملأه ثلاثةَ أيّام؛ عقوبةً له على المراجعة، ثمَّ أطلقَه الله(١).

والأوَّلُ أظهرُ؛ لقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ ابن عبّاسٍ: يُومِئُ بيده(٢).

الضحّاكُ: يشيرُ بيده أو رأسه(٣).

الزَّجّاجُ: الرَّمزُ: تحريكُ الشَّفتين(٤) باللَّفظِ من غير إبانةٍ بصوتٍ(٥).

---

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٣) عن قتادة، وروى قريباً منه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٦) عن قتادة والربيع، وأقرب الألفاظ من لفظ المصنف ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٧) عن جوبير بن نفير قال: «ربا لسانه في فيه حتى ملأه، ثم أطلقه الله بعد ثلاث»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤) و(٢/ ٦٨٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٩)، وذكره ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٦).

(٤) في (ن): «الشفة».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٩).

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ باللِّسانِ، وقيل: بالقلبِ.

﴿وَسَبِّحۡ﴾ الزَّجّاج: صلِّ، والسُّبْحةُ: الصَّلاةُ[1].

وقيل: المرادُ بالذِّكرِ والتَّسبيحِ الصَّلاةُ؛ لأنَّه مُنِعَ الكلامَ بكلِّ شيء.

وقيل: لم يُمنَع من ذِكرِ الله، كما سبق.

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: بعدَ العصر. وقيل: بعدَ الزَّوال.

والعشيُّ: آخرُ النَّهار، والعشاءُ: من وقت غروب الشَّمس إلى أن يمضيَ صدرٌ من اللَّيل.

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: بعد صلاةِ الصُّبح؛ أي: وقتِ الإبكار، وهو مصدرُ (أبكَرَ)؛ إذا خرج[2] بُكرةً.

ويُحتمَلُ أنَّ العشيَّ والإبكارَ: اللَّيلُ والنَّهار[3].

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عطفٌ على ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾، والكلامُ في العامل فيه قد سبق.

والمرادُ بـ[4] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هنا: جبريلُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٩).

(٢) في (و): «إذا أخرج».

(٣) انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٤١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٤٢).

(٤) «والمراد بـ» من (ن).

﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾: اختارَكِ واستخلصَكِ حينَ قَبِلَكِ في النَّذر.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ الحسن ومجاهد: بالإيمانِ عن الكفر(١).

وقيل: طهَّركِ عن الحيضِ؛ فلم تحض قطُّ(٢)، وهذا مُزَيَّفٌ.

وقيل: طهَّركِ عن سائرِ الأدناس.

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ بولادةِ نبيٍّ من غيرِ مَسيسِ بشرٍ.

﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانهم.

وقيل: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ.

* * *

(٤٣) - ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ مجاهدٌ: أطيلي القيامَ في الصَّلاة(٣).

قتادة: أديمي طاعةَ ربِّك(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٧) عن مجاهد بلفظ: «جعلك طيبة إيمانًا»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨١) عن الحسن ومجاهد.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٠)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٧) عن السدي.

(٣) في (و): «الصيام». رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٤) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٨) بلفظ: «أطيلي الركود»، وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٨) أنها قامت حتى ورم كعباها، أما لفظ المصنف فقد ذكره ابن زمنين في «تفسيره» (١/ ٢٨٨) والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢) والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٤٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٢)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» =

وقيل: أخلصي.

وأصلُ القُنوتِ: الدَّوامُ.

﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾: الواوُ للجمعِ دونَ التَّرتيب[1].

وقيل: كان في شريعتِهم كذلك.

ويحتمل أن يكونَ: واسجدي من الرَّكعة الأولى، واركعي من الرَّكعة الثَّانية.

﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: افعلي فعلَهم.

وقيل: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: في جماعةٍ.

***

(٤٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الخبر ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ من أخبارٍ غِبْتَ عنها، فلم تشاهدْها.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾: نُلقيه إليك، فعلِمْتَها بإيحائِنا[2] إليك شرحَها.

= (١/ ١٩٨)، كلهم بلفظ: «أطيعي ربك»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢) بلفظ المصنف.

(١) فالمعنى: اركعي واسجدي، والقول بأن الواو لا تفيد الترتيب قول أكثر الفقهاء والنحاة وأهل اللغة، ونُسب للإمام الشافعي وثعلب والفراء وقطرب وابن درستويه قولهم: إن الواو تفيد الترتيب. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٠٨)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٨١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٥٨)، و«البحر المحيط» للزركشي (٣/ ١٤٣)، و«شرح الكوكب المنير» لابن النجار (١/ ٢٢٩).

(٢) في (و): «نعلمها بإيحائها».

والإيحاءُ: إلقاءُ المعنى إلى صاحبِه، والإيحاءُ: الإلهامُ، والإيحاءُ: الإيماءُ[١].

ابن عيسى: الوحيُ: الكتابةُ، وَحِيَ يَحِيْ وَحْيًا؛ إذا كتبَ[٢]؛ لأنَّه يُلقي المعنى إلى صاحبه[٣].

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾: عندهم ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ أبو عبيدة: قِداحَهم[٤].

الرَّبيع: عِصيَّهم[٥].

ابن بحر: سهامَهم[٦].

وقيل: هي الأقلامُ التي كانوا يكتبونَ بها التَّوراةَ[٧]، وكلُّ ما قُطِعَ طرفُه فهو قلم.

﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾؛ أي: لينظروا أيُّهم يكفلُ مريمَ بضمِّها ويقومُ بمصالحها.

والمعنى: أنَّ الأخبارَ إنَّما تُعلَمُ بمشاهدةِ الحالِ أو بقراءةِ الكتبِ أو بالتَّعلُّم، وقد بطلَت هذه الوجوهُ في حقِّك، فبقيَ الوحي، فصحَّ أنَّه وحيٌ من الله إليك.

---

(١) انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٣٤١).

(٢) لم أقف على مَن نسبه لابن عيسى غير المصنِّف، وانظر: «العين» (٣/ ٣٢٠)، و«التقفية» للبندنيجي (ص: ٦٨٨)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٧٥) مادة: (و ح ي).

(٣) «والإيحاء: الإلهام، والإيحاء الإيماء، ابن عيسى: الوحي الكتابة وحي يحي وحياً؛ إذا كتب؛ لأنه يلقي المعنى إلى صاحبه» من (ن).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥) بلا نسبة، واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥) بلا نسبة.

(٧) ذكره الليث في «العين» (٥/ ١٧٤) مادة: (ق ل م)، ورواه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٩) عن ابن جريج، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ قتادة: تشاحَّ القومُ لحرصهم على كفالتها لفضلها حتى اختصموا، ثم اتَّفقوا على الرِّضا بالقُرعة[1].

ابن عبّاسٍ: وكانوا سبعةً وعشرين رجلًا[2].

وقيل: تدافعوا كفالتها؛ لشدّة الأزمة في زمانها[3].

فألقوا أقلامَهم في نهرٍ جارٍ على أن يكونَ مَن جرى قلمُه في استقبالِ الماءِ فهو الذي يكفلُها ـ وقيل: وقع الاتِّفاقُ على قيامِ القلمِ في وجه الماء ـ فجرى قلمُ زكريا في استقبالِ الماءِ، أو ثبت في وجه الماء، فصارَت القرعةُ له.

واستقبالُ القلمِ الماءَ كان معجزةً لزكريا، وقيل: تأسيسًا لأمرِ عيسى عليه السَّلام.

***

(٤٥) ـ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾؛ أي: ببشارةٍ، والكلمةُ: البشارةُ.

وقيل: الكلمةُ: عيسى، وسمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّه كانَ بقوله: (كن) من غيرِ والدٍ.

وقيل: سُمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّ اللهَ سبحانه ذكرَه في الكتبِ المتقدِّمةِ والصُّحفِ السّالفة، فهو كما يقول المخبِرُ بأمرٍ يكونُ إذا كانَ: قد[4] جاءَ قولي، وظهرَ كلامي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥)، واستغربه.

(٤) «قد»: ليس في (ن).

ومِن ذكرِه في التَّوراة: «أتانا اللهُ من سيناء، وأشرقَ من ساعير، واستعلنَ[١] من جبال فاران»[٢].

وساعيرُ هو الموضعُ الذي بُعثَ منه المسيحُ.

وفي التَّوراة أيضًا: «إنَّ الله يبعثُ نبيًّا من بني اسرائيل، يخرجُه من أنثى بلا ذكرٍ، ويجعلُ أدلَّتَه: الكلامَ في المهد، وإحياءَ الموتى، وإبراءَ الأكمهِ والأبرص»[٣].

وقيل: سُمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّ الله يهدي به كما يهدي بكلمتِه.

﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ﴾ الحسن وسعيد بن جبير: سُمِّي مسيحًا؛ لأنَّه مُسِحَ بالبركة[٤].

وقيل: خرج من بطن أمِّه ممسوحًا بالدُّهن.

وقيل: لأنَّه كان أمسحَ الرِّجْل، ليس لرجلِه خَمَصٌ، وهو ما جفا عن الأرض.

وقيل: سُمِّي مسيحًا؛ لأنَّه كان لا يمسحُ ذا عاهةٍ إلّا شفاه الله[٥].

وقيل: المسيحُ: الصِّدِّيقُ.

وقيل: لأنَّه كان[٦] يمسحُ الأرضَ بسياحتِه، لا يستوطنُ مكانًا.

---

(١) في (و): «واستعلى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، وهو في الباب الثالث والثلاثين في التوراة من سفر تثنية الاشتراع.

(٣) لم أقف على هذا النص فيما بين يدي من مصادر.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١٠) عن سعيد بن جبير، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٤)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٥٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٣) عن الحسن وسعيد.

(٥) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٦) «كان» من (ن).

وقيل: المسيحُ اسمٌ سمّاه الله به.

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: اسمٌ أعجميٌّ.

الزجّاج: كان أَيْشُوع، فعُرِّبَ[1].

﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: كريمًا لا يُرَدُّ وجهُه.

﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾: يكونُ من[2] عِلْيةِ المرسلين.

وقيل: ﴿وَجِيهًا﴾: ذا وَجْهٍ وجاهٍ، تقول: (وَجُهَ يَوْجُهُ وَجاهةً)، و(جاهَ يجوهُ جاهًا) مقلوبُه وبمعناه[3].

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: إلى كرامتِه.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ معجزةً له وبراءةً لأمِّه.

﴿وَكَهْلًا﴾ بالنُّبوّةِ.

وقيل: ﴿وَكَهْلًا﴾[4]: بعد نزولِه من السَّماء.

وقيل: أعلمَها[5] الله أنَّه يبقى إلى حالِ الكُهولةِ.

وقيل: كلامُه في المهدِ ككلامِه في الكُهولةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٠)، وفيه: «يشوع».

(٢) في (ن): «في».

(٣) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٧٩).

(٤) «وكهلا» من (ن).

(٥) في (ن): «أعلمه».

مجاهدٌ: الكهلُ: الحليمُ[(١)].

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: من الأنبياء.

***

(٤٧) ـ ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾: من أين وكيف؟

﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾: لم يقربني رجلٌ، و(المسُّ) كنايةٌ، وأصلُه التقاءُ جسمَين[(٢)]؛ تعجبَتْ ممّا خرجَ من العادة.

وقيل: استفهمَت؛ أيكونُ الولدُ على مجرى العادةِ أم على خلافِها؟

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أن يكونَ المعنى: كما أنتِ عليه من الحالِ يكونُ لكِ[(٣)] الولدُ؛ أي[(٤)]: الله ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ بلا مادّةٍ ولا آلةٍ.

وقيل: تقديرُه: اللهُ يخلقُ ما يشاءُ خلقًا كذلك؛ أي: كخلقِ الولدِ من غيرِ والدٍ.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾: إذا قدَّرَ وقوعَه، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سبقَ تفسيرُه في (سورة البقرة).

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٥)، وقد ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ١٥٩) وقال: «هذا لا يُعرف في اللغة، وإنما الكهل عند أهل اللغة مَن ناهزَ الأربعين».

(٢) في (ن): «الجسمين».

(٣) «لك» من (ن).

(٤) «أي» من هامش (ن).

(٤٨) - ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: الكتابة. وقيل: اللّامُ للجنس؛ أي: كتبَ الله.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: سائرَ أنواعِ العلم، وقيل: علمَ النُّبوّةِ، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

* * *

(٤٩) - ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الزَّجّاج: هو عطفٌ على قولِه: ﴿وَجِيهًا﴾ و﴿وَكَهْلًا﴾[(١)].

الفرّاء: ويجعلُه رسولًا؛ أي: مُرسَلًا إلى بني اسرائيل[(٢)].

﴿أَنِّى﴾: بأنّي ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بدلالةٍ تدلُّ على صدقي فيما أدَّعيه من النُّبوّة.

﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾؛ أي: أُقدِّرُ وأُصوِّرُ من الطِّينِ[(٣)] ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾

---

(١) هذا معنى كلام الزجاج؛ فإنه ذكر الوجه المذكور عن الفراء، ثم قال: «والاختيار عندي والله أعلم: ويكلم الناس رسولًا إلى بني إسرائيل»، وعبارة المصنف قريبة من عبارة الراغب الأصفهاني ونجم الدين النيسابوري. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٧٣)، و«إيجاز البيان» للنيسابوري (١/ ١٩٢).

(٢) لم أقف على هذا الوجه في «معاني القرآن» للفراء، ولم أقف على مَن نسبه له، وقد ذكره الزجاج والنحاس، واختاره أبو حيان. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥٩)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٦١).

(٣) «من الطين» من (ن).

الهيئةُ: الحالُ الظاهرةُ، تقولُ: هاءَ يَهاء، والـهَيِّئُ: الحَسَنُ الهيئةِ[١] من كلِّ شيء[٢].

والمهايأةُ: أمرٌ يَتهايأُ عليه القومُ ويتراضَون به.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: في الطَّير، والنَّفخُ: الرِّيحُ تخرجُ من الفم.

﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بأمرِه دونَ فعلي[٣].

وجاء في التَّفسيرِ أنَّه الخفّاشُ فحسب[٤].

﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾: الأعمى، وقيل: الذي يُولَدُ أعمى[٥].

عكرمة: الأعمش[٦].

مجاهد: الأعشى[٧].

﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾: الذي به وَضَحٌ.

---

(١) «الهيئة» من (ن).

(٢) انظر: «العين» (٤/ ١٠٣)، و«المحكم» لابن سيده (٤/ ٤٤٧) مادة: (ه ي ء).

(٣) في (و): «فعله».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٣٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٢٠).

(٥) الأول قول الأصمعي والضحاك، والثاني قول أبي عبيدة، وهو مروي عن ابن عباس وقتادة. انظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٤٨٢)، و«تفسير ابن المنذر» (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٥).

(٧) هذا معنى ما رُوي عن مجاهد، وقد علَّقه البخاري قبل حديث (٣٤٣٣) بلفظ: «الأكمه: من يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢١) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٩) وغيرهما بنحو لفظ البخاري، وأنكر صحَّته الراغب في «تفسيره» (٢/ ٥٧١)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٦٥) بلفظ المصنِّف.

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أدعو اللهَ بإحياءِ الموتى.

وذكرَ المفسِّرون أنَّه أحيا أربعةَ أنفسٍ[١]:

عازرَ: وكان صديقًا له، فأرسلَت أختُه إلى عيسى أنَّ أخاك عازرَ يموتُ فَأْتِه، وكان بينه وبينه مسيرةُ ثلاثِ ليالٍ، فأتاه هو وأصحابُه فوجدوه قد مات منذ ثلاثةِ أيّامٍ، فقال لأختِه: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرةٍ مطبقةٍ، فقال عيسى: اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وربَّ[٢] الأرضين السَّبع، إنَّك أرسلتَني إلى بني اسرائيل أدعوهم إلى دينِك، وأُخبرُهم أنّي أُحيي الموتى بإذنِك، فأحيِ عازرَ، قالوا: فقامَ عازرُ ووَدَكُه يقطُرُ، فخرجَ من قبرِه، وبقيَ ووُلِدَ له.

وابنَ العجوزِ: مُرَّ به ميتًا على عيسى على سريرٍ يُحمَلُ، فدعا اللهَ عيسى، فجلسَ على سريره، ونزلَ عن[٣] أعناقِ النّاس، ولبسَ ثيابَه، وحملَ السَّريرَ على عنقِه، ورجعَ إلى أهله، فبقيَ ووُلِدَ له.

وابنةَ العاشرِ: قيل له: أتحييها وقد ماتَتْ أمسِ؟ فدعا الله عزَّ وجلَّ فعاشَتْ، وبقيَت ووُلِدَ لها.

وسامَ بنَ نوحٍ: دعا عيسى عليه السَّلام باسمِ اللهِ الأعظم، فخرجَ من قبرِه وقد شابَ نصفُ رأسِه، فقال: قد قامَت القيامة؟! قال: لا، ولكنِّي دعوتُك باسمِ اللهِ الأعظم[٤]،

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٦ـ٣٣٨).

(٢) «رب» من (ن).

(٣) في (و): «على».

(٤) «فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم» من (ن).

قالوا: ولم يكونوا يشيبون(١) في ذلك الزَّمان، وكان سامُ قد عاشَ خمسَ مئةِ سنةٍ وهو شابٌّ، ثمَّ قالَ له: مت، قال: بشرطِ أن يعيذَني الله من سكراتِ الموت، فدعا الله سبحانه ففعلَ(٢).

قال الكلبيُّ: كان عيسى عليه السَّلام يُحيي الموتى(٣) بـ(يا حيُّ ويا قيُّوم)(٤).

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾: أخبرُكم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: بالذي تأكلونَ، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: وبالذي تدَّخرون.

وقيل: بأكلِكم وادِّخارِكم.

وهو افتعالٌ من (الدُّخْر)، وهو خَبْءُ الشَّيء لنائبةٍ.

قال قتادة: إنَّما هذا في المائدةِ التي كانَت تنزلُ عليهم أينما كانوا، فأُمِروا أن لا يخونوا ولا يُخبِّئوا لغدٍ(٥).

﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ﴾؛ أي: فيما تقدَّمَ.

﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ هذا من تمامِ كلامِ عيسى، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا من اللهِ تعالى.

---

(١) في (و): «يكن يشيبون».

(٢) روى الطبري في «تاريخه» (١/ ١٨١) خبر إحياء ابن نوح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (ص: ٥٣) عن معاوية بن قرة.

(٣) في (ن): «الأموات».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٧٣).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢١٠).

وإنما وحَّد (آية) وقد تقدَّمَت[1] آياتٌ ومعجزات؛ لأنَّه جوابٌ لمن طلبَ علامةً لينقادَ لِما يُرادُ منه، وكذلكَ حيثُ توحَّدَت، وحيثُ[2] جُمِعَت إنَّما جُمِعَت لتعدادِ الدِّلالات.

ويُحتمَلُ أنَّ التَّوحيدَ في الآية لتفرُّدِ المدلولِ عليه، وهو نبوّةُ عيسى عليه السَّلام هاهنا.

والمعنى: مَن كانَ شأنُه أن يُؤمنَ عند مشاهدةِ الدِّلالاتِ[3] فليؤمِنْ؛ فقد جاءته الآيات[4].

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ نصبٌ على الحال.

و(مِن) للتَّبيين، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾[5]: عطفٌ على معنى الكلام؛ أي: جئتكم[6] لأصدِّقَ ولأحلَّ لكم ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أحلَّ اللهُ في الإنجيل ما حُرِّمَ في التَّوراةِ من قولِه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية[7].

---

(١) في (و): «تقدم».

(٢) «حيث» من (ن).

(٣) في (ن): «الآيات».

(٤) في (ن): «آيات».

(٥) في (و): «ولأحرم لكم».

(٦) «جئتكم» من (ن).

(٧) «الآية» من (ن).

أبو عبيدة: (بعض) هاهنا بمعنى: (كلّ)[1]، واستدلَّ بقولِ الشّاعر:

تَـــرّاكُ أمْكِنَـــةٍ إذا لَـمْ يـرْضَـهـــا أوْ يَرْتَبِـطْ بَعْـضَ النُّفـوسِ حِمامُـهـا[2]

وهـذا فـي اللُّغـةِ لا يُنكَـر[3]، وأمّـا فـي الآيـة فبعيـدٌ؛ إذ[4] لـم يُحِلَّ لهـم القتلَ والزِّنا والسَّـرقة.

﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرَّرَ ذكرَ الآية؛ لأنَّ الأولى معجزةٌ، والثّانيةَ آيةٌ من الإنجيل.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: تأكَّدَتِ الحججُ وتظاهرَتْ، فاتَّقوا الله في خلافي، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في أمري ونهيي.

* * *

(٥١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أُقِرُّ بالعبوديّةِ له، خلافَ زعمِ النَّصارى لعنَهم الله.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه وأطيعوه دوني.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤).

(٢) البيت للبيد بن ربيعة. انظر: «شرح ديوانه» تحقيق: إحسان عباس (ص: ٣١٣)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦٠)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٩٩)، ورواية «الديوان»: «أرضها أو يعتلق».

(٣) لم ينفرد أبو عبيدة بهذا القول؛ فقد ذهب إليه كراع النمل في «المنتخب» (ص: ٦٣٦)، وذكر الأنباري كلمة (بعض) في «الأضداد» (ص: ١٨١)، وذكر الخلاف فيها، أما الطبري فردَّ في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٦) هذا القول في الآية والبيت جميعاً، وكذا أنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٥) و(٤/ ٤١٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٣) فقال: «وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغة؛ لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل».

(٤) في (ن): «إذا».

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: مُؤدٍّ بسالكِه إلى الإيمانِ والجنان.

ويحتمل الاتِّصالَ والانفصالَ[١].

***

(٥٢) - ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾: رأى وسمع، والإحساسُ: العلمُ يحصلُ بالحواسِّ، تقولُ: أحسستُه فهو محسوسٌ، كأحببتُه فهو محبوبٌ.

﴿مِنْهُمُ﴾: من اليهود ﴿ٱلْكُفْرَ﴾ حين همُّوا بقتلِه.

أي: رأى أفعالًا دلَّتْ عليه، وسمع أنَّهم في التَّدبير.

﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ استنصرَ على دفعِهم، ولم يكن عيسى ليرى[٢] قتالَهم لو لم يَبدؤوا به.

والأنصارُ: جمعُ (ناصرٍ) كأصحابٍ، وقيل: جمعُ (نصيرٍ) كأشرافٍ[٣].

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: مع الله[٤].

---

(١) أي: يحتمل أن يكون تتمة كلام عيسى عليه السلام، أو كلاماً مستأنفاً من الله تعالى.

(٢) في (و): «يرى».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٤٠).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢١٨)، والأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٤٠)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٥١٦)، وكراع النمل في «المنتخب» (ص: ٦١٠)، وذكره أيضًا الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٩) و(٥/ ٤٣٦)، ورواه عن السدي وابن جريج، وأنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٦) والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٧٩).

ابـن عيسـى: هـو إذا كان في الكلامِ بمعنـى[1] المصاحبـةِ كقولِهم: «الـذَّودُ إلى الـذَّودِ إبـلٌ»[2]؛ أي: مَـن يضيفُ نصرتَـه إيّاي إلـى نصرةِ الله.

الحسن: دعاهم إلى سبيلِ الله[3].

وقيل: من أنصاري لله[4]؛ لأنَّ اللّامَ للغرض[5]، و(إلى) للانتهاء[6].

أبو عبيدة: مَن أعواني في ذاتِ الله[7].

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ الزَّجّاج: هم صفوةُ الأنبياءِ، أطاعوهم لإخلاصِهم في التَّصديق[8].

وقيل: كانوا قصّارين، سمُّوا به لتحويرِهم الثِّياب[9]، ....

(١) في (ن): «معنى».

(٢) «الذود إلى الذود إبل» من أمثال العرب، ويعنون به: إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرًا، والذود من الإبل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وهي مؤنثة، ولا واحدَ لها من لفظها. انظر: «الأمثال» لابن سلام (ص: ١٩٠)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٤٦٢)، و«الصحاح» للجوهري مادة: (ذ ود)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٧٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٤)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٣).

(٤) في (و): «إلى الله». وقد اختار هذا المعنى أبو علي الفارسي. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٧٣).

(٥) أي: للتعليل.

(٦) في (ن): «للنهاية».

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٧).

(٩) تحوير الثياب: تنظيفها وتبييضها. انظر: «الزاهر» للأنباري (١/ ٢٨)، و«أمالي الزجاجي» (ص: ١٥٤)، و«مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٢٥٦).

ومنه خبر: «حواريَّ»(١)، والحواريّات(٢)، والحُور(٣).

وقيل: كانوا صيّادين.

وقيل: كانوا ملوكًا(٤).

وقيل: الحواريُّ: الصِّدِّيق(٥).

﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾؛ أي: فأجابَه الطّائفةُ المؤمنة، وقاتلُوا معه، فأظهرَه اللهُ عليهم، فأصبحُوا ظاهرين(٦).

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: أقرُّوا بالإيمانِ أوَّلًا، ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: وأشهدُوا(٧) عيسى على إسلامِهم، فدلَّ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ(٨).

---

(١) يشير إلى حديث: «إن لكل نبي حواريًّا وإن حواريَّ الزبير بن العوام»، رواه البخاري (٢٨٤٧) ومسلم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٥): «الحواريات: من النساء اللاتي لا ينزلن البادية، وينزلن القرى»، وقال الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٧): «ويقال لنساء الأنصار: حواريات؛ لأنهن تباعدن عن قشف الأعرابيات بنظافتهن».

(٣) «ومنه خبر حواري والحواريات والحور» من (ن). والحور: جمع حوراء، والعين الحوراء هي التي اشتدَّ بياضها واشتدَّ سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء، إلا أن تكون مع حَوَرِ عينها بيضاءَ. انظر: «العين» (٣/ ٢٨٨) مادة: (ح ور).

(٤) ذكر الزجاج جميع هذه الأقوال في تفسير الحواريين، وقد تصرَّف المصنِّف في عبارته واختصرها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

(٥) لم أقف على مَن ذكر هذا قبل المصنِّف، وقد نسبه أبو حيان إليه في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٣).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وفي العبارة شيء، ولعلها تستقيم بحذف كلمة (عليهم)، والله أعلم.

(٧) في (ن): «وأشهد».

(٨) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص: ٥٧)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٢٦)، و«مقالات =

(٥٣) ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾: الإنجيلَ، ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عيسى، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أثبتْ أسماءَنا مع الذين شهدوا للأنبياءِ عليهم السَّلام بالتَّصديق.

وقيل: مع النَّبيِّين.

وقيل: مع محمَّدٍ ﷺ وأمَّتِه؛ لنفوز بما فازوا به.

والاتِّباعُ: سلوكُ طريقِ الدّاعي على الإجابةِ له إلى ما دعا إليه.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ بعيسى حين أرادوا قتلَه وصلبَه، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بردِّهم.

وقيل: ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ بإضمارِ الكفر، و﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بمجازاتِهم.

والمكرُ: إظهارُ الجميلِ؛ ليُغَرَّ به الغبيُّ، وأصلُه الالتفاف، ومنه الـمَكْرُ[1]، وهو ضربٌ من الشَّجرِ بهذه الصِّفة، والمرأةُ الممكورةُ: الملتفَّةُ الخَلْق[2].

أبو عبيدة: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: أهلكَهم[3].

الزجّاج: كان عيسى عليه السَّلام في بيتٍ له كُوّة، فدخلَ رجلٌ ليقتلَ عيسى،

= الإسلاميين» له (١/ ٢٢٧)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، و«الفصل» لابن حزم (٣/ ١٠٥).

(١) في (و): «المكرر».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ١٣٦) مادة: (م ك ر).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٥).

فرُفِعَ عيسى من البيت، وخرج الرَّجل في شَبَهِه يخبرُهم أنَّ عيسى ليس في البيت، فقتلوه[١]، فهذا مكرُ الله[٢].

السُّدِّيُّ: قال عيسى لقومه: أيُّكم يأخذُ صورتي وله الجنّة؟ فأخذَها واحدٌ منهم، فأُخِذَ وصُلِبَ[٣].

المفضَّل: ودبَّروا ودبَّر الله، والمكرُ: ألطفُ التَّدبير[٤].

ابن عيسى: المكر قبيحٌ، وإنَّما جاز في صفة الله سبحانه على وجهِ[٥] مزاوجةِ الكلام، نحو: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤][٦].

قال: وهذا أحدُ وجوهِ البلاغة، وهي[٧] على أربعةِ أوجهٍ[٨]:

المزاوجِ: نحو هذا؛ يعني: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾.

---

(١) في (ن): «فقتلوه وصلبوه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٧)،

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٥).

(٥) «وجه» من (ن).

(٦) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ص: ٩٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٧٥)، وقد تقدم القول في مزاوجة الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾.

(٧) علَّق الرماني على هذه الآية في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ١٠٠) بقوله: «فجونس بالقلوب التقلب، والأصل واحد؛ فالقلوب تتقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر، والأصل التصرف».

(٨) ذكر الرماني الوجهَ الأول والثاني في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٩٩ ـ ١٠٠)، وذكر المصنف نحو كلامه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤).

والمجانسِ: نحو قولِه: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧][1].

والمطابقِ: نحو: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] بالنَّصبِ؛ على مطابقةِ الجوابِ السُّؤال[2].

والمقابلِ: نحو قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥][3].

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّ رجلًا سأل جُنيدًا فقال: كيف رضيَ الله سبحانه لنفسِه المكرَ وقد عابَ به غيرَه؟! فقال: ما[4] أدري ما تقولُ، ولكنْ أنشدني فلانٌ الطَّبرانيُّ:

ويَقْبُحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عندي ... وتفعلُه فيحسُنُ مِنكَ ذاكا

---

(١) في (و): «وهو».

(٢) ذكر العسكري أن الناس قد أجمعوا على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد، وخالفهم قدامة بن جعفر، فقال: «المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى»، وقد وصفت المطابقة بأنها أحسن محاسن البديع، ولكن ليس في الآية التي مثَّل بها الرماني ما ذكره أهل البلاغة في المطابقة، ولكنا وجدنا أنَّ ابن رشيق نقل عن الرماني قوله: «المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان»، وقد استحسن ابن رشيق هذا التعريف، والحقيقة أن الآية التي مثَّل بها الرماني مناسبة لتعريفه للمطابقة. انظر: «قواعد الشعر» لثعلب (ص: ٦٠)، و«البديع» لابن المعتز (ص: ٢٧ و١٢٤)، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص: ٨٩)، و«المنصف» لابن وكيع (ص: ١٦٠)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٣٠٧)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٦).

(٣) المقابلة هي إيراد كلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ، وقد يكون على جهة الموافقة أو المخالفة. انظر: «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص: ٤٧)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٣٣٧)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٥).

(٤) في (ن): «لا».

قال: سألتُك عن آيةٍ من كتابِ الله فتخبرُني بشعرِ الطَّبرانيِّ[١]! فقال: قد أجبتُك إن كنتَ تعقلُ ذاك[٢].

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أفضلُ الـمُجازين.

***

(٥٥) - ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ البصريُّون: تقديرُه[٣]: إنِّي رافعُك ومطهِّرُك ومتوفِّيك بعد إنزالي إيّاك من السَّماء إلى الدُّنيا، والواوُ لا توجبُ التَّرتيب[٤].

الحسن والفرّاء: التَّوفِّي بمعنى القبض؛ أي: آخذك وافيًا من غير موتٍ[٥].

الرَّبيع: وفاة نومٍ؛ أنامَه اللهُ، ثم رفعَه إلى السَّماءِ في نومِه[٦].

وقيل: أماتَه الله سبعَ ساعاتٍ، ثم أحياه[٧]، فرفعَه إلى السَّماء.

---

(١) «قال: سألتك عن آية من كتاب الله فتخبرني بشعر الطبراني» من (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٦٥)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٧٥)، واسم الشاعر فيهما الظهراني، وقد ذكر المصنف هذه الحكاية في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، واستغربها.

(٣) «تقديره» من (ن).

(٤) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٨١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٥٨).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨) عن الحسن، وذكره إمام الكوفيين الفراء وجهاً في «معاني القرآن» (١/ ٢١٩)، كما ذكر الوجه الأول الذي ذكره المصنِّف.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٩).

(٧) في (و): «أحياه الله».

والصَّحيحُ أنَّه رُفِعَ إلى السَّماء، ثم ينزلُ فيموت[١].

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إلى محلِّ كرامتي، كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩].

وقيل: رافعُك إلى جنَّتي.

وقيل: أرفعُ درجتَك وذِكْرَك، من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: مخلِّصُك منهم.

وقيل: أمنعُك من أن ينالوك بقتلٍ أو أذى. وقيل: مخرجُك منهم. وقيل: نُفرِّقُ بينك وبينهم. والكلُّ واحدٌ.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾: سلكوا منهاجَك، وهم النَّصارى.

وقيل: هم أمّةُ محمَّدٍ ﷺ.

﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: هم اليهود.

وقيل: اليهود والمشركون.

وفوقَهم؛ أي: في الحُجّة.

وقيل: في البَسْطة؛ لا يكونُ لليهودِ مملكةٌ كما للمسلمينَ والرُّوم[٢].

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدِّينِ وأمرِ عيسى عليه السَّلام.

* * *

(١) وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٥٠).

(٢) وُفِّق المصنِّف في تضعيف هذا القول؛ فقد صار لليهود دولة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥٦ ـ ٥٨) ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: خبرُ عيسى وأمِّه ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: نقصُّه عليك ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾: من علاماتِ نبوَّتِك.

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: القرآن المحكم.

وقيل: اللَّوح المحفوظ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأٌ، ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾: خبرُه، و﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: حالٌ، ومَن أجازَ وصلَ الإشاراتِ جعلَه صلةً[1].

* * *

(٥٩) ـ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ سببُ[2] النُّزولِ: أنَّ وفدَ نجرانَ قالُوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتمُ صاحبَنا؟ قال: «وما أقولُ؟» قالوا: تقولُ: إنَّه عبدُه، قال: «أجل، هو عبدُ اللهِ ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى العذراءِ البتولِ»، فغضبُوا وقالوا: هل رأيتَ

(١) أجاز الزجاج والزمخشري أن تكون (ذلك) بمعنى (الذي)، و(نتلوه) صلة لها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٦٧)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٢١٧).

(٢) في (ن): «في سبب».

إنسـانًا قـطُّ مـن غيرِ أبٍ؟ فـإنْ كنتَ صادقًـا فأرنا مثلَـه، فأنزلَ الله هـذه الآية[١].

والمعنى: أنَّ مثلَ خلقِ عيسى عندَ الله من غيرِ أبٍ كمثلِ آدمَ خُلِق من غيرِ أبٍ، بل الأعجوبةُ فيه أكثرُ؛ لأنَّه خُلِقَ من غيرِ أبٍ ولا أمٍّ.

﴿خَلَقَهُۥ﴾؛ أي: خلقَ آدمَ ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: (ثم) مع الجملةِ قد يدلُّ على التَّقديم[٢].

وقيل: التَّراخي هاهنا في الإخبار[٣].

ومعنى ﴿خَلَقَهُۥ﴾: قدَّره، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: ثم كوَّنَه[٤].

وقيل: ثمَّ قال لعيسى: كن[٥].

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فكان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عن غيره أيضًا انظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٨٢).

(٢) مذهب الجمهور أنَّ (ثم) تدلُّ على الترتيب والتراخي، وقد ذهب الفراء والأخفش وقطرب، وتبعهم المصنِّف إلى أنَّ هذا الترتيب والتراخي ليس بلازم، وأنها قد تفيد التقديم، ولا تدل على الترتيب، وقد ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٠)، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٥)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٥/ ٨٧).

(٣) هذا الوجه ليس بمستقل عن الوجه الأول، وهو حجة الفراء عليه، وقد حاد عنه الزجاج وأنكره ابن عصفور. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٦) و(٢/ ٤١٥)، وللزجاج (٤/ ٣٤٥)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٢٧).

(٤) ذكر هذا الوجه الرازي نقلًا عن أبي مسلم الأصفهاني. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢٤٤).

(٥) «ثم مع الجملة قد يدل على التقديم، وقيل: التراخي هاهنا في الأخبار ومعنى خلقه قدره ثم قال له كن أي ثم كونه وقيل: ثم قال لعيسى كن» من (ن). وقد ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣١٦)، وارتضاه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٠)، واستغربه.

(٦٠) ـ ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ذلك الخبرُ في أمرِ عيسى الحقُّ من ربِّك.

﴿فَلَا تَكُن﴾ أيُّها[1] السّامعُ ﴿مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشّاكِّين في أمر عيسى.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام، والمرادُ به غيرُه.

والامتراءُ: الشَّكُّ، وكذلك (المِرْيةُ)، وأصلُه من (مَرَيْتَ الضَّرعَ)؛ إذا استخرجْتَ اللَّبنَ منه.

***

(٦١) ـ ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى.

وقيل: في الحقِّ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: من الوحيِ والقرآنِ في شأنِ عيسى عليه السّلام.

﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾: هلمُّوا.

تعالَيْتُ أَتعالى، وأصله: المجيء إلى ارتفاعٍ من العلوِّ، إلّا أنَّه كَثُر حتى صارَ لكلِّ مجيءٍ[2].

والمخاطبون هم وفدُ نجران.

وقيل: العاقبُ والسَّيِّدُ؛ دعاهما إلى المباهلة، فوعداه أن يغادياه بالغداة، فغدا

(١) في (ن): «أي».

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٠٥).

رسول الله ﷺ فأخذَ بيدِ عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، ثم أرسل إليهم[١]، فأَبَيا أن يُجيبا، فأقرّا[٢] له بالخراج، فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثَني بالحقِّ لو فَعلا لَمُطِرَ الوادي نارًا»، قال جابرٌ رضي الله عنه: ونزلَت فيهم هذه الآية[٣].

﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا﴾: الحسنَ والحسينَ ﴿وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا﴾: فاطمةَ ﴿وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا﴾: عليٌّ ﴿وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: ندعو بالهلاكِ على الكاذبين.

وقيل: الابتهالُ: الالتعانُ.

﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ﴾: هي الإبعادُ عن رحمتِه.

﴿عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: الكافرين.

* * *

(٦٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي أوحينا إليك ﴿لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾: الخبرُ الصِّدقُ.

والقَصصُ: الخبرُ الذي تتابعُ فيه المعاني، وأصلُه: اتِّباعُ الأثَر.

قال ابن بحر: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ﴾ متَّصلٌ بالكاذبين، قال: وكسر (إن) لمكان اللّام[٤].

---

(١) في (ن): «إليهما».

(٢) في (ن): «وأقرا».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٥)، واللفظ له، وروى أصل قصة الملاعنة البخاري (٤٣٨٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٨/ ٢٥٠).

والذي ذكره صحيحٌ من حيث المعنى فاسدٌ من حيث اللَّفظ؛ لأنَّ التَّأويلَ الذي ذهبَ إليه يقتضي (المكذِّبين) لا (الكاذبين).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا شريكَ معه ولا ولدَ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في نقمتِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا ولم يقبلوا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ دينَه وعبادَه، فيجازيهم عليه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ وابنُ زيد: نصارى نجران[١].

قتادةُ والرَّبيعُ: يهود المدينة[٢].

وقيل: نزلَ في الفريقين[٣].

﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ عَدْلٍ ونَصَفٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٥) عن السدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير. وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٩٣) عن الحسن والسدي وابن زيد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩٠) عن الحسن.

ابن عيسى: كلمةٍ مستويةٍ؛ أي: مستقيمة(١).

الزَّجّاج: مصدرُ (استوى) استواءً وسواءً(٢).

والأحسنُ أن يُقالَ: مصدرُ فعلٍ مرفوضٍ كالسَّقمِ والقِسطِ(٣).

ومعنى (كلمةٍ): كلامٌ فيه شرحٌ وقصةٌ وإن طال.

وقيل: المرادُ به التَّوحيدُ، ففسَّرَها بقولِه: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾؛ لأنَّ الشِّركَ لازمٌ للنَّصارى بما وصفوا به عيسى، ولازمٌ لليهودِ أيضًا(٤) بما وصفوا به عُزيرًا.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا نُطيعهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ طاعةً كطاعةِ الله؛ لأنَّ تديُّنَهم بما أمروهم به اتِّخاذُهم إيّاهم أربابًا.

وقيل: ذلك إشارةٌ إلى(٥) اتِّخاذ النَّصارى عيسى ابنَ الله، واليهودِ عزيرَ ابنَ الله.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: لم يجيبوك إلى ما دعوتَهم إليه، ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾؛ أي: قابلوا إعراضَهم عن الحقِّ بخلافِه، وتجديدِ الإقرارِ به عندَ صدِّهم.

* * *

---

(١) فـ(سواء) جامد مؤوَّل بمشتق على هذا الرأي، وقد نسب الطبري هذا القول إلى بعض نحاة البصرة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٤٧٥).

(٢) فهو يرى أنَّ هذا من باب الوصف بالمصدر؛ أي: كلمة ذات سواء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٥).

(٣) فهو مصدرٌ استُعمِل، ولم يُشتَقَّ منه فعلٌ.

(٤) «أيضًا» من (ن).

(٥) «إلى»: ليس في (ن).

(٦٥) ـ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن والسُّدِّيُّ وقتادة قالوا: اجتمعت أحبارُ يهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا في إبراهيمَ عليه السّلام، فقالت اليهودُ: ما كان إلّا يهوديًّا، وقالت النَّصارى: ما كان إلا نصرانيًّا، فأُنزِلَت هذه الآية[1].

والمعنى: لم تحاجُّون في شريعةِ إبراهيمَ ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾: بعد موتِه، فكيف تنسبونه إلى ما كان بعدَه بالزَّمانِ الطَّويل؟!

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ فسادَ هذه الدَّعوى، وقد ظهرَ فسادُه بالمناقضة.

* * *

(٦٦) ـ ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾ أراد: آأنتم، فقُلبَت الهمزةُ هاءً[2].

وقيل: هو (ها) دخلت على محذوفٍ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٨١) عن ابن عباس وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٧١) عن السدي، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩١) إلى ابن عباس والحسن والسدي.

(٢) ذكره ابن خالويه، وهو منسوب للأخفش. انظر: «ليس في كلام العرب» (ص: ٣٦٦)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٤٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٧١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١)، واستغربه.

وقيل: دخلَت على الجملةِ، كقولِه: هلمَّ[١].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: عطف بيانٍ، ﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: خبره[٢].

وقيل: هؤلاء بمعنى (الذين)[٣].

وقيل: يا هؤلاء، وهو بعيدٌ[٤].

﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: جادلتم.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ يعني: ملّةَ موسى وعيسى.

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾: تجادلون ﴿فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ وهو: ادِّعاؤكم أنَّ إبراهيمَ عليه السّلام على ملَّتِكم، وأنتم كاذبون؛ لأنَّه كان حنيفًا مسلمًا؛ يستقبلُ القِبلةَ[٥]، ويحجُّ إليها، ويضحِّي، ويختتن.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ شأنَ إبراهيمَ ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

و(لم) أصله (لما)، فحُذف الألف فرقًا بين السُّؤال والخبر[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١)، واستغربه. وقال الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٣١): «العرب إذا جاءت إلى اسمٍ مَكنيٍّ قد وُصِفَ بـ(هذا) و(هذان) و(هؤلاء)، فرَّقوا بينَ (ها) وبين (ذا) وجعلوا المَكنِيَّ بينهما، وذلك في جهة التقريب لا في غيرها، فيقولون: أين أنت؟ فيقول القائلُ: ها أنا ذا، ولا يكادون يقولون: هذا أنا... وربَّما أعادوا (ها) فوصلوها بـ(ذا) و(ذان) و(أولاء)، فيقولون: (ها أنت هذا)، و(ها أنتم هؤلاء)».

(٢) أي: خبر ﴿أَنتُمۡ﴾ لأنه في محل رفع مبتدأ، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٧١).

(٤) وإنما يتجه على مذهب الكوفيين. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٢٤١).

(٥) في (ن): «يستقبل الكعبة».

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٦).

ثم بيَّنَ شأنَ إبراهيمَ فقال:

(٦٧) ـ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عمّا عليه اليهودُ والنَّصارى من الشِّرك.

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾: أحقُّهم بموالاتِه ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾: أطاعوه في زمانِه واتَّبعوه بعدَ وفاتِه، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾: محمَّدٌ عليه السّلام، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾؛ أي: المؤمنون، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ناصرُهم ومُعينُهم.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ نزلَت في معاذِ بنِ جبلٍ وحذيفةَ بنِ اليمانِ وعمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنهم حين دعاهم اليهودُ إلى دينِهم[1].

أي: تمنَّى طائفةٌ من اليهود، وهم علماؤُهم.

والطّائفةُ: الجماعةُ، مشتقّةٌ من (طافَ بكذا)؛ إذا دارَ حولَه.

﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾: إضلالَكم لو قبلتُم ما يشكِّكونكم فيه.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأنَّ الوبالَ يعودُ عليهم بتمنِّيهم إضلالَ المؤمنين.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: وهم لا يشعرون أنَّهم لا يحصلون إلّا على إثمٍ.

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩).

(٧٠) ـ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ قتادةُ والسُّدِّيُّ والرَّبيعُ: أي: بالآيات التي فيها صفةُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه من التَّوراة[١].

﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ بصحَّتِه إذا خلوتُم.

***

(٧١) ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تخلِطُون، وقيل: تغشُّون ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الذي تجدونَه في كتبِكم من صفةِ محمَّدٍ ﷺ والبشارةِ به ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الذي تكتبونَه بأيديكم، وتحريفِ التَّوارةِ والإنجيل.

وقيل: بإظهارِ الإسلامِ، وإبطانِ اليهوديّةِ أو النّصرانيّة.

وقيل: بالإيمانِ بموسى وعيسى، والكفرِ بمحمَّد ﷺ.

﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: وغرضُكم كتمانُ الحقِّ.

وأجاز الفرّاءُ والزَّجّاجُ الرَّفعَ والنَّصبَ في (تكتمون) من حيثُ العربيّةُ[٢]، وأنكرَه أبو عليٍّ وقال: الاستفهامُ وقعَ على اللَّبسِ فحسبُ، وأمّا (تكتمون) فخبرٌ حتمٌ، لا يجوزُ فيه إلّا الرفع[٣].

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنّه حقٌّ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٨).

(٣) نقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٠٨)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٢٤٥).

(٧٢) - ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ قال السُّدِّيُّ والحسنُ: تواطأ اثنا عشر حبرًا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعضٍ: ادخلوا في دين محمَّدٍ أوَّلَ النَّهارِ باللّسانِ دونَ الاعتقاد، واكفروا آخرَ النَّهار، وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءَنا فوجدنا محمَّدًا ليس بذلك، وظهرَ لنا كذبُه وبطلانُ دينِه، فإذا فعلتم ذلك شكَّ أصحابُ رسول الله ﷺ[1]، وقالوا: إنَّهم أهلُ كتابٍ، وهم أعلمُ به منّا، ويرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله هذه الآية، وأخبرَ به نبيَّه والمؤمنين[2].

مجاهدٌ ومقاتلٌ والكلبيُّ: هذا في شأنِ الكعبة، قال كعبُ بنُ الأشرفِ لأصحابه: آمنوا بالكعبة، وصلُّوا إليها أوَّلَ النّهارِ، واكفروا بها آخرَ النّهار، وصلّوا إلى الصَّخرة، لعلَّهم يرجعون، فأخبرَ الله نبيَّه به[3].

وقيل: أظهروا الإيمانَ في صدرِ النَّهارِ كما سلفَ منكم[4] من الإقرارِ بصفتِه، وارجعوا في آخرِه؛ لتوهموهم أنَّه كان وقعَ عليكم غلطٌ في صفتِه.

---

(١) في (ن): «شك أصحابه».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩) عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩٦) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٤) عن السدي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤١١) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩) عن مجاهد ومقاتل والكلبيِّ، وانظر: قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٨٤)، وقول مجاهد في «تفسير الطبري» (٥/ ٤٩٧).

(٤) في (و): «لكم».

وسمِّي أوَّلُ النَّهارِ وجهَه؛ لأنَّه أوَّلُ ما يُواجَهُ منه، وكذلك وجهُ الثَّوب.

وقيل: لأنَّه أعلاه وأشرفُ ما فيه.

***

(٧٣) - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ قتادةُ والسُّدِّيُّ: هو من كلامِ اليهودِ بعضِهم لبعضٍ(١).

الحسنُ: قالت يهودُ خيبرَ ليهودِ المدينة(٢).

ومعنى: (لا تؤمنوا): لا تصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ اليهوديَّةَ، ويوافق(٣) ملَّتكم، ويصلِّي إلى قبلتكم، فتكونُ اللَّامُ زائدةً، كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

وقيل: معناه: لا تعترفوا إلّا لمن تبعَ دينكم، فيلزمكم العملُ بدينِه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾: التَّوفيقُ توفيقُ الله، والبيانُ بيانُ الله.

وجُلُّ(٤) المفسِّرين على أنَّه اعتراضٌ بينَ الفاعلِ والمفعول، والتقديرُ: ولا تؤمنوا ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ إلّا لمن تبعَ دينكم، والمعنى: ولا تؤمنوا أن يُؤتَى النُّبوّةَ أحدٌ إلّا مَن اتَّبعَ التَّوراة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٠) عن قتادة والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨١) عن السدي.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠١)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٥٣).

(٣) في (ن): «ولا تؤمنوا إلا لمن يوافق».

(٤) في (ن): «وحمل».

الزَّجّاجُ: لا تصدِّقوا أن يُعطى أحدٌ من علمِ النُّبوّةِ[١] ما أعطيتم[٢].

وقيل: لا تقِرُّوا بنبوّةِ محمَّدٍ ومحاجَّتهم إيّاكم عندَ ربِّكم إلّا لـمَن على دينِكم؛ كي لا يكونَ ذلك طريقًا لإيمانِ المشركين به.

السُّدِّيُّ: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: لا يُؤتى أحدٌ[٣] مثل ما أوتيتم، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾[٤]؛ فيكونُ الخطابُ للمؤمنين.

وإضمارُ (لا) أو جَعْلُ (أن) بمعنى (لا) يَبعدُ عند البصريِّين[٥]، بل التَّقدير: الهدى هدى الله خُصصتم به كراهةَ أن يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم.

وقيل: وعلى هذا الوجهِ يصلحُ أن يكونَ خطابًا لليهودِ أيضًا؛ أي: لا تنكروا أن يُؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم[٦]، فيكونَ لهم الحجّةُ عليكم؛ إذا[٧] لم تتَّبعوهم.

---

(١) في (و): «النبي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٠).

(٣) «أي لا يؤتى أحد»: ليس في (ن).

(٤) هذا معنى مستفاد من كلام السدي كما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٢)، ولفظه: «قال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾، يقول: مثل ما أوتيتم يا أمة محمد».

(٥) وقد استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢).

(٦) «وقيل: وعلى هذا الوجه يصلح أن يكون خطابًا لليهود أيضًا؛ أي: لا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم» من (ن).

(٧) في (و): «إذ».

الكسائيُّ والفرّاءُ: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾[(١)] معناه: حتى[(٢)] يحاجُّوكم على التَّبعيد، كما تقول: لا أفارقك أو تعطيني حقِّي[(٣)].

الضَّحّاكُ: يجوزُ أن يكونَ من قوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية خطابٌ للمؤمنين[(٤)]، والله أعلم.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ﴾: النُّبوّةَ والهدايةَ ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الشَّريعةِ ﴿عَلِيمٞ﴾ بأهلِها.

* * *

(٧٤) ـ ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الحسنُ في جماعةٍ: النُّبوّة[(٥)].

وقيل: القرآن والإسلام.

---

(١) في (و): «ويحاجوكم».

(٢) «حتى» من (ن).

(٣) ذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٣)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٣) عن الكسائي والفراء، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٢)، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٦٤٥)، وعبارة الفراء: «وقوله: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ في معنى: حتى، وفي معنى: إلا، كما تقول في الكلام: تعلق به أبدًا أو يعطيك حقك، فتصلح (حتى) و(إلا) في موضع (أو)».

(٤) ذكر هذا الكلام الثعلبي، وذكر أنه يمكن أن يُستدلَّ عليه بقول الضحاك: «إن اليهود قالوا: إنا لنحاجُّ عند ربنا من خالفنا في ديننا. فبيَّن الله تعالى أنهم هم المدحضون المغلوبون، وأن المؤمنين هم الغالبون». انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٤١٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٥٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٧) عن مجاهد والربيع، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٣) عن الحسن قال: «رحمته: الإسلام؛ يختص به من يشاء».

والاختصاصُ: انفرادُ بعضِ الأشياءِ بمعنى دونَ غيره[١].

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

***

(٧٥) - ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: من اليهودِ ﴿مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ يعني: عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ والمؤمنين، والباءُ و(على) تتعاقبانِ في هذا المعنى.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ يعني: فنحاصَ بنَ عازوراء وأضرابَه.

ذكر اختلافَ أحوالِهم في الأمانة[٢].

﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكن إنْ لزمْتَه متقاضيًا به.

قتادةُ ومجاهدٌ: ﴿دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ بالتَّقاضي والمطالبةِ[٣].

السُّدِّيُّ: ﴿دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ بالاجتماع معه والملازمة له[٤].

---

(١) «الحسن في جماعة النبوة وقيل القرآن والإسلام والاختصاص انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢٢)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٦٠).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاستحلالُ وتركُ الأمانةِ ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُواْ﴾: اعتقدوا، وقيل: زعموا: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب ﴿سَبِيلٞ﴾: طريقٌ؛ أي[1]: فيما أصبنا من أموالِهم؛ أي: قاسوا الأمانةَ على ما أصابُوا من مالِهم عن حربٍ.

قتادةُ والسُّدِّيُّ: أي: لأنَّهم مشركون[2].

الحسنُ وابنُ جريجٍ: لأنَّهم تحوَّلوا عن دينِهم الذي عاملناهم عليه[3].

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ لأنَّهم زعموا أنَّ ذلك[4] في كتابِهم وليس فيه؛ لأنَّ الأمانةَ مؤدّاةٌ في جميعِ الأديان.

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: أنَّهم كاذبون، والكذبُ من العالِمِ أشنعُ منه منَ الجاهل.

* * *

(٧٦) ـ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: ليس كما قلتُم، فلهم عليكم سبيلٌ، ثم استأنفَ فقال: ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾: أدَّى أمانتَه، وقيل: ما عُهِدَ إليه[5] في التَّوراة، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الخيانةَ والمعاصيَ والشِّركَ، وآمنَ بمحمَّدٍ عليه السّلام، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين.

والهاءُ في ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾ تعود إلى الله، ويجوزُ أن تعودَ إلى ﴿مَنۡ﴾.

---

(١) «أي»: ليس في (ن).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٣) عن الحسن وابن جريج، وذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦٩) عنهما وعن مقاتل، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٢) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٤) عن ابن جريج.

(٤) في (و): «ذلك قال».

(٥) في (ن): «إليهم».

(٧٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ عن الأشعثِ بنِ قيسٍ قال: فيَّ نزلَت هذه الآية، كان بيني وبين رجلٍ من اليهودِ أرضٌ فجحدَني، فقدَّمته إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «ألك بيِّنةٌ؟» قلتُ: لا، فقال لليهوديِّ: «احلف» فقلْتُ: يا رسولَ الله، إذًا يحلفُ ويذهبُ بمالي، فقال عليه السّلام: «مَنْ حَلفَ على يَـمينٍ هوَ فيها فاجرٌ ليقتطعَ بها مالًا لقيَ الله وهو عليه غضبانُ»، فأنزلَ اللهُ هذه الآية[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى قال: إنَّ رجلًا أقامَ سِلعةً في السُّوق، فحلفَ لقد أُعطِي بها ما لم يُعطَه؛ ليوقعَ فيها رجلًا منَ المسلمين، فنزلَت هذه الآية[2].

عكرمةُ: نزلَت في أبي رافعٍ ولبابةَ[3] بنِ أبي الحُقيقِ وحييِّ بنِ أخطبَ وغيرِهم من رؤوسِ[4] اليهود، كتمُوا ما عهدَ الله[5] إليهم في التَّوراةِ في شأنِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، وبدَّلوه وكتبُوا بأيديهم غيرَه، وحلفُوا أنَّه من عند الله؛ لئلَّا تفوتهم الرِّشا والمآكلُ التي كانَت لهم على أتباعِهم[6].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾: لا نصيبَ لهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٤١٦)، ومسلم (١٣٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٥٥١)، وانظر: «عمدة القاري» للعيني (١٨/ ١٤١).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وإنما هو: كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وقد يقال له: كنانة بن أبي الحقيق. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٨) و(٥/ ٥١٦).

(٤) في (ن): «رؤساء».

(٥) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٢).

وقولُه: ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما عَهِدَ إليهم في شأنِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: اليمينُ بالله.

وقيل: النَّذرُ والوعد[1].

﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾؛ أي: الكاذبةِ عندَ الحُكّام وغيرِهم.

﴿ثَمَنًا﴾: ذا ثمنٍ، وقد سبقَ.

﴿قَلِيلًا﴾: يسيرًا ينقطعُ.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ والخَلاقُ: النَّصيبُ، من قولِه: (خلقْتُ الثَّوبَ)؛ أي: قدَّرتُه[2].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ كلامًا يَسرُّهم.

وقيل: كنايةٌ عن الغضب[3].

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ نظرَ عطفٍ ورحمةٍ.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يطهِّرُهم من ذنوبِهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِم دائمٌ.

---

(١) «الوعد» من (ن). وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٨٨).

(٢) ذهب ابن الأنباري والسجستاني من اللغويين وأبو عبد الله البصري والقاضي عبد الجبار وغيرهم من المعتزلة إلى أنَّ الخلق بمعنى التقدير، والظاهر أن المصنِّف يأخذ بهذا المعنى في بعض المواضع، وذهب الأكثرون إلى أنه بمعنى الإيجاد والإنشاء، وجمع الزمخشري بين المعنيين، فقال: «الخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء». انظر: «غريب الحديث» للسجستاني (ص: ١٣٧)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٢٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩١)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٢/ ٣٣١).

(٣) ذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٣)، واستغربه، ونسبه أبو حيان لابن بحر في «البحر المحيط» (٣/ ٢٢٦).

(٧٨) ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: من أهلِ الكتابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾: لجماعةً.

وسُمِّيت فريقًا لمفارقتِها جمهورَ النّاس.

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: يزيدون في كتابِ اللهِ ما ليس منه[١].

قتادةُ: حرَّفوه وابتدعوا فيه[٢].

ابنُ جريرٍ: هو التَّشدُّقُ والتَّعمُّقُ للتَّشبُّهِ[٣] بالكتابِ المنزَّل، والمعنى: يقصدون تفخيمَ الألفاظِ وتضجيعَ بعضِ الحروفِ[٤] ومدَّ بعضِها؛ ليُخالَ أنَّها من كلامِ الله، من (اللَّيِّ)، وهو الفَتْلُ[٥].

المفضَّلُ: لَوى لسانَه: غيَّره، ولَواه[٦] عن رأيِه: أمالَه، ولَوى دَيْنَه ليًّا وليانًا: مطَلَه[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٢)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٣) في (ن): «لتشبه».

(٤) أي: التقصير في أدائها وتمريضها؛ لتشتبه بغيرها. انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٤٨) مادة: (ض ج ع).

(٥) ذهب ابن جرير إلى أن (يلوون) هنا بمعنى يحرِّفون، وذكر أن أصل (الليِّ): الفتل. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٢١ ـ ٥٢٣).

(٦) في (و): «ورواه».

(٧) لم أقف على قول المفضل، أما المعاني اللغوية لـ(الليِّ) فانظرها في: «معاني القرآن» للنحاس =

﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ تعودُ إلى (الكتاب) الأوَّل، وهو ما افتروه.

﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: من التَّوراةِ، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بتحريفِ كتابِه، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبون.

***

(٧٩) ـ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ قال الضَّحّاكُ ومقاتلٌ: نزلَت في نصارى نجران حين عبدوا عيسى[1].

و(بشر) يعني به: عيسى عليه السلام[2].

﴿أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: الإنجيل.

وقال ابن عبّاسٍ في رواية الكلبيِّ وعطاء: إنَّ أبا رافعٍ اليهوديَّ والرئيسَ من نصارى نجران قالا: يا محمَّد، أتريدُ أن نعبدَك ونتَّخذَك ربًّا؟ فقال ﷺ: «معاذَ الله أن نعبدَ غيرَ الله أو نأمرَ بعبادةِ غيرِ الله، ما بذلك بعثَني ولا بذلكَ أمرني»، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

= (٢/ ٢١٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٣١٩) مادة: (ل و ى)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٤٥٤).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٢)، لكن لم يذكر في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٦) أن الآية نزلت في نصارى نجران، وانظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٠٦).

(٢) «وبشر يعني به عيسى عليه السلام» من (ن).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٦) عن ابن عباس وعطاء. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٤) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الحسن قال: بلغني أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ الله، أنسلِّمُ عليك كما يسلِّمُ بعضُنا على بعضٍ أو نسجدُ لك؟ قال: «لا ينبغي أن يسجدَ لأحدٍ من[1] دونِ الله، ولكن أكرمُوا نبيَّكم واعرفُوا الحقَّ لأهلِه» فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[2].

لأحدٍ من الخلقِ ـ والبشرُ: النّاسُ، تقعُ على الواحدِ وعلى الجمعِ ـ أن يؤتيه الله[3] الكتاب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الحكمةَ، وقيل: فصلَ القضاء.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يكونُ لمن أُعطِيَ هذه المنزلةَ والدَّرجةَ ـ ولا درجةً أعلى منها ـ أن يدعوَ إلى عبادتِه دونَ الله، فكيفَ لغيرِه؟

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾؛ أي: ولكن يقولُ: كونوا ربّانيِّين.

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم في جماعةٍ: علماء فقهاء يُؤخَذُ عنكم[4] العلم[5].

---

(١) «من» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣)، وعزاه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٠٥) والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٥٠) إلى عبد بن حميد.

(٣) لفظ الجلالة ليس في (و).

(٤) في (و): «عنهم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٦٠) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والحسن والضحاك. وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩٨) عن عليٍّ رضي الله عنه أنهم: «هم الذين يغذون الناس بالحكمة»، وعلَّق البخاري قبل حديث (٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم: «حلماء فقهاء».

الزجّاج: الرَّبّانيُّون: أربابُ العلمِ والبيانِ؛ أي: كونوا أصحابَ علمٍ تعلِّمونَ النّاسَ[١].

ابنُ زيدٍ: ولاة النّاس وقادتهم[٢].

مجاهدٌ: الرَّبّانيُّون: فوقَ الأحبار[٣]؛ لأنَّ الأحبارَ: العلماءُ، والرَّبّانيُّ: الجامعُ إلى العلمِ والفقهِ البصرَ[٤] بالسِّياسةِ والتَّدبيرِ بأمرِ[٥] الرَّعية.

منسوبٌ إلى (الرَّبِّ)، والألفُ والنُّونُ للمبالغة، كـ(لِـحْيانيٍّ) و(شَعرانيٍّ) لعظيمِ اللِّحيةِ وكثيرِ الشَّعر[٦].

ابن عيسى: منسوبٌ إلى (علمِ[٧] الرَّبِّ)، كـ(قَصَباني)[٨] لصاحبِ القَصَب[٩].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٣٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٨).

(٤) في (و): «البصيرة».

(٥) كذا في النسخ الخطية، وعبارة المصنِّف هنا مأخوذة من «تفسير الطبري» (٥/ ٥٣١)، وفيه: «والرَّبّانيُّ: الجامعُ إلى العلمِ والفقهِ البصرَ بالسِّياسةِ والتَّدبيرِ والقيامِ بأمرِ الرَّعية».

(٦) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩): «وقال سيبويه: زادوا ألفا ونونًا في (الرباني) إذا أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره، كأن معناه: صاحب العلم بالرب دون غيره من العلوم». وانظر: «الكتاب» (٣/ ٣٨٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ١٧٨).

(٧) «علم» من (ن).

(٨) في (و): «والألف والنون كقصباني».

(٩) لم أقف على قوله، وليس قوله هذا ببعيد عن الأول؛ لأن النسبة إنما جاءت على وجه المبالغة، فأفادت التخصيص من هذا الوجه، والله أعلم.

أبو عبيدة: الرَّبّانُ: العالِـمُ، قال: وأحسبُ الكلمةَ عبرانيّةً أو سريانيّةً، والرّبانيُّ عندَ أهلِ الكتابِ: العالِـمُ المعلِّم[١].

وعن الحسنِ أيضًا: هم الذين يُربُّونَ النّاسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كباره[٢].

﴿بما كنتم تَعْلَمونَ الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ الباءُ متعلِّقٌ بـ﴿كُونُواْ﴾[٣].

الزَّجّاجُ: تُعلِّمون النّاسَ بعلمِكم[٤].

وقال أيضًا[٥]: ربّانيِّين في علمِكم[٦].

ويُحتمَلُ: ربّانيِّين بسببِ علمِكم ودرسِكم[٧].

ومَن شدَّدَ[٨] فتقديرُه: تُعلِّمون النّاسَ الكتابَ.

---

(١) اقتصر أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٧) على قوله: «لم يعرفوا ربانيين»، وفي كلام الأزهري ما يدلُّ على أن القول بأنَّ الربّان العالم من كلام أبي العباس ثعلب، وأن من ظنَّ أن الكلمة عبرانية أو سريانية أبو عبيد القاسم بن سلام، وأشار إلى قول أبي عبيدة الذي سبق. انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩ـ ١٣٠)، و«الإبانة في اللغة» (٣/ ٤٩٦)، و«زاد المسير» (١/ ٢٩٨). وانظر أيضاً: «اللغات في القرآن» للسامري (ص: ٢٣)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٩٠).

(٢) ذكره البخاري قبل حديث (٦٨) دون نسبة، وذكر نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٨١)، ونسباه لابن الأعرابي.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٥٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥).

(٥) في (و): «أيضاً في». وكلمة (ربانيين) على المثبت منصوبة على تقدير: كونوا ربانيين.

(٦) هذا مستفاد من كلامه، وعبارته: «ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هَدْيَ العلماء والحكماء». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٦).

(٧) اختار هذا الزمخشري. انظر: «الكشاف» (١/ ٣٧٨).

(٨) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (تَعْلَمُون) بإسكان العين وفتح اللام وتخفيف التاء، وقرأ عاصم =

و(ما) في الكلمتينِ للمصدر.

***

(٨٠) ـ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ مَن رفعَ فعلى الاستئنافِ[١]، ومَن نصبَ[٢] فهو عطفٌ على فعلِ البشر[٣].

﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾؛ فإنَّ الصّابئين اتَّخذوا الملائكةَ أربابًا، والنَّصارى عيسى، وزعموا أنَّ عيسى عليه السّلام قال لهم[٤]: اتَّخذوني إلهًا مع الله.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: استفهامُ إنكارٍ وجحودٍ.

***

(٨١) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

= وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تُعلِّمون﴾ بضم التاء وتشديد اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(١) «من رفع فعلى الاستئناف» من (ن).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة بنصب الراء، وباقي السبعة برفعها، وقرأ أبو عمرو بالاختلاس والإسكان. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٣) يقصد أنه معطوف على الفعل (يؤتيه)، وهذا قول سيبويه في إعراب الآية على الوجهين. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٨).

(٤) «لهم» من (ن).

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: اذكرْ ذلك.

محمَّد بن جريرٍ: اذكروا يا أهلَ الكتابِ إذ أخذَ الله[١].

وقيل: هو عطفٌ على ما تقدَّمَ من لفظ (إذ)، والعاملُ فيها ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٢].

ويُحتمَلُ أن يكونَ العاملُ فيه (قال) من قولِه: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾.

و(ميثاقٌ) مفعالٌ من (الوَثاقةِ)، وهو العهدُ يُشَدُّ بما لا سبيلَ إلى فَسخِه.

عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: ما بعثَ الله نبيًّا إلّا أخذَ عليه العهدَ في محمَّدٍ[٣] ﷺ، وأمرَه بأخذِ العهدِ فيه على قومِه[٤] بأن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوا زمانَه[٥].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أخذَ[٦] ميثاقَ الأنبياءِ على قومهم[٧].

الحسنُ: أخذَ ميثاقَهم لَيُصَدِّقَنَّ آخرُهم أوَّلَـهم ولا يختلفُنَّ[٨].

طاوس: أخذَ على الأوَّلِ من الأنبياءِ ليؤمنَنَّ ولَيُصَدِّقَنَّ بما جاءَ به نبيٌّ آخرُ بعدَه[٩].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٣٥).

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾... ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٥].

(٣) في (ن): «في أمر».

(٤) في (ن): «العهد على قومه فيه».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠).

(٦) «أخذ» من (ن).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧١).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤١) بلفظ: «أخذ الله ميثاق النبيين: ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧١).

الرَّبيعُ: أخذَ الميثاقَ على أهلِ الكتابِ ليؤمنوا بمحمَّد، واستدلَّ بقراءة عبدِ اللهِ وأُبيٍّ: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم)(١).

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ الميثاقَ أُخِذَ على(٢) النَّبيِّين وأممِهم(٣)؛ فاجتُزِئَ بذكرِ الأنبياءِ عن ذكرِ الأممِ؛ لكونهم تَبعًا لهم.

ويُحتمَلُ أنَّ التَّقديرَ: ميثاقُ أممِ النَّبيِّين(٤)، فحُذِفَ المضافُ؛ لأنَّ الرَّسولَ لا يأتي إلى الرَّسول(٥).

ويُحتمَلُ أيضًا أنَّه ذكرَ الأنبياءَ، والمرادُ به الأُمّةُ، كما جاء الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ به الأُمّةُ(٦).

﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾: قيل(٧): هو لامُ الابتداء، وقيل: هو لامُ توطئةِ القَسَم(٨).

و(ما) هو الموصولة، وقيل: هو للشَّرطِ بمنزلةِ (لئن)(٩).

---

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٨): أن هذه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وذكر (٥/ ٥٣٩) أنها قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه، وكذلك كان يقرؤها الربيع، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧٢) أن هذه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وهذه القراءة شاذة لمخالفة الرسم.

(٢) في (و): «عن».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤١ ـ ٥٤٢).

(٤) «وأممهم فاجتزئ بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم لكونهم تبعًا لهم ويحتمل أن التقدير ميثاق أمم النبيين» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢)، وعدَّه من العجائب.

(٧) «قيل»: من (ن).

(٨) في (و): «للقسم».

(٩) تكون (ما) موصولة إذا كانت اللام للابتداء، وشرطية إذا كانت موطئة للقسم.

﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ قيل: هو للتَّبيين، وقيل: زيادةٌ[١].

﴿وَحِكْمَةٍ﴾: شريعةٍ.

ومَن كسرَ اللامَ فهي لامُ العلَّة[٢].

﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جوابُ القَسَم.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾؛ أي: قَبِلتُم عهدي.

﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾؛ أي: قَبِلنا.

﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسِكم.

وقيل: على أُمَّتِكم.

وقيل: قال الله للملائكة: اشهدوا، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليهم.

* * *

(٨٢) ـ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ عن الإيمانِ بالنَّبيِّ الجائي بعدَه.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد أخذِ الميثاقِ.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرِّدون في كفرِهم.

* * *

---

(١) أي: (من) لتبيين أو زائدة.

(٢) قرأ حمزة بكسر اللام، وباقي السبعة بفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩). ولام العلة هي التي بمعنى (كي)، والتي تُسمى اليوم لام التعليل أو السبب. انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٣٦).

(٨٣) ـ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾.

﴿أفغير دين الله تَبْغُوْنَ﴾[١]: أنكرَ على أهلِ الكتابِ مخالفتَهم في أمرِ محمَّدٍ عليه السّلام وطلبَهم دينًا غيرَ دينِ الإسلام.

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ الزَّجّاجُ في جماعةٍ: استسلمَ وانقادَ[٢].

وقيل: ﴿أسلم﴾: أقرَّ.

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الملائكةُ.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الإنسُ والجنُّ.

﴿طَوْعًا﴾: طائعين، ﴿وَكَرْهًا﴾: كارهين؛ مصدرانِ وقعا موقعَ الحال.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿طَوْعًا﴾: الملائكةُ والمؤمنون، ﴿وَكَرْهًا﴾: الكافرون عند أخذَ الميثاقِ[٣].

عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: معنى ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: انقادَ كلُّهم له[٤].

---

(١) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿يَبْغُونَ﴾، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٢) هذا مستفاد من كلامه، وكلام جمهور المفسرين قبله؛ وقد ذكر الزجاج هنا أن الإسلام هنا هو الخضوع لأمر الله بالجبلَّة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٥٠).

(٤) لم أقف على هذا القول عن علي رضي الله عنه، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن عامر الشعبي، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٧) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠١) عن عامر الشعبي والزجاج.

مجاهدٌ: المؤمنُ يسجدُ طوعًا، وظلُّ الكافرِ يسجدُ كرهًا(١).

قتادةُ: أسلمَ المؤمنُ طوعًا، فنفعَه، وأسلمَ الكافرُ عند النَّزعِ، فلم ينفعه، ولم يُقبَل منه(٢).

عطاءٌ: أسلمَ الملائكةُ والأنبياءُ وبنو سليمٍ وعبدُ القيسِ طوعًا، وأسلمَ سائرُهم كرهًا(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٢)، كلاهما بلفظ: «أما المؤمن فأسلم طوعاً، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله؛ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]»، وذكره الماوردي والواحدي بلفظ قريب من لفظ المصنف. انظر: «النكت والعيون» (١/ ٤٠٧)، و«البسيط» (٥/ ٤٠٥).

(٣) لعل المراد: عطاء عن ابن عباس، كما في «البسيط» للواحدي (٥/ ٤٠٥)، وقد روى الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٧٣) عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]: أما (من في السماوات) فالملائكة، وأما (من في الأرض) فمن ولد على الإسلام، وأما (كرهاً) فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل، والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٦): «فيه محمد بن محصن العكاشي، وهو متروك»، وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلمت الملائكة طوعًا، وأسلمت الأنصار طوعًا، وأسلمت عبد القيس طوعًا»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨): «رواه الطبراني في الأوسط، عن شيخه: علي بن سعيد بن بشير، وفيه لين، وبقية رجاله ثقات»، وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٠) مرفوعًا أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا يصح، وروى ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أهل المشرق عبد القيس، أسلم الناس كرهاً، وأسلموا طائعين». وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٢) من طريق روح بن عطاء عن مطر الوراق موقوفاً، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن الحسن.

وقيل: الطَّواعيةُ والكراهيةُ في إسلامِ أهلِ الأرض، وأمّا أهلُ السَّماءِ فطبعًا.

﴿وإليه تُرْجَعُونَ﴾(١) فيجازيكم على أعمالِكم حيثُ لا اختيارَ لكم.

ويُحتمَلُ أنَّ الطَّوعَ متصلٌ بـ﴿أَسۡلَمَ﴾، والمرادُ به: الاستسلامُ، والكرهُ متصلٌ بالرُّجوع، والمرادُ به: الموتُ، وتقديرُه: وإليه تُرْجَعون كرهًا، وكراهةُ الحيوانِ الموتَ ظاهر(٢)، والله أعلم.

* * *

(٨٤) ـ ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أمرَ نبيَّه عليه السّلام بأن يصرِّحَ بما هو المأمورُ في كلِّ دينٍ وشرعٍ.

و﴿ءَامَنَّا﴾ لفظُ تفخيمٍ وتعظيمٍ(٣).

وقيل: لأنَّ أمَّتَه داخلون معه(٤).

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: أسباطِ يعقوبَ، وكان فيهم أنبياء.

---

(١) قرأ حفص: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) أي: جاء لفظ الآية بضمير الجماعة مع أن المتكلم واحد للتفخيم والتعظيم. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٨١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٤٨).

(٤) هذا اختيار النحاس والواحدي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٩)، و«البسيط» (٥/ ٤٠٧).

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾؛ أي[١]: سائرُ الأنبياءِ ممَّن لم يُذكَر.

﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾: من عند ربِّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: لا نؤمنُ ببعضٍ ونكفر ببعضٍ، كما فعلَتِ اليهودُ والنَّصارى.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: مُنقادون مُقرُّون.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ﴾: يطلبْ[٢] ﴿غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾: غيرَ دينِ محمَّدٍ ﴿دِينٗا﴾: شريعةً يتديَّنُ[٣] بها.

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾: فلا يقعُ موقعَ القَبولِ.

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ حينَ تفوتُه طِلبتُه.

* * *

(٨٦) ـ ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا من الأنصارِ ارتدَّ فلحقَ بالمشركين، فأنزلَ الله: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فبعثَ بها قومُه إليه، فلمّا قُرئت عليه قال: والله ما كذبني

---

(١) «أي» من (ن).

(٢) «يطلب» من (ن).

(٣) في (و): «يتديَّنون».

قومي على رسول الله، ولا كذبَ رسولُ الله، واللهُ أصدقُ الثَّلاثة، فرجعَ تائبًا، فقَبلَ منه رسولُ الله ﷺ وتركَه[١].

مجاهدٌ: كان الحارثَ بنَ سُويد، ثم رجعَ فأسلمَ إسلامًا حسنًا[٢].

وقيل: نزلَت في اليهود.

وقيل: في أبي عامرٍ الرّاهبِ والحارثِ بنِ سُويدٍ ارتدّا مع عشرةٍ آخرين ولحقوا بقريشٍ، ثم كتبوا إلى أهلِهم أن يسألوا محمَّدًا رسولَ الله عليه السَّلام: هل لهم من توبةٍ؟ ثم عادوا وأسلموا[٣].

والمعنى: أنَّى تكونُ لهم الهدايةُ وعلى أيِّ حالٍ وقد اختاروا الكفرَ بعدَ الإيمان؛ أي: بعد أن آمنوا.

﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ﴾: أنَّ محمّدًا ﴿حَقٌّ﴾، والمصدرُ محمولٌ على الفعلِ[٤].

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: القرآنُ والمعجزاتُ[٥] والبشارةُ بمحمَّدٍ في كتبهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يرشدُ المعاندين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٨)، والنسائي (٤٠٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٧)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣ ـ ١١٤)، واللفظ له.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤) عن ابن جريج عن عكرمة.

(٤) في هامش (ن): «تقديره: أنَّ الرسول محق وثابت، وما أشبهه». وانظر: «التعليقة» لأبي علي (١/ ١٥٠).

(٥) «والمعجزات» من (ن).

(٨٧) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: أهلُ هذه الصِّفةِ ﴿جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ سبقَ تفسيرُه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾؛ أي: في اللَّعنةِ، ويُحتمَلُ: النّار.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾؛ أي: لا يُسهَّلُ عليهم.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾: يُمهَلونَ عن[1] وقتِ العذابِ، وقيل: ولا هم يُنظَرون ليستريحوا.

* * *

(٨٩) ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: بعدَ كفرِهم، ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ السَّريرةَ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ لكُفرِهم ﴿رَّحِيمٌ ﴾ بقَبولِ توبتِهم.

* * *

(٩٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا ﴾ الحسنُ وقتادةُ وعطاءٌ الخراسانيُّ: نزلَت في اليهودِ كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمَّدٍ والقرآنِ[2].

---

(١) «عن»: ليس في (ن).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) عن قتادة وعطاء الخرساني، ورواه ابن المنذر في =

قال أبو العالية: نزلَت في اليهودِ والنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ بعد إيمانِهم بنعتِه وصفتِه، ثم ازدادوا كفرًا بإقامتِهم على كفرِهم إلى انقضاءِ آجالِهم(١).

﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ الأولى في حالِ إيمانِهم، ولا الثّانيةُ في حالِ إلجائِهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

***

(٩١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ المِلْءُ: مقدارُ ما يأخذُه الإناءُ، والمَلْءُ المصدرُ، وهو تَطْفيحُ الإناء.

﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ الزَّجّاجُ: لو افتدى به في الدُّنيا مع الإقامةِ على الكفرِ لن يُقبَلَ منه(٢).

قتادةُ: يُجاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ فيُقالُ له: أرأيتَ لو كانَ لكَ مِلءُ الأرضِ ذهبًا؛ أكنتَ مُفتدِيًا(٣) به؟ فيقولُ: نعم، فيُقالُ له: قد سُئِلْتَ أيسرَ من ذلك(٤).

= «تفسيره» (١/ ٢٨٢) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧٠٢) عن قتادة، وقال ابن أبي حاتم: «روي مثله عن الحسن»، لكن الطبري روى في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) عن الحسن أنها نزلت في اليهود والنصارى، ولذلك فرق الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٨) بين قول قتادة وقول الحسن، وقد تبع المصنِّف في عبارته الثعلبي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٤٨٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤١)، وعبارته: «أي: لو عمل من الخير وقدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله لم ينفعه ذلك مع كفره».

(٣) في (ن): «مفديا».

(٤) روي مرفوعًا من طريق قتادة عن أنس رضي الله عنه، رواه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥)، =

والفِديةُ: البدلُ للشَّيء في إزالةِ الأذيَّةِ.

ابنُ عيسى: الواو في ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أفادَ التَّفصيلِ بعدَ الجملة[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعٍ يمنعُهم منَ العذاب.

* * *

(٩٢) - ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

﴿لَن تَنَالُواْ﴾: لن تَلحقُوا ولن تُدركوا، والنَّيْلُ: اللُّحوقُ والإدراكُ.

﴿ٱلۡبِرَّ﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ: الجنَّة[2].

ابنُ جرير: بِرَّ اللهِ بكم[3].

وقيل: ثوابَ البرِّ.

وقيل: لن تصيروا أبرارًا[4].

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ الحسنُ: الزَّكاة الواجبة[5].

ولفظ البخاري: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٨/ ٢٨٧) بلا نسبة، وذكر وجهين آخرين في هذه الواو.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧٣) عن السدي، وقد روي عن غيره، ولم أقف على مَن رواه عن الحسن، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٤) عن الحسن قال: «لن تكونوا أبرارًا حتَّى تنفقوا مما تحبون...»، وهو معنى القول الأخير من الأقوال التي ذكرها المصنف.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٧٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه.

(٥) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٣٠٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٩)، وقد نقل الواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٢٥) عن الحسن غير هذا القول، ولفظه: «كل شيء أنفقه المسلم =

وقيل: التَّطوُّع.

الزَّجّاج: كلُّ ما يُتقرَّبُ[١] به إلى الله من عملِ خيرٍ فهو إنفاقٌ[٢].

﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: ممّا له قدرٌ وقيمةٌ.

الحسنُ: هو المالُ[٣]؛ لأنه محبوبٌ مضنونٌ به.

وقيل: ممّا تحبُّونَ ادِّخارَه في صحّةٍ وسلامةٍ[٤].

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ واتِّصالُها بالآية[٥] الأولى أنَّه لمّا قال: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ حرَّضَ على الصَّدقةِ؛ كي لا تُؤدِّي إلى الفتورِ في الصَّدقة.

* * *

(٩٣) - ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال أبو روقٍ والكلبيُّ[٦]: نزلَت حين قالَ النبيُّ ﷺ: «أنا على مِلّةِ إبراهيمَ» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكلُ لحومَ

= من ماله يبتغي به وجه الله عز وجل، فإنه من الذي عنى الله سبحانه بقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ حتى التمرة»، وذكر ابن الجوزي عنه القولين في «زاد المسير» (١/ ٣٠٣).

(١) في (ن): «يقرب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه.

(٥) في (و): «بالآية في».

(٦) في (و): «قال الكلبي».

الإبـلِ وألبانهـا؟ فقال عليه السّـلام: «كان ذلكَ حلالًا لإبراهيمَ فنحنُ نُـحلُّه» فقالت اليهـود: كلُّ شـيءٍ أصبحنـا اليـومَ نحرِّمُه، فإنَّـه كان حرامًـا على نـوحٍ وإبراهيمَ حتى انتهـى إلينـا، فأنـزلَ الله تكذيبًـا لهـم: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾[١]؛ أي: المطعـوم، مصـدرٌ وقعَ موقـعَ المفعولِ.

﴿كَانَ حِلًّا﴾: حلالًا، واشتقاقُه من (حلِّ العَقدِ).

﴿لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: لأولادِ يعقوبَ عليه السَّلام.

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾: يعقوبُ ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ جُويبر ومقاتلٌ عن الضَّحّاك: أنَّ يعقوب عليه السّلام كان نذرَ إنْ وهبَ الله له اثني عشر ولدًا وأتى بيتَ المقدسِ صحيحًا أن يذبحَ آخرَهم[٢]، فتلقّاه ملكٌ من الملائكةِ فقال له[٣]: يا يعقوب، إنَّك رجلٌ قويٌّ، فهل لك في الصِّراع، فعالجه فلم يصرعْ واحدٌ منهما صاحبَه، ثم غمزَه الملكُ غمزةً، فعرضَ له عرقُ النَّسا من ذلك[٤] ثم قال: أما إنِّي لو شئتُ أن أصرعَك لفعلتُ، ولكن غمزتُك هذه الغمزةَ؛ لأنَّك قد[٥] كنتَ نذرتَ إن[٦] أتيت بيتَ المقدسِ صحيحًا ذبحْتَ آخرَ ولدِك، وجعلَ الله لك بهذه الغمزةِ من ذلك[٧] مَـخرجًا[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٥).

(٢) في (و): «أحدهم».

(٣) «له» من (ن).

(٤) «من ذلك» من (ن).

(٥) «قد» ليس في (ن).

(٦) في (ن): «لو».

(٧) «من ذلك» من (ن).

(٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

ثـم هـاجَ به عـرقُ النَّسـا، فحلف يعقـوب إن[١] شـفاه الله أن لا يـأكل عرقًا ولا طعامًـا فيـه عِـرقٌ، فحرَّمَهـا علـى نفسِـه، فجعـلَ بنـوه بعـد ذلـك يتتبَّعـون العروقَ يُخرجونهـا مـن اللَّحم[٢].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ ذلك لُحمانُ الإبلِ وألبانُها»[٣].

الحسنُ: حرَّمَ إسرائيلُ على نفسِه لحمَ الجزورِ تعبُّداً لله، فسألَ ربَّه أن يجيزَ ذلك، فحرَّمَه اللهُ على ولدِه[٤].

عكرمةُ: كان ذلك زائدتي الكبدِ والكُليتينِ والشَّحمَ[٥].

مجاهدٌ: كان ذلك لحومَ الأنعام[٦].

السُّدِّيُّ: لمّا أنزلَ الله التَّوراةَ حرَّمَ عليهم ما كانوا يحرِّمونَه[٧] قبلَ نزولِها[٨].

---

(١) في (ن): «لو».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٣) عن قتادة، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٥١٠).

(٣) روى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١١٧) ـ واللفظ له ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذلك حرَّمها...». وقال: «حسن غريب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٢)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٢٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٥) عن الحسن أن ذلك لم يكن في التوراة.

(٥) ذكر الثعلبي هذا عن عكرمة في «تفسيره» (٨/ ٥١٢)، وقد روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥)، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥).

(٧) في (و): «يحرمونها».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٣)، وانظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٧٨).

عطيَّةُ: إنَّما كان ذلك[١] محرَّمًا عليهم بتحريمِ إسرائيلَ ذلك عليهم[٢].

وقيل: حرَّمَ بإذنِ الله.

وقيل: حرَّمَ بالاجتهاد.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ليتبيَّنَ منها الصَّحيحُ من القولَين، فلم يحضروها، فكذَّبهم النَّبيُّ عليه السَّلام وقال: «ليسَ في التَّوراةِ تحريمُ ذلك»[٣].

* * *

(٩٤) ـ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعدِ وضوحِ الآيةِ بنُكُولِكم عن إحضارِ التَّوراة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون.

* * *

(٩٥) ـ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في إخبارِه أنَّه لم يحرِّم لحومَ الإبلِ في التَّوراة، إنَّما[٤] حرَّمَه إسرائيلُ، وكذبَتِ اليهود.

---

(١) «ذلك» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٣)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٣٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٠) من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أما هذا اللفظ فلم أقف عليه مرفوعاً، وقد رُوي نحوه موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه؛ رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣١٥٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) في (ن): «وإنما».

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[(١)] في تحليلِ لحومِ الإبلِ وغيرِها.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديان، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقيل: صدقَ الله في أنَّ محمَّدًا على ملَّةِ إبراهيم، وفي أنَّ إبراهيمَ كان مسلمًا ولم يكُ من المشركين، فاتَّبعوا ملَّتَه.

***

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الزَّجّاجُ: أوَّل مسجدٍ وُضِعَ، وقيل: أوَّل بيتٍ وُضِعَ للحجِّ، وقيل: إنَّه البيتُ المعمورُ، وهو البيتُ العتيق[(٢)].

عليٌّ رضي الله عنه والحسنُ: أوَّل بيتٍ وُضِعَ للعبادة، وقد كانَت قبلَه بيوتٌ كثيرة[(٣)].

مجاهدٌ: تفاخرَت المسلمون واليهود، فقالت اليهودُ: بيتُ المقدسِ أفضلُ

---

(١) في (ن) زيادة: «خطاب للمشركين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٤).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٧) عن علي رضي الله عنه بلفظ: «كانت البيوت قبله، ولكن كان أول بيت وضع لعبادة الله»، وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٨) عن علي رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال له: أخبرني عن البيت؛ أهو أول بيت وضع للناس؟ قال: «لا، لكنه أول بيت وضعت فيه البركة». ورواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (٢/ ٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٠) عن الحسن بلفظ: «هو أول مسجد عُبِدَ الله فيه في الأرض»، وذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٠).

وأعظمُ من الكعبة؛ لأنَّه[١] مُهاجرُ الأنبياء، وهو الأرضُ المقدَّسة، وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضلُ، فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

مجاهدٌ وقتادةُ: أوَّل بيتٍ وُضِعَ، ولم يكن قبلَه بيتٌ[٣].

ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عمر[و][٤]: أنَّ الله تعالى خلقَ البيتَ قبلَ الأرضِ بألفي عامٍ، وكانَت زبدةً بيضاءَ على الماءِ، فدُحِيَت الأرضُ من تحتها[٥].

قتادةُ: إنَّ آدمَ لما أُهبِطَ إلى الأرضِ قال الله تعالى: إنِّي أُهبِطُ معك بيتًا يُطافُ به كما يُطافُ بعرشي من السَّماء، فكان[٦] آدمُ وبنوه يطوفون به، فلمّا كان زمنُ نوحٍ رُفِعَ

---

(١) في (و): «لأنها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٥) عن مجاهد، ورواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨، ٢٩٩) عن ابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٥) عن قتادة.

(٤) في النسخ الخطية: «عمر»، وصوابه: «عمرو»، كما في مصادر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤١٥٣) و(١٤١٥٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٨): «رجاله رجال الصحيح»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩١١) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩٧). ولكن لا بدَّ من التنبيه على أن صحة الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لا تعني صحته عن النبي ﷺ؛ فقد رواه البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً من وجه لا يصحُّ، وأشار ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٦٧) إلى أن هذا الخبر الأشبه أن يكون مما أخذه عبد الله عن أهل الكتاب.

(٦) في (و): «وكان».

إلى السَّماء، ثم إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام تتبَّعَ منه أثرًا، فبناه[١] على أساسٍ قديم[٢].

﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بكّةُ: موضعُ الكعبة، وما حواليه مكَّةُ، وسُمِّيت بكَّةَ من قولهم: (بَكَّ[٣] النّاسُ بعضُهم بعضًا)؛ إذا تدافعوا[٤].

وقيل: لأنها تَبُكُّ ـ أي: تكسر ـ أعناقَ الجبابرة.

وسُمِّيت مكَّةَ من قولهم: (امْتَكَّ الفصيلُ الضَّرع)؛ إذا مصَّ مصًّا شديدًا؛ لأنَّ الأرضَ مُكَّتْ من تحتها، أو لأنَّها تمُكُّ النّاسَ إليها، أو للازدحام[٥].

وقيل: الميمُ بدلٌ من الباء، كـ: ضربةٍ لازمٍ ولازبٍ[٦]، أو ضدُّه[٧].

﴿مُبَارَكًا﴾ الفرّاء: سُمِّي مباركًا لأنَّه مغفرةٌ للذُّنوب[٨].

---

(١) في (ن): «وبناه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٥)، واللفظ للطبري.

تنبيه: ظاهر صنيع المؤلف أنه يرجِّح قول الزجاج وعلي رضي الله عنه والحسن، وقد رجَّحه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٩٢) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٦٧) وفي «البداية والنهاية» (١/ ١٦٣).

(٣) في (و): «بك الله».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠١) عن قتادة.

(٥) انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ١٠٦)، و«غريب القرآن» للسجستاني (ص: ١١٩)، وذكر ابن دريد أنها سميت بذلك لقلة مائها. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٨٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٥).

(٧) أي: الباء بدل من الميم. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٤٤٣).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٧).

وقيل: لأنَّ العبادةَ فيه مضاعفةُ الثَّوابِ أضعافًا[١].

محمَّدُ بنُ جريرٍ: بركتُه تطهيرُ[٢] مَن حجَّه مِن الذُّنوب[٣].

وقيل: لثبوتِ العبادةِ فيها ولزومِها.

وأصلُ الكلمةِ: الثُّبوت، ومنه: (البِرْكةُ) و(البَرْكُ).

وهو نصبٌ على الحالِ من ضميرِ (البيت)، والعاملُ فيه: (وُضِعَ)، أو معنى الفعلِ في (بكَّة).

﴿وَهُدًى﴾ أي: ذا هدى.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: بيانًا أو دِينًا[٤].

وقيل: رحمةً.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للمسلمين أجمعين.

---

(١) وهذا من أعظم البركة، فقد روى البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام».

(٢) في (ن): «تطهير».

(٣) ذكر ابن جرير أن الطواف به مغفرة للذنوب، أما لفظ المصنف فلم أقف عليه في «تفسيره»، ولكن نقله أبو حيان عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٩٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٦٩).

(٤) في (و): «ودينا». لم أقف عليه، وقد ذكر الواحدي «البسيط» (٧/ ٣٨٧) عن ابن عباس أنه فسر الهدى بالبيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وذكر نحوه الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» في أكثر من موضع، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠٧): «في معنى الهدى هاهنا أربعة أقوال؛ أحدها: أنه بمعنى القبلة، فتقديره: وقبلة للعالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح؛ لأن من قصده صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى».

(٩٧) ـ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾: علاماتٌ واضحاتٌ لا تلتبسُ على أحدٍ.

﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: منها مقامُ إبراهيم، وهو موضعُ قدميه، ومنها: أمنُ الملتجِئِ إليه، وأمنُ السِّباعِ بعضهم من بعضٍ، وانمحاقُ الحجارةِ مع كثرةِ الرُّماة، وامتناعُ الطَّيرِ من العلوِّ عليه(١)، والحِجرُ، والحطيمُ.

الزَّجّاج: هي مقامُ إبراهيم(٢).

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ منهم مَن حملَه على الأمنِ من عذابِ الله، ومنهم مَن حملَه على الخَلقِ، ومنهم مَن حملَه على أنَّه(٣) ابتداءُ حُكمٍ من الله؛ أي: إذا جنى جانٍ ثم لاذَ به فهو آمنٌ لا يُقامُ عليه فيه الحدُّ، واختلفَ الفقهاءُ في ذلك(٤).

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٤٤٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٤٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٢)، و«زاد المسير» (١/ ٢٠٧)، و«تاريخ مكة» لابن الضياء (ص: ١٦٩)، ذكر العلماء كثيراً من الآيات، وفي بعض ما ذكروه نظر، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٦): «ومن آياته ـ فيما ذكر مكي وغيره ـ أن الطير لا تعلوه، وإن علاه طائر فإنما ذلك لمرض به، فهو يستشفي بالبيت، وهذا كلُّه عندي ضعيف».

(٢) كذا نقل عنه الواحدي، وكلامه يدلُّ على أن هذا على قراءة الإفراد، وهي قراءة شاذة مروية عن ابن عباس. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٦)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٦٧).

(٣) «أنه» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، وفي هذه المسألة تفصيل؛ فإذا وقعت الجناية في الحرم دون المسجد فالإجماع على أنه يقتص منه فيه، ولا يستوفى حدٌّ ولا قصاص في المسجد، حتى لو وقعت الجناية فيه؛ لئلا يؤدي ذلك إلى تلويثه. أما إذا وقعت في الحل ولجأ الجاني إلى الحرم فقد اختلف فيه؛ فقال مالك والشافعي: يقام عليه الحد، وقال أبو يوسف: يخرج =

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ عمَّمَ الإيجابَ، وذُكِرَ بلفظِ (على) لأنَّه للإيجاب.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بدل من ﴿ٱلنَّاسِ﴾، والاستطاعةُ: استفعالٌ[(١)] مِن (طاعَ لك الشَّيءُ)؛ إذا سهُلَ وانقادَ.

واختلفوا في الاستطاعة؛ ابنُ عبّاسٍ: الزّادُ والرّاحلةُ وقوّةُ البدن[(٢)].

وقيل: الزّادُ[(٣)] والرّاحلةُ[(٤)].

وقيل: القوّةُ فحسبُ[(٥)].

= من الحرم ويقام عليه الحد، وذهب الحنفية إلى أنه لا يحد فيما يأتي على النفس ويقام عليه ما سوى ذلك، وذهب الحنابلة إلى أنه لا يقام عليه الحد، بل يضطر إلى الخروج بعدم البيع والشراء. انظر: «مختصر اختلاف الفقهاء» للطحاوي (٢/ ٢٤٣)، و«المغني» (٩/ ١٠٠).

(١) في (و): «والاستطاع استفعلال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٠) بلفظ: «والسبيل: أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به».

(٣) في (و): «البدن».

(٤) جاء فيه حديث مرفوع، رواه الشافعي في «الأم» (٢/ ١٢٧)، والترمذي (٨١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة». وقال الترمذي: حديث حسن، وإبراهيم هو ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

(٥) رجح الطبري أن ذلك على قدر الطاقة فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماءٍ في طريقه أو زادٍ وضعف عن المشي، فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه، فإن لم يكن مطيقًا الحج بتعذر بعض هذه المعاني فهو ممن لا يستطيعه؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هي القدرة عليه، وقال: «أما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة، فإنها أخبار في أسانيدها نظر، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين». وذكر الإمام الشافعي وجهاً آخر للاستطاعة فقال: «الاستطاعة وجهان: أحدهما: أن يكون الرجل مستطيعاً ببدنه واجداً من ماله =

والحَجُّ والحِجُّ لغتان(١)، وقد سبق.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ابن عبّاسٍ: بوجوبِ الحجِّ(٢).

وقيل: بآياتِ الله.

مجاهدٌ: هو الذي إن حجَّ لم يره برًّا، وإن لم يحجَّ لم يره مأثمًا(٣).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا يضرُّه كفرُ الكافرين.

* * *

(٩٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي آياتٌ مِن التَّوراةِ فيها صفةُ محمَّدٍ عليه السّلام ونعتُه.

ويُحتمَلُ: القرآنُ ومعجزاتُ النَّبيِّ عليه السّلام.

= ما يبلغه الحج، فتكون استطاعته تامة، ويكون عليه فرض الحج، لا يجزيه ما كان بهذا الحال إلا أن يؤديه عن نفسه، والاستطاعة الثانية: أن يكون مضنوّاً في بدنه لا يقدر أن يثبت على مركب فيحج على المركب بحال، وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه بطاعته له، أو قادر على مال يجد من يستأجره ببعضه فيحج عنه، فيكون هذا ممن لزمته فريضة الحج كما قدر، ومعروف في لسان العرب أن الاستطاعة تكون بالبدن وبمن يقوم مقام البدن». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦١٧).

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٧٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٠)، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٠).

ومعنى الاستفهامِ هاهنا: التَّقريرُ على الخطأ، والدُّعاءُ إلى معاودةِ الحقِّ[١].

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: تهديدٌ ووعيدٌ.

* * *

(٩٩) ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ ﴿تَصُدُّونَ﴾: تمنعون، والصَّدُّ: المنعُ، لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبِكم بالنَّبيِّ عليه السَّلام.

الحسنُ: هم اليهودُ والنَّصارى[٢].

ابنُ زيدٍ: الخطابُ لليهود، وصدُّهم إغراؤُهم بينَ الأوسِ والخزرجِ[٣]، ويأتي ذِكرُه.

---

(١) الظاهر أن الاستفهام هنا للتوبيخ، كما قال الواحدي، وعبارة المصنِّف ليست ببعيدة عن هذا؛ فـ(التقرير) في عبارته عام، والتوبيخ داخل فيه، فالاستفهام يخرج إلى معنى التقرير والتسوية، والتقريرُ يكون تنبيهاً وتوبيخاً ونفياً، وهذا اصطلاح كثير من المتقدمين، وهو أعمُّ من معنى (التقرير) في الاصطلاح الشائع اليوم، وقد فرَّق الأزهري بأن التقرير ما كان من الجبار لوليه، والتوبيخ ما كان لعدوِّه، أما المتأخرون ففصَّلوا في الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام، وجعلوا التوبيخ والتقرير غرضين منفصلين. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«المقتضب» له أيضاً (٢/ ٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٧٦)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٧١)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٤٣)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٣٠٤)، و«الإيضاح» للقزويني (٣/ ٦٨ ـ ٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٢) عن ابن زيد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٧) عن زيد بن أسلم في خبر سيأتي قريباً.

﴿تَبۡغُونَهَا﴾: تطلبونها[١]؛ للسَّبيلِ[٢].

﴿عِوَجًا﴾ بإيرادِ الشُّبهِ والشُّكوكِ على المؤمنين.

وقيل: ﴿عِوَجًا﴾؛ أي: أن يكونَ فيها عدولٌ عمّا أمرَ به الله.

والعِوَجُ بالكسر: في الدِّينِ والرَّأيِ، وبالفتح: في القناةِ[٣] والحائطِ[٤].

﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾ أنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

وقيل: عقلاء.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

ابن عيسى: بغيتُ الشَّيءَ: طلبتُه، اِبْغِنِي كذا؛ أي: اطلبْهُ لي[٥]، وأَبْغِنِي[٦] كذا بالفتح: أعنِّي عليه وعلى طَلَبِه[٧].

***

(١٠٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «تطلبون لها».

(٢) أي: الضمير يعود للسبيل.

(٣) في (و): «القامة».

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٨٦) مادة (ع و ج).

(٥) في (و): «بغيتُ الشَّيءَ أبْغِي كذا: أطلبه» بدل «بغيتُ الشَّيءَ: طلبتُه، اِبْغِنِي كذا؛ أي: اطلبْهُ لي».

(٦) «أبغني» من (و).

(٧) لم أقف على كلام ابن عيسى، وقد ذكر نحوه البندنيجي في «التقفية» (ص: ٤٧)، والحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٦٠٧)، وغيرهما.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ يعني: الأوسَ والخزرج.

﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: شاسًا اليهوديَّ وأصحابَه.

﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ باستباحةِ[1] القتلِ والخروجِ من أمرِ النَّبيِّ عليه السّلام.

وذلك أنَّ شاسَ بنَ قيسٍ اليهوديَّ أغرى بين الأوسِ والخزرجِ حتَّى قالوا: تعالوا نردُّ الحربَ جَذعًا كما كانَت، فنادى هؤلاء: يا لَلأوسِ، ونادى هؤلاء: يا لَلخزرجِ، فاجتمعوا، وأخذوا السِّلاحَ، واصطفُّوا للقتال، فنزلَت هذه الآية، فجاء النَّبيُّ عليه السَّلام حتَّى قامَ بين الصَّفَّين، فقرأها ورفعَ صوتَه، فلمّا سمعوا صوتَه أنصتوا له، وجعلوا يستمعون، فلمّا فرغَ ألقوا السِّلاح، وعانقَ بعضُهم بعضًا، وجثَوا يبكون، ثم انصرفوا مع رسولِ اللهِ عليه السَّلام سامعين مطيعين[2].

الحسنُ: نزلَت في مشركي العرب[3].

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ الخطابُ للأوسِ والخزرجِ.

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السّلام.

---

(١) في (ن): «وباستباحة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٧) عن زيد بن أسلم، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١١) عن محمد بن إسحاق.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٦٣).

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾: يتمسَّكْ بدينِه، ﴿فَقَدْ هُدِيَ﴾: أُرشِدَ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ابن عيسى: أصلُ الاعتصامِ: الامتناعُ، والعِصمةُ: المنعُ عن المكروه(١).

***

(١٠٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ابنُ مسعودٍ والحسنُ: هو أن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَرَ فلا يُكفر(٢).

وقيل: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: اتِّقاءَ جميعِ معاصيه.

قتادةُ والرَّبيعُ: هي منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦](٣).

ابنُ عبّاسٍ وطاوس: هي محكمة(٤).

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠٨).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٥٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٩) عن الحسن مقتصرًا على: «أن يطاع فلا يعصى»، وذكره الماوردي عن ابن مسعود والحسن في «النكت والعيون» (١/ ٤١٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٨) عن عمرو بن ميمون والربيع والسدي، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣٨) وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٤) مرفوعًا، قال ابن كثير: «والأظهر أنه موقوف».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٢) عن قتادة والربيع.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما وطاوس، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الشَّيخُ رحمه الله: وهذا أولى؛ لأنَّ قولَه: (اتَّقوا ما استطعتم)[1] بيانٌ لقولِه: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ ولأنَّ مَن اتَّقى معاصيَه فقد اتَّقاه حقَّ تُقاتِه.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: دُومُوا على الإسلام.

***

(١٠٣) ـ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: بالعِصامِ[2]، وهو حبلٌ يمتنعُ المتمسِّكُ به عن الوقوع، والمرادُ به هاهنا: الإسلامُ.

ابنُ مسعودٍ وقتادةُ والسُّدِّيُّ: كتاب الله[3].

أبو سعيدٍ الخدريُّ روى[4] عن النبيِّ عليه السّلام أنَّه قال: «كتابُ اللهِ هوَ حبلُ اللهِ الممدودُ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ»[5].

---

(١) «ابن عباس وطاوس هي محكمة قال الشَّيخُ رحمه الله وهذا أولى لأن قوله اتقوا ما استطعتم» من (ن).

(٢) أصل العصام: حبل تشد به القربة والدلو، ويُطلق على كل شيء عُصم به شيء. انظر: «المحكم» مادة (ع ص م) (١/ ٤٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠١٧)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥١٩)، والدارمي في «سننه» (٣٣٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه والسدي وقتادة. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٠٨)، وابن شاهين في «فضائل الأعمال» (٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٤٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الحاكم: «لم يخرجاه بصالح بن عمر».

(٤) «روى» من (ن).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١١٠٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٨١)، وأبو يعلى في =

عطاءٌ: عهدُ الله[١].

ابنُ مسعودٍ أيضًا: الجماعةُ[٢]. وهذا حسنٌ؛ لقوله[٣] تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

أبو العالية: الإخلاصُ لله بالتَّوحيد[٤].

وأصلُه[٥] الحبلُ المفتول.

و﴿جَمِيعًا﴾: حالٌ عن ضميرِ المخاطَبين.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: عن دينِ الله، والزموا الجماعةَ والطّاعة.

الحسنُ: ولا تفرَّقوا عن رسولِ الله عليه السّلام[٦].

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: ما أنعمَ به ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾: جمعُ عدوٍّ، كـ(فلو وأفلاء)، مشتقٌّ من (عدوَتي الوادي).

يريدُ به: العداوةَ التي امتدَّت بينَ الأوسِ والخزرجِ مئةً وعشرين سنة، على ما ذكره المفسِّرون.

= «مسنده» (١٠٢١)، وله شاهد رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٥).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٦٣).

(٣) في (ن): «أحسن كقوله».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٤)، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٦٩) بلفظ: «بلا إله إلا الله، كونوا عليها إخواناً، ولا تفرقوا ولا تعادوا».

(٥) في (و): «وأصل».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٤) دون نسبة.

الحسنُ: مشركو العرب[١].

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالمودّةِ والمحبّةِ وإزالةِ البغضاءِ والعداوة.

﴿فَأَصْبَحْتُم ﴾: صرتم، ويأتي (أصبحَ): دخلَ في الصَّباح، كـ(أشتى) و(أصاف)[٢].

﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾: أصدقاء، والأخُ: الصَّديقُ الوكيدُ الصَّداقةِ، تشبيهًا بالأخِ من الولادة.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ بالكفرِ؛ أي: كنتم كمَن أشرفَ على خندقٍ مملوءٍ من النّارِ يكادُ يقعُ فيه.

أبو عبيدة: شفا الشَّيء: حَرْفُه[٣].

والحفرةُ: المحفورةُ[٤].

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾: نجّاكم وخلَّصَكم منها بالإيمان.

والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿شَفَا﴾، وأُنِّثَ لإضافتِه إلى مؤنَّث[٥].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٢).

(٢) والتي بمعنى: (صرتم) ناقصة، أما التي بمعنى: (دخل في الصباح) فتامة، وظاهر عبارة المصنِّف هنا أن التامة غير واردة في الآية، لكنه جوَّز ذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، وانظر: «الدر المصون» (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٨).

(٤) في (و): «والحفرة المحفور». انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٩٤).

(٥) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٨): «ترك (شفا)، ووقع التأنيث على (حفرة) »، وكلامه يحتمل ما ذكره المصنف، ويحتمل أنه يرى عود الضمير على (الحفرة)، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٥٨)، أما النحاس فجوز في «إعراب القرآن» (١/ ١٧٤) عود الضمير على الحفرة والنار، وذكر الزمخشري قول المصنِّف في «الكشاف» (١/ ٣٩٥) وجوَّز عود الضمير على الحفرة =

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الزَّجّاجُ: المعنى: مثل البيان الذي يُتلى عليكم يُبيِّنُ الله لكم آياتِه(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لتكونوا على رجاءِ هدايتِه.

محمَّدُ بنُ جريرٍ: أي: كما بيَّنَ لكم غِلَّ اليهودِ وغشَّهم لكم يبيِّنُ الله حججَه على لسانِ نبيِّكم(٢).

***

(١٠٤) ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ اختلفوا في (من)؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه للبيان(٣)، فيلزمُ الجميعَ الدُّعاءُ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكر؛ أي: كونوا كلُّكم داعينَ إلى الخيرِ آمرينَ بالمعروفِ ناهينَ على المنكر.

المفضَّل: أي: كونوا أمّةً تدعونَ إلى الخير. قال: ولم يرد أن يكونَ بعضُهم على

= والنار، وذكر هذه الوجوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٥) ونسب ما ذكره المصنِّف للطبري ولم يستحسنه، أما أبو حيان فلم يستحسن في «البحر المحيط» (٣/ ٢٨٨) إلا ما ذكره المصنِّف.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٦٠).

(٣) ممن ذهب إلى هذا النحاس، وظاهر كلام الزجاج أنه يميل إليه، مع أنه جوَّز أن تكون (من) للتبعيض. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٢)، وللنحاس (١/ ٤٥٦).

غيرِ ذلك. قال: وهذا من كلامِ العربِ فصيحٌ يقولونَ للرَّجل: ليكن منك رجلٌ قائمًا بهذا؛ أي: كن قائمًا به(١).

وذهبَ أكثرُهم إلى أنَّ (مِن) للتَّبعيضِ، وهو فرضٌ على الكفاية، فإذا قامَ به بعضٌ سقطَ عن الباقين.

***

(١٠٥) - ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى اختلفوا في كُتبِ الله حتى صاروا يكفِّرُ بعضُهم بعضًا، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

***

(١٠٦) - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العاملُ في الظَّرفِ: ﴿عَظِيمٌ﴾؛ أي: يَعْظُمُ يومَ تَبيضُّ وجوهٌ.

وقيل: العاملُ ما في الكلامِ(٢) من معنى الفعل(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، ومال إليه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٦)، وهذا الوجه فيه اختلاف عن الوجه الأول رغم قربه منه؛ ففي هذا الوجه ما يسمى بالتجريد.

(٢) في (و): «اللام».

(٣) يعني: معنى الثبات والاستقرار المفهوم من قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: أولئك يثبت لهم عذاب عظيم يومَ... انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٣)، و«إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٢٨٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٨٧).

أي: تبيضُّ وجوهُ المؤمنين.

﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾؛ أي: وجوهُ الكافرين.

حملَ أكثرُهم البياضَ والسَّوادَ على حقيقةِ اللَّون، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّهما مَثَلان، كقولِه: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]، وكقولِ العربِ لمن نالَ أمنيتَه: ابيضَّ وجهُه[١].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ تقديرُه: فيُقالُ لهم: أكفرتم[٢]، فأضمرَ الفاءَ مع القول[٣]، وأنكرَه صاحبُ النَّظم، وإنكارُه منكرٌ[٤].

أكفرتم[٥] ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: تبكيتٌ[٦].

---

(١) ممن ذهب إلى هذا الزجاج والنحاس، وقد ذكره المصنف، واستغربه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٣)، وللنحاس (١/ ٤٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥).

(٢) «أكفرتم» من (ن).

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٨)، والأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٩)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٣٧)، والمبرد في «الكامل» (١/ ٢٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٤)، والزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٤)، وأبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ٢٤١)، وابن فارس في «الصاحبي» (ص: ١٧٧)، وقد سماه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٧) بفحوى الخطاب.

(٤) صنع أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) مثل صنيع المصنف، فنقل أن الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الله الأنصاري أنكر في كتابه «نهاية التأميل في أسرار التنزيل» على النحاة قولهم في هذه الآية، وأنكر عليه أبو حيان إنكاره، وردَّ عليه قوله.

(٥) «أكفرتم» من (ن).

(٦) «تبكيت» من (ن). والتبكيت هو التوبيخ، قال الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٤): «هذه الألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ».

الحسنُ: هم المنافقون[١].

قتادةُ: المرتدُّون[٢].

أُبيُّ بنُ كعبٍ: جميعُ الكفّار؛ لأنَّهم آمنوا يومَ الميثاق، وقالوا: بلى، ثم كفروا[٣].

وقيل: هم أهلُ الكتابِ كفروا بمحمَّدٍ بعدَ مبعثِه، وكانوا مؤمنينَ به قبلَ المبعث.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: جزاءً لكفركِم.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: جنَّته[٤].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون.

الزَّجّاجُ: كرَّرَ (في) تأكيدًا[٥].

ابنُ عيسى: كلُّ واحدةٍ منهما قائمةٌ بنفسِها؛ أي: إنَّهم في رحمةِ الله، وإنَّهم خالدون فيها[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٤) بلفظ: «لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون»، ولقد ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولن: رب أصحابي أصحابي، فليقالن: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٥)، ورجَّحه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٠).

(٤) «جنته» من (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٥).

(٦) ذكر نحوه الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٧٨٥) دون نسبة، وكذا فعل الزمخشري في =

(١٠٨) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: التي سبقَت من القصصِ والأوامرِ والنَّواهي.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: كتابُه[١].

أبو عبيدة: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: عجائبُه[٢].

﴿نَتْلُوهَا﴾: نقصُّها.

﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالوعدِ والوعيدِ.

محمَّدُ بنُ جريرٍ: كلُّها صدقٌ ويقين[٣].

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّه سبحانَه خالقُهم.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: تصيرُ الأمورُ، فيجازي المحسنَ بإحسانِه والمسيءَ بإساءتِه.

الزَّجّاجُ وغيرُه: إنَّما صرَّحَ باسمِ الله في قولِه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ فلم يضمر؛ تعظيمًا له، كقول الشاعر:

لا أرى المـوتَ يَسبِقُ المـوتَ شـيءٌ ... نغَّـصَ المـوتُ ذا الغِنـى والفقيـرا[٤]

= «الكشاف» (١/ ٣٩٩).

(١) «كتابه» من (ن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٦٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦). والبيت مختلف في نسبته؛ فهو لعدي بن زيد في =

(١١٠) ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: المرادُ بالأمّةِ هاهنا: الذينَ هاجروا مع محمَّدٍ[1] عليه السَّلام من مكَّةَ إلى المدينة[2].

قال عكرمةُ ومقاتلٌ: نزلَت في ابنِ مسعودٍ وأُبيٍّ بن كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ، وذلك أنَّ مالكَ بنَ الصَّيفِ ووهبَ بنَ يهوذا قالا لهم: إنَّ دينَنا خيرٌ ممّا تدعوننا إليه، ونحن خيرٌ وأفضلُ منكم، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

قال الضَّحّاكُ: هم أصحابُ رسولِ الله عليه السّلام[4].

السُّدِّيُّ: عن عمرَ بنِ الخطّابِ أنَّه[5] قال: لو شاءَ الله قال: أنتم، فكنّا كلَّنا، ولكنّه

= «ديوانه» تحقيق: محمد جبار المعيبد (ص: ٦٥)، و«مشكل الحديث» لابن فورك (ص: ٦١)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٨٨)، ولابنه سواد ـ أو سوادة ـ بن عدي في «الكتاب» (١/ ٦٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ٣٣٥)، و«الاقتضاب» (٣/ ١٩٦)، ولأحدهما في «شرح أبيات سيبويه» لابن السيرافي (١/ ٨٧)، و«لسان العرب» لابن منظور مادة (ن غ ص) (٧/ ٩٩).

(١) في (ن): «مع رسول الله».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٦٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٣)، والواحدي «أسباب النزول» (ص: ١١٨)، ونبّه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٣٣) أن عكرمة روى بعضه ومقاتلاً بعضه، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٣).

(٥) «أنه» من (ن).

قال: كنتم، فكانَ في خاصّةِ أمّةِ محمَّد، ومَن صنعَ مثلَ ما صنعوا، كانوا خيرَ أمّة[١].

مجاهدٌ: أنتم خيرُ أمّة[٢].

الزَّجّاجُ: يعني: أمّةَ محمَّدٍ عليه السّلام؛ مَن كان منهم بالشَّرائطِ والصِّفاتِ المذكورةِ، فهو خيرُ النّاس[٣].

وذُكِرَ لـ(كان) في الآيةِ وجوهٌ[٤]:

أحدها: أنَّها[٥] النّاقصةُ، و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ خبرُها، والمعنى: كنتم في اللَّوحِ المحفوظِ بهذه الصِّفة.

والثّاني: أنَّها التّامّةُ، و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٦] حالٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٢)، وفيهما: «أصحاب محمد» بدل «أمة محمد».

(٢) روى القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٩٤) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٤) عن مجاهد: «كنتم خير الناس للناس، على هذا الشرط؛ أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله...»، وهو قريب من القول الذي نسبه المصنِّف للزجاج، وما نسبه المصنف لمجاهد هو قول الفراء وابن قتيبة، وهو أحد اختياري الطبري. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٠)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٦).

(٣) هو معنى قوله ومستفاد منه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٢٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ٣٧٨) و(٥/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥)، و«المفردات» للراغب (ص: ٧٣١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٤٩).

(٥) «أنها» من (ن).

(٦) «خبرها والمعنى كنتم في اللوح المحفوظ بهذه الصفة والثاني انها التامة وخير أمة» من (ن).

والثالث: بمعنى: صِرتم[1]؛ أي: صرتم خيرَ أمّةٍ لأمركِم بالمعروفِ ونهيِكم عن المنكرِ وإيمانِكم باللهِ[2].

والرابع: أنَّها زيادةٌ، كما في قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

والخامس: أنَّ هذا في القيامة، وهو متَّصلٍ بقوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]؛ أي: فيُقال لهم في القيامة: كنتم ـ أي: في الدُّنيا ـ خيرَ أمّة[3].

السادس: كنتم بهذه الصِّفةِ في الكتبِ المتقدِّمة.

وتَحتمِلُ وجهًا سابعًا، وهو أنَّ (كان) قد تُستعمَلُ للدَّوامِ دونَ الماضي، وتسميةُ بعضِ النَّحويين: كان الحال، وبعضِهم: الواقع؛ كقولِه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؛ أي: هو سميع بصير[4]، وكذلك الآيةُ؛ أي: أنتم خيرُ أمّة[5].

﴿أُخْرِجَتْ﴾: أُظهِرَت وأُوجدَت.

ابنُ عبّاسٍ: أُخرِجت من مكّةَ إلى المدينة[6].

﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لسائرِ النّاس.

وقيل: المرادُ بهم: أهلُ مكّة.

وقيل: هو عامٌّ.

---

(١) في (ن): «صار».

(٢) في (و) زيادة: «والشرائع».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، واستغربه.

(٤) «أي هو سميع بصير» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، وعدَّه من العجائب.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣١)، وقد تقدم، وذكره أبو حيان بلفظ المصنف في «البحر المحيط» (٣/ ٣٠١).

واللامُ متعلِّقٌ بالخبرِ[١]، كما تقولُ: هذا خيرٌ لك.

وقيل: متعلِّقٌ بـ﴿أُخْرِجَتْ﴾.

وقيل: متعلِّقٌ بقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾؛ أي: تأمرونَ النّاسَ بالمعروفِ وتنهَونَ عن المنكر، فلمّا تقدَّمَ دخلَه اللامُ، كقولِه: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٢].

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمانِ وطاعةِ الرَّسولِ وسائرِ الخيرات.

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الكفرِ وتعاطي المحرَّمات.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الواوُ لا تقتضي التَّرتيب.

ابن عيسى: إنما قيل للحَسَنِ: معروفٌ، والقبيحُ أيضًا معروفٌ قبحُه؛ لأنَّ القبيحَ بمنزلةِ ما لا يُعرَفُ بخمولِه وسقوطِه، والحَسَنُ يُعرَفُ لجلالتِه[٣].

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريدُ: عامَّتَهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بعضُهم.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون من طاعة الله.

* * *

(١١١) ـ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ مقاتلٌ: إنَّ رؤوسَ اليهودِ كعبًا[٤] والنُّعمانَ وأبا رافعٍ

---

(١) وهو (خير)، وهذا التعليق يجعل الخيرية مخصوصة، ولذاك حاد عنه أبو حيان.

(٢) ذكر أبو حيان الوجوه الثلاثة، واستظهر التعليق بـ(أخرجت)، واستبعد التعليق بـ(تأمرون). انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٥٠).

(٣) في (و): «لجلائه».

(٤) في (ن): «وكعبا».

وأبا ياسرٍ[١] وابنَ صوريا عمدوا إلى مؤمنيهم عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، فآذَوهم لإسلامِهم، فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

قوله: ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ ابنُ عبّاسٍ: إلا الأذى[٣] بالألسنِ[٤].

الحسنُ وقتادةُ وابنُ جرير: إسماعُ الكفرِ والتّكذيب[٥].

وقيل: ما يقولونه في عُزير والمسيح والصَّليب[٦].

والاستثناءُ صحيحٌ؛ أي: لن يضرّوكم إلا ضررًا[٧] يسيرًا، والأذى: هو الضَّررُ.

الفرّاءُ وابنُ جريرٍ: منقطعٌ[٨].

---

(١) في (و): «إياس».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٦٥)، وفي «تفسير مقاتل» زيادة على ما ذكره المصنف من أسماء رؤوس اليهود: شعبة وبحري وكنانة بن أبي حقيق، وفيه «أبا نافع» بدل «أبا رافع».

(٣) في (و): «أذى».

(٤) ذكر نحوه الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ٥٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٨)، وقد رواه بألفاظ مختلفة؛ فلفظ رواية الحسن: «تسمعون منهم كذبا على الله، يدعونكم إلى الضلالة»، ورواية قتادة: «لن يضروكم إلا أذى تسمعونه منهم»، وكذا رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٤) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٤) عن الحسن.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٩) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٤) عن ابن جريج، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في (ن): «ضرا».

(٨) هذا قول الأخفش والطبري، ونقله أبو حيان عن الفراء والزجاج، ولم أقف عليه فيما بين يدي من كتبهما. وانظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، وللأخفش (١/ ٢٣٠ ـ ٢٢٩)، وللزجاج (١/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠٣).

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾؛ أي: ينهزموا.

وتوليةُ الأدبارِ كنايةٌ عن الانهزام؛ لأنَّ المهزومَ يُولِّي دُبرَه الهازم(١).

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ استئنافُ كلامٍ(٢)، ووعدٌ منَ الله بأنْ لا ينصرَهم اللهُ ولا أحدٌ من خَلقِه، وكانَ كما وعدَ.

وقيل: حقُّه الجزمُ، لكنَّه رُفِعَ للفاصلة(٣).

ابنُ عيسى: رُفِعَ؛ لأنَّ التَّوليةَ سببُه(٤) القتالُ، ومنعُ النَّصرِ سببُه الكفرُ بالله(٥).

***

(١١٢) - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾؛ أي: على اليهودِ.

ومعنى ضَرْبِ الذِّلّة: إلزامُهم إيّاها بحيثُ لا تبرحُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٨٠).

(٢) ذهب إلى هذا الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٧).

(٣) هذا خلاصة قول الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨٠).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وحقُّ هذا عندنا أن يقال: سببها، ولكن مثل هذا كثير في كلام المصنف وغيره من المتقدمين، فهم يتجوَّزن في مثل هذا؛ فيعاملون المؤنث المجازي معاملة المؤنث أحياناً، ومعاملة المذكر أحياناً أخرى.

(٥) لم أقف على هذا القول له، وقد بيَّنَ أنه يجوز في الآية الرفع والجزم. انظر: «شرح كتاب سيبويه» لعلي بن عيسى الرماني (ص: ١٠٢١).

وقيل: معناه: جُعلَت الذِّلّةُ محيطةً بهم كإحاطةِ القُبَّةِ أو[1] الخيمةِ بمن ضُرِبَت له[2].

﴿أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: صُودِفُوا ووُجِدُوا.

﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الحبلُ: العهدُ والذِّمّةُ، والأمانُ الذين يأخذونه من المؤمنين.

الفرّاءُ والزَّجّاجُ: الاستثناءُ منقطعٌ؛ لأنَّ الذلَّةَ لا تفارقُهم أبدًا، والباءُ متعلِّقٌ بمضمرٍ؛ أي: لكنَّهم يعتصمون بحبلٍ إذا أُعطوه[3].

وقيل: الاستثناءُ متَّصلٌ، وتقديره: ضُربت عليهم الذِّلّةُ بكلِّ حالٍ إلا بحالِ العهدِ، وبكلِّ مكانٍ إلا مكانَ العهدِ[4].

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ مضى تفسيرُه.

* * *

(١١٣) - ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾.

---

(١) «القبة أو» من (ن).

(٢) تأمل كلام المصنِّف في بيان بلاغة الآية، وقارن بينه وبين كلام مَن سبقه ومن تبعه مِن أئمة البلاغة، تجد ما يدلُّك على مكانة المصنِّف وميزته. انظر: «النكت في إعجاز القرآن» لعلي بن عيسى الرماني (ص: ٩٠)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٤)، و«فصل المقال» للبكري (ص: ١٠٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٤٥)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص:٣٩٠)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٧).

(٤) نُسب هذا القول لثعلب. انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٤٠٢).

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ ابنُ عبّاسٍ ومقاتلٌ: لـمّا أسلمَ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه قال[١] أحبارُ اليهود: ما آمنَ بمحمَّدٍ إلّا شرارُنا، ولو كانوا من خيارِنا لَما تركُوا دينَ آبائِهم. وقالوا لهم: لقد خسرتُم حين استبدلتُم بدينِكم دينًا غيرَه، فأنزلَ الله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ الآية[٢].

ابنُ مسعودٍ: نزلَت في صلاةِ العتمةِ، وقال: أخَّرَ رسولُ الله ﷺ صلاةَ العشاء، ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ فإذا النّاسُ ينتظرونَ الصَّلاة، فقالَ: «إنَّه ليسَ مِن أهلِ الأديانِ أحَدٌ يَذكُرُ الله في هذهِ السّاعةِ غيرُكم» فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

والضَّميرُ يعودُ إلى اليهودِ؛ أي: ليسُوا كلُّهم كفرةً معاندين، بل منهم أمّةٌ قائمة.

أبو عُبيدةَ: هذا على لغةِ (أكلوني البراغيث)[٤]، وتقديرُه: من أهلِ الكتابِ أمّةٌ قائمةٌ وأمّةٌ غيرُ قائمةٍ. وزيَّفَ قولَه النُّحاةُ[٥].

---

(١) في (و): «قالت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٧٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥٣٠). وله شواهد لكن دون ذكر أنها سبب نزول الآية، منها ما رواه البخاري (٥٦٩)، ومسلم (٦٣٨)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة، نام النساء والصبيان، فخرج، فقال: «ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠١)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، واستغربه، وإنما ذكر أبو عبيدة هذا على وجه الجواز، وبيَّن جواز أن يكون الكلام جملتين؛ الأولى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾، والثانية: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾.

(٥) ممن أنكر على أبي عبيدة قولَه الزجاج والنحاس، وقد علمت أنهم إنما ردوا قوله بقوله الآخر، ووجه الردِّ: أنَّ هذا اللغة إنما يعود الضمير على ما بعده، ويُشترط ألا يكون له ذِكر سابق، وقد جرى =

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾: جماعةٌ مستقيمةٌ، وقيل: ثابتةٌ على الحقِّ، وقيل: عادلةٌ.

الأخفشُ والزَّجّاجُ: أي: ذوو أُمّةٍ، وهي الطَّريقةُ[١]، قال النّابغةُ:

حلفْـتُ فلـم أَتْـرُكْ لنفسِـكَ رِيْبةً[٢] وَهَـلْ يَأْثَمَـنْ ذُو أُمَّـةٍ وَهُـوَ طائِـعُ[٣]

﴿يَتۡلُونَ﴾: يقرؤونَ ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنَ.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعاتِه، واحدُها: أَنًى وإِنًى وإِنْوٌ، وقيل: إِنْيٌ[٤].

﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾: يصلُّون.

ابنُ مسعودٍ: يريدُ صلاةَ العشاءِ الآخرة؛ لأنَّها ليسَت لسائرِ الأمم[٥].

وقيل: هذا حثٌّ على صلاةِ اللَّيل.

ويَحتمِلُ قولُه: ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾: سجدةَ التِّلاوةِ[٦].

= ذكر أهل الكتاب قبل الضمير في الآية، فلا ينبغي حملها على هذه اللغة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٢٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨).

(٢) «النابغة حلفت فلم أترك لنفسك ريبة»: ليس في (ن).

(٣) البيت للنابغة كما في: «ديوانه» تحقيق: حمدو طماس (ص: ٧٧)، و«العين» (٨/ ٤٢٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٦٢١).

(٤) في مفرد (آناء) أقوال أخرى، وهي: أنيٌ، وأناءٌ، وظاهر صنيع المصنِّف هنا يوهم أنه يرجح أن أصل الكلمة واوي، وهو قول بعض اللغويين، ولكنه استغرب هذا في «غرائب التفسير»، وظاهر صنيعه هناك يدلُّ على أنه يرى أن أصلها يائي، وهو قول أكثرهم. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٥٣٦)، و«الصحاح» للجوهري مادة (أ ن ى) (٦/ ٢٢٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٥٦)، و«تاج العروس» للزبيدي (٢٧/ ١٠٦).

(٥) تقدم الحديث فيه عند قوله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ [آل عمران: ١١٣].

(٦) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، واستغربه.

(١١٤) ـ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: بالإيمانِ وسائرِ أبوابِ البرِّ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الكفرِ وسائرِ مَنهيّاتِ الشَّرع.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾: يعملونها غيرَ مُتثاقِلين، وقيل: يُبادِرون إليها[١].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: من المؤمنين.

* * *

(١١٥) ـ ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿**وما تفعلوا من خيرٍ**﴾: من[٢] برٍّ وطاعةٍ، ﴿**فلن تكفروه**﴾؛ أي: لن[٣] تعدموا جزاءَه؛ أي: لا يُستَرُ عنكم شيءٌ منه.

الياءُ على الغيبةِ، والتّاءُ على الخطاب[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فيجازيهم على أعمالِهم.

* * *

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٢٠).

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) «لن» من (ن).

(٤) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ بالياء جميعًا، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: كثرةُ الأموالِ والأولادِ لا تدفعُ المكروهَ من عذاب الله.

وقيل: معناه: لا ينفعُ إنفاقُ الأموالِ مع الكفر.

و﴿شَيْـًٔا﴾ يُحتمَلُ أن يكونَ مفعولًا، ويُحتمَلُ أن يكون مصدرًا؛ أي: شيئًا من الغنى[1].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: مُلازموها.

ابنُ عيسى: أصحابُ النّارِ: ملازموها، كقوله: أصحابُ الصَّحراءِ، وأصحابُ العقارِ: مُلّاكُه، وأصحابُ الرَّجلِ: أتباعُه، وأصحابُ العالِم: المتعلِّمونَ منه[2].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(١١٧) ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؛ أي[3]: مثلُ ما ينفقُه الكافرُ قُربةً إلى الله.

---

(١) أي: يُنصب على أنه نائب مصدر مفعول مطلق.

(٢) ذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٢) والرازي في «مفاتيح الغيب» (١١/ ٣٢١) نحو هذا في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]، بلا نسبة.

(٣) «أي» من (ن).

وقيل: ما ينفقُه المنافقون على جهةِ المداراةِ للمؤمنينِ خوفًا من أن ينكشفَ نفاقُهم.

الزَّجّاجُ: يعني به: اليهود[١].

السُّدِّيُّ: نزلَت في أبي سفيانَ وأهلِ مكَّةَ وإنفاقِهم يومَ بدر[٢].

والتَّقديرُ: مَثَلُ إهلاكِ اللهِ ما ينفقونَ كمَثَلِ إهلاكِ ريحٍ.

ابنُ عيسى: مثلُ ما يُنفقون كمُهلَكِ ريحٍ.

﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ وقتادةُ: بَرْدٌ[٣].

الزَّجّاجُ: الصِّرُّ: صوتُ لهيبِ النّارِ التي في تلك الرِّيح[٤].

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر، فدمَّرَ الله عليهم.

وقيل: ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن زرعوا في غيرِ موضعِ الزَّرعِ أو غيرِ وقتِ الزَّرع[٥].

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: صيَّرته بحيث لا يُنتفَعُ به.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكِ زرعِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٢) والواحدي في «البسيط» (٥/ ٥٢٣) عن يمان، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٨) دون نسبة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٤) عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٤) نقله الزجاج عن بعضهم، وقدَّم عليه أنَّ الصِّرَّ: البرد الشديد. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦١).

(٥) «بالكفر فدمر الله عليهم وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع أو غير وقت الزرع» من (ن).

﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرِهم، أو زرعِهم في غيرِ موضعِه أو أوانِه[١].

ويُحتمَلُ أن يعودَ إلى الضَّميرِ في ﴿يُنفِقُونَ﴾.

***

(١١٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: نزلَت في قومٍ من المؤمنين كانوا يُصافونَ المنافقين، ويُوالونَ رجالًا من اليهودِ لِما كان[٢] بينهم من القرابةِ والصَّداقةِ والحِلْفِ والجِوارِ والرَّضاع، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ ينهاهم عن مُباطنتِهم[٣].

وبطانةُ الرَّجل: مَن يطلعُه على أسرارِه ثقةً به، مشتقَّةٌ من (البطن).

الزَّجّاجُ: لا تتَّخذوا مَن ليس على دينِكم خليلًا لكم[٤].

أبو عبيدة: دُخلاء[٥].

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: صفةٌ للبِطانةِ[٦]، والمعنى: لا يُقصِّرون في فسادِ دينِكم،

---

(١) في (ن): «وأوانه».

(٢) في (ن): «لمكان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

(٤) «لكم» من (ن)، وهذا مستفاد مما قاله الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٣).

(٦) أي: الجملة في محل نصب صفة (بطانة).

والعـربُ تقـول: مـا ألوتُـه خيـرًا؛ أي: مـا قصَّـرت في فعـلِ ذلـك به، وكذلـك: ما ألوتُه شـرًّا.

والخَبالُ: الفسادُ، والخَبَلُ: الجنونُ.

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ ابنُ جريرٍ: ودُّوا إضلالَكم[1].

الزَّجّاجُ: ودُّوا عَنَتَكم[2]؛ أي: يحبُّون مَشقَّتَكم، والعَنَتُ: المشقّةُ، وعَقَبةٌ عَنوتٌ[3]: شاقّةٌ، وقد سبقَ.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: في كلامِهم، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: أعظمُ تأثيرًا لو قدروا عليه؛ أي: أكبرُ ممّا بدا.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ابنُ جريرٍ: عن الله[4] أمرَه ونهيَه[5].

وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لا تُصافُوهم[6]، بل تُعاملوهم مُعاملةَ الأعداء.

* * *

(١) في (و): «ضلالكم». قال ابن جرير: «يعني: ودوا عنتكم»، لكنه روى عن السدي: «ما ضللتم»، ولذلك نسب الماوردي والواحدي هذا القول للسدي. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧٠٩ ـ ٧١١)، و«النكت والعيون» (١/ ٤١٩)، و«البسيط» (٥/ ٥٣٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٢).

(٣) في (و): «وعنته» بدل «عقبة عنوت».

(٤) اسم الجلالة من (ن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧١٥).

(٦) في (و): «تصافونهم».

(١١٩) ـ ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ البصريُّون: يجعلونَ تقديرَه: هؤلاء أنتم؛ فإنَّ العربَ تُحيلُ بين (ها) وبينَ المشارِ إليه بأسماءِ الضَّميرِ نحو: (ها أنا ذا)، وكذلك: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾، قالوا: وربَّما كرَّرُوا نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾[١].

الزَّجّاجُ: يجوزُ أن يكونَ ﴿أُوْلَآءِ﴾ موصولًا، و﴿تُحِبُّونَهُمۡ﴾ صلتُه، قال: ويجوزُ أن تكونَ حالًا[٢].

أبو مسلم بن مَهْرَبْزُد[٣]: أي: ﴿أنتم أولاء﴾ كما تقولُ: زيدٌ قمرٌ[٤]؛ أي: إذا صافيتموهم فكـأنَّكم هم[٥].

ويُحتمَلُ أن يكونَ ﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَآءِ﴾ مبتدأٌ ثانٍ، و﴿تُحِبُّونَهُمۡ﴾ خبرُه، والجملةُ خبرٌ للأوَّل، نحو: أنا زيد ضربته[٦].

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، وللأخفش (١/ ٢٦٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٩٧٦ ـ ٩٧٨).

(٢) أي: جملة (تحبونهم) منصوبة على الحال، و(أنتم) مبتدأ، و(أولاءِ) الخبر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٢ و٤٦٣)، وللنحاس (٢/ ١٨٦).

(٣) هو أبو مسلم الأصبهاني، تقدم التعريف به.

(٤) جاء على هامش (ن): «قول ابن مهربزد: ﴿أنتم أولاء﴾ كما تقول: زيد قمر، فخبر المبتدأ على ضربين؛ ضرب يكون هو عين المبتدأ، نحو: زيد قائم، وما أشبهه، وضرب يكون بمنزلته، ولا يكون هو بعينه، نحو: زيد قمر؛ أي: مُنزَّل منزلتَه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾؛ أي: مُنزَّلات منزلتهن، وهذا ظاهر. والوجهُ الذي ذكرته في الآية قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ طريف».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦) بلا نسبة، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، وعدَّه من العجائب.

ويُحتمَلُ أن يكونَ ﴿أُوْلَآءِ﴾ في محلِّ نصبٍ نحو: أنا زيدًا ضربته[١]، والمعنى: أنتم تحبُّون إيمانَهم وتريدون رُشدَهم، ولا يحبُّونكم حيثُ يختارون لكم الكفرَ.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: اسمٌ للجنس، وأجازَ ابنُ عيسى أن يكونَ مصدرًا سُمِّي به[٢].

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أظهروا كلمةَ التَّوحيد.

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾: فارقُوكم، وقيل: خلا بعضُهم ببعضٍ.

﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أي: تحسَّروا غيظًا حيثُ لم يجدوا إلى التَّشفِّي سبيلًا، وهذا كما تقولُ: فلانٌ يحرقُ عليَّ الأَدَمَ[٣]، قال:

إذا رأوني أطالَ اللهُ غيظَهُمُ ... عَضُّوا مِنَ الغَيْظِ أطرافَ الأباهيمِ[٤]

والواحديُّ[٥] جعلَ ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من صلةِ ﴿ٱلْغَيْظِ﴾[٦]، وصلةُ المصدرِ لا تتقدَّمُ على المصدر[٧].

---

(١) أي: مفعول به لفعل محذوف، أو منصوب على الاشتغال، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، وعدَّه من العجائب أيضاً.

(٢) هذان القولان في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقد ذكر الواحدي القولين في «البسيط» (٥/ ٥٤٨) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧).

(٤) البيت للفرزدق كما في «ديوانه» تحقيق: علي فاعور (ص: ٥١٤)، وهو بلا نسبة في «المذكر والمؤنث» (١/ ٤٠١)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٩٣)، ورواية «الديوان»:

إذا رأوك أطال الله غيرتهم

(٥) في (و): «الواحدي».

(٦) وذلك أنه قال: «وفي الآية تقديم وتأخير؛ لأن التقدير: وإذا خلوا عضوا الأنامل من الغيظ عليكم». انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٥١)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧)، وعدَّه من العجائب.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧) دون نسبه، وعده من العجائب.

والأناملُ: جمع أنملةٍ، وهي أطرافُ الأصابعِ.

قال ابنُ عيسى: أصلُها النَّملُ المعروف، فهي مشبَّهةٌ به في الدِّقّةِ والتَّصرُّفِ بالحركة، ومنه رجلٌ نَمِلٌ؛ أي: نمّام(١).

﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاءٌ عليهم؛ أي: دامَ لكم هذا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوبِ من الخيرِ والشَّرِّ.

* * *

(١٢٠) - ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾: فتحٌ وغنيمةٌ كيومِ بدرٍ، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم.

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: كسرٌ وهزيمةٌ كيومِ أُحدٍ، ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾.

الحسنُ وقتادةُ: الحسنةُ: الأُلفةُ واجتماعُ الكلمةِ، والسَّيِّئةُ: إصابةُ العدوِّ لاختلافِ الكلمة(٢).

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله.

ويُحتمَلُ: ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مباطنتَهم ومحبَّتَهم.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٢٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٧) عن قتادة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٢٢) عن الحسن بلفظ المصنف، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٦) عن الحسن: «أنبأ الله المؤمنين بعدوهم فقال: إن تصبكم حسنة يسؤهم ذلك».

﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ و﴿لا يَضِرْكُمْ﴾[١]، تقول: ضارَه يَضيرُه، وضرَّه يَضرُّه؛ بمعنى واحدٍ، وحُرِّكَ الرّاءُ بالضَّمِّ، كما حُرِّكَ (مُدَّ)، ولا يَحتمِلُ على ما قاله الفرّاءُ من إضمارِ الفاء[٢]؛ لأنَّ ذلك إنَّما يجوزُ في ضرورةِ الشِّعرِ، قال:

فَإنْ كانَ لا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي ... إلَى قَطَرِيٍّ لا إخالُكَ راضِيا[٣]

أي: فلا إخالُك، وفيه غيرُ هذا، وليسَ هذا[٤] موضعُه.

﴿كَيْدُهُمْ﴾: مكرُهم، وأصلُه: المشقّةُ، يُقالُ: فلانٌ يكيدُ بنفسِه[٥] عندَ الموتِ.

﴿شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؛ أي: علمُه محيطٌ، والمحيطُ: المطيفُ بالشَّيءِ مِن حَواليه.

***

---

(١) «ولا يضركم» من (ن). قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد ورفع الراء مع تشديدها، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بكسر الضاد وجزم الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٢) ذكر الفراء أن الفعل يحتمل الرفع والجزم، وذكر في رفعه وجهين؛ أحدهما: الذي ذكره المصنِّف أولاً، وهو: تحريك الحرف بالضم جوازاً لمنع التقاء الساكنين، وثانيهما: الذي ردَّه، وهو: إضمار الفاء على تقدير: فلا يضركم؛ لأن الفاء لا تضمر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧).

(٣) البيت لسوار بن المضرِّب السعدي التميمي كما في: «نوادر أبي زيد» (ص: ٢٣٣)، و«أنساب الأشراف» (٧/ ٢٨١)، و«الكامل» لابن المبرد (٢/ ٧٧)، و«المقاصد النحوية» للعيني (٢/ ٩١٢)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٧٢٤)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٧٠)، و«الخصائص» (٢/ ٤٣٥).

(٤) في (و): «هنا».

(٥) أي: ينزع ويجود بنفسه. انظر: «الصحاح» مادة (ك ي د) (٢/ ٥٣٣).

(١٢١) ـ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾: اذكرْ إذ غَدوتَ.

ابنُ جريرٍ: إن تصبروا لا يضرُّكم كيدُهم كيوم بدرٍ، وإن لم تصبروا ضرَّكم كيومِ أحدٍ[١].

وقيل: هو معطوفٌ على الأوَّلِ[٢]؛ قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا[٣]، وآيةٌ إذ غدوتَ[٤].

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: من حجرةِ عائشةَ رضي الله عنها.

﴿تُبَوِّئُ﴾: توطِّنُ، تقولُ: بوَّأْته وأبأْتُه؛ إذا وطَّنتَه، والـمَباءةُ: المنزلُ[٥].

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: للمؤمنين، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[٦].

﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مَصافَّ من الميمنةِ والميسرةِ والقلبِ والجناحين والسّاقة.

وقيل: معسكرَهم للنُّزول.

وجُلُّ المفسِّرين على أنَّه يومُ أحدٍ، وفي سببِ النُّزولِ: عن المِسْوَرِ بنِ مخرمةَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥).

(٢) في (ن): «على أول السورة».

(٣) «التقتا» من (ن).

(٤) ذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٨٣٥)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٢٦) وقال: «وهذا في غاية البعد، ولولا أنه مسطور في الكتب ما ذكرته».

(٥) المباءة في الأصل: الموضع الذي تبوء إليه الإبل، ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقاً. انظر: «المغرب» للمطرزي، مادة: (ب وأ) (ص: ٥٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٤)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٥٦٢)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (٢/ ٨٣٥).

قال: قلتُ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ: يا خالُ، أخبرني عن قصَّتِكم يومَ أحدٍ قال: اقرأ العشرين ومئةً من آلِ عمرانَ تجد قصَّتنا: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[1].

ورُويَ عن[2] الحسنِ ومجاهدٍ: أنَّه يومُ الأحزاب[3].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لِما يقولُه المنافقون ويُضمرونَه.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: المشاورون.

***

(١٢٢) ـ ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ﴾؛ أي: اذكر إذ همَّت.

وقيل: عليمٌ[4] إذ همَّت؛ أي: خطرت ببالها من غير عزمٍ.

والهمُّ: جريانُ الشَّيءِ في القلب.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٨٣٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٢): «رواه أبو يعلى، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٠)، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٤١): «وليس في هذا سبب نزول، وإنما كتبته تبعًا له» يعني: الواحدي.

(٢) «عن» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٨) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٢٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٩) عن الحسن ومجاهد، وهذا القول مرجوح فيما ذهب إليه المصنف والطبري.

(٤) في (ن): «وقيل اعلم».

والطّائفتان: بنو سلمةَ من الخزرجِ وبنو حارثةَ من الأوس، وكانا جناحَي العسكر.

وقيل: الطّائفتان: قومٌ من المهاجرين والأنصار.

﴿أَن تَفۡشَلَا﴾: تجبُنا وتضعُفا، والفشلُ: الـجُبنُ.

ابنُ عيسى: ليس ذلك من فعلِ الإنسان، والمعنى: همَّتا بحالِ الفشل[1].

وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ إلى أحدٍ في ألفِ رجلٍ.

الزَّجّاجُ: في ثلاثةِ آلافٍ[2].

ووعدَ قومَه النَّصرَ[3] إن صبروا، فلمّا بلغوا الشَّوطَ[4] اختزلَ[5] عبدُ الله بنُ أُبيٍّ في ثلاثمئة، فقال: علامَ نقتلُ أنفسَنا وأولادَنا؟! وتبعَهم أبو جابرٍ السَّلميُّ فقال: أنشدُكم الله في نبيِّكم وفي أنفسِكم، فقال عبدُ الله: لو نعلمُ قتالًا لاتَّبعناكم، وهمَّت بنو سلمةَ وبنو حارثةَ بالانصرافِ معه، فعصمَهم الله، ومضَوا مع[6] رسولِ الله ﷺ[7].

---

(١) في (ن): «القتل».

(٢) تبع المصنف الثعلبيَّ في نسبة هذا إلى الزجاج، والذي ذكره الزجاج في «معانيه» أنهم كانوا سبعمئة، والكفار ثلاثة آلاف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٥).

(٣) في (ن): «بالنصر».

(٤) في هامش (ن): «اسم مكان»، وهو بين مكة والمدينة، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٢٢٢)، وقيل: هو بستان، كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٣٧٢).

(٥) كذا في النسخ الخطية، وله وجه؛ يقال: اختزلته عن القوم؛ إذا قطعته عنهم، وقد روي الخبر بلفظ: انخزل، وهو أوضح، وبلفظ: اعتزل. انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٤٧١)، و«تهذيب اللغة» (١/ ١١٠)، و«الصحاح» مادة (خ ز ل) (٤/ ١٦٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٦).

(٦) في (ن): «ومضوا على».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٣) عن السدي.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: حافظُهما وناصرُهما.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ليكلوا الأمرَ إليه سبحانه، وليمضُوا على أمرِه في السِّلمِ والقتال.

* * *

(١٢٣) - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: ما بين مكّةَ والمدينة، سُمِّيَ بدرًا باسمِ صاحبِه[١].

وقيل: بدرٌ: اسمُ عَلَمٍ للماء.

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ لقلّةِ العَددِ والعُددِ.

وقيل: أذلّةٌ عند أعدائِكم لقلّةِ أُهْبَتِكم.

وكان المؤمنون ثلاثمئةٍ وبضعةَ عشرَ؛ سبعةٌ[٢] وسبعون رجلًا من المهاجرين، وصاحبُ رايتِهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، ومئتان وستّةٌ وثلاثون رجلًا من الأنصار، وصاحبُ رايتِهم سعدُ بنُ عُبادة[٣].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: شكرُ نعمتِه في أن تتَّقوا وتصبروا للحربِ[٤] ولا تفشلوا.

وقيل: ﴿أَذِلَّةٌ﴾ في الآيةِ[٥]: ضعفاءُ عن المقاتلة.

---

(١) روي هذا عن الشعبي، وأنكره الواقدي، وذكر أنه اسم للموضع. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٦-١٧).

(٢) «سبعة و» ليس في (و).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٨٨).

(٤) في (ن): «وتصبروا في الحرب».

(٥) في (و): «في الأدلة».

جُمعَ (ذليلٍ) على (أذلّةٍ)، والقياسُ (ذُلَلاء)[(١)]، لكنَّه للتَّضعيفِ جُمِعَ جَمْعَ الأسماءِ[(٢)].

* * *

(١٢٤) ـ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾؛ أي: نصرَكم الله[(٣)] إذ تقولُ، وهو يومُ بدرٍ.

ابنُ عبّاسٍ: لم تقاتلِ الملائكةُ إلّا يومَ بدر. قال: وكانوا[(٤)] في غيرِه عُدّةً ومَددًا[(٥)].

وقيل: هو يومُ أحدٍ؛ لأنَّ الملائكةَ المنزَّلةَ يومَ بدرٍ كانوا ألفًا لقولِه: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩][(٦)].

---

(١) في (و): «ذُلل».

(٢) (ذليل) صفة على وزن (فعيل)، فكان القياس أن تُجمع على (فُعلاء)، مثل: شريف وشرفاء، لكن كرهوا أن يقولوا: ذُللاء؛ لثقله، فجمعوه على (أفعلة) كما تُجمع الأسماء التي على وزن (فعيل)، مثل: رغيف وأرغفة. انظر: «الأصول» لابن السراج (٣/ ١٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٩).

(٣) اسم الجلالة من (ن).

(٤) في (و): «يوم بدر وكانوا».

(٥) ذكره الواقدي في «مغازيه» (١/ ٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٨) وإلى هذا ذهب قتادة ومجاهد وعكرمة، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٢٥ و٢٧).

(٦) ذهب إلى هذا الضحاك وابن زيد، وذهب عبد الله بن أبي أوفى إلى أن ذلك كان يوم الأحزاب، وتقدم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة أن الملائكة لم تنزل إلا يوم بدر، والخلاصة: أن نزول الألف من الملائكة ثابت في بدر، وأن الوعد لرسول الله ﷺ والمؤمنين بنزول ثلاثة آلاف وخمسة مع الصبر والتقوى ثابت، وأما أن هذا كان أو لم يكن فليس مما قامت عليه الحجة، وظاهر الآيات أن المؤمنين لم يُمدوا بالملائكة في أحد، والله أعلم. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٠ ـ ٢٩).

قتادةُ: كانوا ألفًا، ثمَّ صاروا ثلاثةَ آلاف، ثمَّ صاروا خمسةَ آلاف[١].

وقولُه: ﴿أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ﴾ جوابٌ للصَّحابةِ حين قالوا: هلّا أعلمتَنا بالقتال لنتأهَّبَ، فقالَ لهم عليه السَّلام: «ألن يكفيكم أن يمدكم»[٢].

ويُقالُ: هذا كانَ يومَ أحدٍ حين انصرفَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ، وجَبُنَ بعضُهم وضعفُوا، فقالَ عليه السَّلام: «ألن يكفيكم أن يمدّكم»[٣].

ويُقالُ: أُخبِرَ المسلمون أنَّ كُرْزَ بنَ جابرٍ المحاربيَّ يريدُ أن يأتيَ في قومِه مددًا لقريشٍ فقال: إن جاءكم كرزٌ وأصحابُه من فورِهم هذا كفاكم[٤] الله بخمسةِ آلافٍ من الملائكة، ثم إنَّ كُرْزًا بلغته مقاتلةُ[٥] قريشٍ، فانصرفَ، فلم تُنزَلِ الملائكة[٦].

ابنُ عيسى: الكفايةُ: مقدارُ سدِّ الخلّة، والإمدادُ[٧]: إعطاءُ الشَّيءِ حالًا بعدَ حالٍ[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٢) عن الربيع.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٣) عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي.

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٢٠).

(٤) في (و): «كفاك».

(٥) كذا في (ن)، وفي (و): مقابلة، وفي مصادر التخريج: أن كرزاً بلغته هزيمة قريش.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٦٧-٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦) عن عامر الشعبي، وفي هذه المصادر: أن كرزاً بلغته هزيمة قريش.

(٧) في (ن): «والامتداد».

(٨) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٣)، وذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٢٤) بلا نسبة.

(١٢٥) ـ ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ﴾ في الحربِ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مخالفةَ الرَّسول.

﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ: من وجهِهم[(١)].

مجاهدٌ: من[(٢)] غضبِهم[(٣)]؛ مِن (فارَت القِدرُ تفورُ).

ابنُ جريرٍ: أصلُ الفَوْرِ ابتداءُ الأمرِ يُؤخَذُ فيه، ثم يُوصَلُ بالآخرِ[(٤)].

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: بعمائمَ صُفرٍ قد أرخَوها بين أكتافِهم، ومُسوِّمين خيلَهم بالصُّوفِ في نواصيها وأذنابها.

***

(١٢٦) ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الإمدادَ.

وقيل: الإنزال.

وقيل: النَّصر[(٥)] والوعد به.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠) عن الحسن والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٣) عن السدي.

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣١).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣١).

(٥) في (ن): «النصرة».

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾: لتسكنَ إليه من الخوف.

والاطمئنانُ: سكونُ القلبِ وزوالُ الخوفِ عنه.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: النَّصرُ[1] مِن عنده، لا بالعُدَّةِ والعَدد.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في انتقامِه وتدبيرِه.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾؛ أي: نَصَرَكم ليقطعَ طرفًا؛ أي: جماعةً.

وقيل: رُكنًا[2] من أركانِ الشِّرك.

وقيل: يعني بـ(الطَّرفِ)[3]: ما يليكم، كقولِه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾.

الحسنُ وقتادةُ والرَّبيعُ: ليقطعَ يومَ بدرٍ؛ يقتلَ صناديدَهم ورؤساءَهم[4].

السُّدِّيُّ: يومَ أُحد، وكان المقتولُ من الكفَّارِ ثمانيةَ عشرَ رجلًا[5].

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يكبتَ[6] سائرَ الكفَّارِ بالهزيمةِ والأسر.

---

(١) في (ن): «النصرة».

(٢) في (و): «أركنًا».

(٣) «يعني بالطرف» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٠) عن قتادة والربيع والحسن، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٧١) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٥) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١).

(٦) في (و): «ليكبت».

والكَبْتُ: الصَّرعُ على الوجه.

ابنُ عيسى: حقيقةُ الكَبْتِ: شدَّةٌ وَهْنٍ تقعُ في القلب[١].

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾: خابَ سعيُهم وكذبَ ظنُّهم.

والخائبُ: المنقطعُ عمّا أمَّلَ.

***

(١٢٨) ـ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ اعتراضٌ، والتَّقديرُ: ليقطعَ طرفًا منَ الذين كفروا أو يكبتهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وقيل: (أو) هاهنا هو الذي معناه: إلّا أن[٢]، والتَّقديرُ: ليسَ لك من الأمرِ شيءٌ إلّا أن يتوبَ عليهم أو يعذِّبَـهم، فيكونُ أمرُك تابعًا لأمرِ الله برضاكِ بتدبيرِه فيه.

واختلفُوا في معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؛ فرُويَ في أسبابِ النُّزولِ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كُسِرَت رَباعيةُ رسولِ اللهِ عليه السَّلام يومَ أحدٍ ودُمِي وجهُه، فجعلَ الدَّمُ يسيلُ على وجهِه ويقول: «كيفَ يفلحُ قومٌ خضبُوا وجهَ نبيِّهم بالدَّمِ وهو يدعوهم إلى ربِّهم»، فأنزلَ الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[٣].

وعن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام كانَ يقولُ حين يفرُغُ في صلاةِ

---

(١) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (١/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٢) أحد وجهين ذكرهما الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠) مع وجوه أخرى متقاربة.

(٣) رواه مسلم (١٧٩١)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٠٦٩)، وذكره ابن هشام في «سيرته» (٢/ ٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢١).

الفجرِ من القراءةِ[١]، ويكبِّرُ ويرفعُ رأسَه منَ الرُّكوعِ: «سَمِعَ اللهُ لِـمَن حَمِدَه، ربَّنا لكَ الحمدُ»، ثم يقولُ وهو قائمٌ: «اللَّهمَّ اشدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ، واجعلْها عَليهم سِنينَ كسِنِي يُوسُفَ، اللَّهمَّ العَنْ لِحْيانَ ورِعْلًا وذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ؛ عَصَتِ اللهَ ورسولَه»، ثم أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فترَكَ[٢].

والمعنى: ليس عليك هداهم، وإنما عليكَ الإبلاغُ.

وقيل: هَمَّ ﷺ أن يدعوَ على المشركين بالاستئصال.

وقيل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمرِ الطّائفتين[٣] اللَّتين همَّتا بالفشلِ شيءٌ. وهذا ضعيفٌ[٤].

وقال ابنُ بحرٍ: ليس لك ولا لغيرِك من هذا النَّصرِ شيءٌ، وإنما هوَ منَ الله، كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧][٥].

وقيل: يريدُ بـ﴿ٱلْأَمْرِ﴾: أمرَ القتال.

* * *

(١٢٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: ليسَ لك من الأمرِ شيءٌ، وللهِ ما في السَّماواتِ ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخَلْقًا.

---

(١) «من القراءة»: ليس في (ن).

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥)، واللفظ له.

(٣) «أمر» من (ن).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٨)، واستبعده.

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٨).

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: للمؤمنينِ[١].

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ الكافرين[٢].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(١٣٠) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ ثـمَّ نهاهـم عـن فعـلٍ كانـوا يتعاطونَـه فـي الجاهليّـة، فقـال: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾.

والأكلُ: إيصـالُ الشَّـيءِ إلى البطـنِ لإزالةِ الجـوعِ، وخُصَّ بالذِّكـرِ؛ لأنَّ غيرَه يُتوصَّلُ بـه إليه[٣].

﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ بالتَّأخيرِ أجلًا بعدَ أجلٍ زيادةً بعدَ زيادةٍ، وهو[٤] حالٌ عن ﴿ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾.

ويُحتمَلُ: تضاعفون به أموالَكم، فيكونُ واقعًا موقعَ الحالِ من المخاطَبين.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أكلِه.

---

(١) في (ن): «المؤمنين».

(٢) في (و): «للكافرين».

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٤٦٧)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٩/ ٤٩٤)، و«البحر المحيط» (٣/ ٣٤٢).

(٤) أي: أضعافاً، أما (مضاعفة) فهي نعته. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ١٧٤).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: كونوا على رجاءِ الفلاح.

وقيل: لكي تبقَوا في الجنّةِ.

* * *

(١٣١) ـ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ﴾؛ أي: اتَّقوا النّارَ بأكلِ الرِّبا وتحليلِه.

﴿الَّتِي أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَتْ.

والإعدادُ: تقديمُ عملِ الشَّيءِ لغيرِه ممّا هوَ متأخِّرٌ عنه.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾؛ أي: بصفةِ الخلودِ.

وقيل: للكافرينَ طبقةٌ، وللمذنبينَ منَ المؤمنينَ طبقةٌ.

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمرُكم به وينهاكم عنه؛ فإنَّ طاعةَ الرَّسولِ طاعةُ الله.

والطّاعةُ: موافقةُ الإرادةِ الدّاعيةِ إلى الفعلِ بطريقِ الرَّغبةِ والرَّهبةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

* * *

(١٣٣) ـ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: أسرعوا.

وقيل: بادروا، وليُسارعْ بعضُكم بعضًا إلى مغفرةِ الإسلام[١].

وقيل: إلى التَّوبةِ.

وقيل: إلى الهجرة.

وقيل: إلى الإخلاص.

وقيل: إلى الطّاعة.

وقيل: إلى الصَّلواتِ الخمس.

وقيل: إلى[٢] التَّكبيرةِ الأولى.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: كعرضِ السَّماوات والأرض، وقيل: عرضُها مقدارُ السَّماواتِ والأرض.

وخُصَّ العَرْضُ بالذِّكْر؛ لأنَّ العَرْضَ أبدًا دونَ الطُّول.

ابنُ عبّاسٍ: تُقرَنُ السَّماواتُ السَّبعُ والأرضون السَّبع، كما تُقْرَنُ الثِّيابُ بعضُها ببعضٍ، فذلك عرضُ الجنّة[٣].

الحسنُ: كعرضِ السَّماواتِ والأرضِ في انبساطِهنَّ بعضِها إلى بعض[٤].

والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات، ويُحتمَلُ أن يكونَ محلُّها من السَّماءِ محلَّ السَّماءِ من الأرض؛ أي: فوقَ السَّماوات.

---

(١) لعلَّ المراد: ليأخذ بعضكم بيد بعض، فيُسرع به إلى مغفرة الإسلام، والله أعلم.

(٢) «إلى»: ليس في (ن)؛ في هذا القول والثلاثة التي سبقته.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢).

(٤) «فذلك عرض الجنة، الحسن كعرض السموات والأرض في انبساطهن بعضها إلى بعض» من (ن).

وقيل: لم تُخلَق بعدُ.

والأوَّلُ مذهبُ أهلِ[١] السُّنةِ والجماعة[٢].

وذكرَ عليُّ بنُ عيسى وجهًا آخرَ؛ وهو عرضُ الشَّيءِ للبيع؛ أي: لو كانَ السَّماواتُ والأرضُ مُلْكَ غيرِه سبحانه لكانتا للجنّةِ ثمنًا[٣].

وقيل: هو على سعةِ الكلامِ ومَجازه، وضُربَ المثلُ في السَّعةِ بالسَّماواتِ والأرضِ حيث لا نعلمُ أكبرَ منهما.

وقيل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لكلِّ واحدٍ من أوليائه[٤].

﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئت.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين.

* * *

(١٣٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: في اليُسرِ والعُسر[٥].

---

(١) «أهل»: ليس في (ن).

(٢) ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعدُ، وجمهور المسلمين على أنهما مخلوقتان، وقد سبقت الإشارة إلى هذا. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨).

(٣) في (ن): «ثمناً للجنة». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، وعدَّه من العجائب، ونقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٤٦) نحوه عن ابن بحر.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، واستغربه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٢).

وقيل: في حالي السُّرورِ والاغتمام.

وهما مصدران؛ أي: يُخرجون حقوقَ الله قليلَها وكثيرَها.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: الكافِّين غضبَهم، المُمسكين عن إمضائِه مع قدرتِهم على مَن أغضبَهم، مِن (كَظَمْتُ القِرْبةَ)؛ إذا سددْتَ رأسَها، ومنه (كظمَ البعيرُ بجِرَّتِه)[1]؛ إذا ردَّها إلى جوفِه، ومنه (الكِظامةُ)؛ لمجرى الماءِ من بئرٍ إلى بئرٍ[2].

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: التّاركينَ عقوبةَ مَنِ استحقَّها منَ المماليكِ وغيرِهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين الموصوفين بهذه الخِلالِ[3].

***

(١٣٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ ابنُ عبّاسٍ: نزلَت في نبهانَ التَّمّارِ، أتته امرأةٌ حسناءُ تبتاعُ تمرًا، فضمَّها إلى نفسِه وقبَّلَها، ثم ندمَ على ذلك، فأتى النَّبيَّ عليه السَّلام، وذكرَ ذلك له[4]، فأُنزِلَت هذه الآيةُ[5].

---

(١) يقال: كظم البعير جرَّته وعلى جرَّته وبجرَّته؛ إذا لم يجترَّ. انظر: «غريب الحديث» للحربي (٣/ ١٢١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٩)، وللنحاس (٦/ ٢١٢).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١/ ٢٦٩).

(٣) في (ن): «الخصال».

(٤) «له» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٣). قال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٥): «وهو من رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو كذاب».

الكلبيُّ: نزلَت في رجلَين؛ أنصاريٍّ وثَقَفيٍّ، آخى رسولُ الله ﷺ بينهما، وكانا لا يفترقان، فخرجَ الثَّقفيُّ مع رسولِ اللهِ عليه السَّلام في بعضِ مغازيه، وخلَّفَ الأنصاريَّ في أهلِه وحاجتِه، فكان يتعاهدُ[1] أهلَ الثَّقفيِّ، فأقبلَ ذاتَ يومٍ، فأبصرَ امرأةَ صاحبِه قد اغتسلت، وهي ناشرةٌ شعرَها، فوقعَت في نفسِه، فدخلَ ولم يستأذن حتى انتهى إليها، فذهَب يلثمُها، فوضعَت كفَّها على وجهِها، فقبَّلَ ظاهرَ كفِّها، ثم ندمَ واستحيا، فأدبرَ راجعًا، فقالت: سبحان الله! خنْتَ أمانتَكَ، وعصيْتَ ربَّك، ولم تصبْ حاجتَكَ، قال: فندمَ على صنيعِه، فخرجَ يسيحُ في الجبال، ويتوبُ إلى الله من ذنبِه، حتى وافى الثَّقفيُّ، فأخبرَته أهلُه بفعلِه، فخرجَ يطلبُه، حتى دُلَّ عليه، فوافاه ساجدًا وهو يقول[2]: ذنبي ذنبي، قد خُنتُ أخي، فقال له: قم[3] يا فلانُ، قم وانطلق إلى رسول الله ﷺ، فاسأله عن ذنبِك، فلعلَّ اللهَ يجعلُ لك مخرجًا وتوبةً، فأقبلَ معه حتى رجعَ إلى المدينة، وكان ذاتَ يومٍ عند صلاةِ العصرِ نزلَ جبريلُ بتوبتِه، فتلا على رسولِ الله عليهما السَّلام: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآيتين، فقال[4] عمرُ: يا رسولَ الله، أخاصٌّ هذا لهذا أم للنّاسِ عامّة؟ فقال: «للنّاسِ عامّةً في التَّوبةِ»[5].

عطاءٌ: إنَّ المسلمين قالوا للنَّبيِّ عليه السَّلام: أبنو إسرائيلَ أكرمُ على اللهِ منّا؟

---

(١) في (ن): «يتعهد».

(٢) في (ن) زيادة: «رب».

(٣) «قم»: ليس في (ن).

(٤) في (ن): «قال».

(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤) عن الكلبي في روايته عن ابن عباس، وذكره ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٦ ـ ٧٥٨) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٦٤) هذا الخبر عن نبهان التمار.

كانوا إذا أذنَبَ[١] أحدُهم أصبحَت كفّارةُ ذنبِه مكتوبةً في عتبةِ بابِه: اجدَعْ أنفَك، اجدع أُذنَك، افعل كذا، فسكتَ النَّبيُّ عليه السَّلام، ونزلَت: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلام: «ألا أخبرُكم بخيرٍ من ذلك»، وقرأ هذه الآيةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾[٢].

قيل: المرادُ بها[٣] هاهنا: الزِّنا، وقيل: الكبائرُ.

وأصلُ الفُحشِ: القُبحُ، تقول: طويلٌ فاحشُ الطُّولِ؛ إذا جاوزَ المعتاد.

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قيل: هو الصَّغائرُ.

وقيل: ظلمُ النَّفسِ عامٌّ في الصَّغائرِ والكبائر.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ ابنُ عيسى: ذكروا وعيدَ الله؛ فيكونُ من (الذِّكْرِ)؛ بعدَ النِّسيانِ[٤].

وقال أيضًا: ذكروا الله، فقالوا: اللَّهمَّ اغفرْ لنا ذنوبَنا بإنابتِنا نادمينَ عليها مُقلِعين عنها[٥].

---

(١) في (ن) زيادة: «ذنبا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٤)، وعزاه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٤) إلى إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد في «تفسيريهما»، وقال: «وهذا سند قوي إلى عطاء».

(٣) «بها»: ليس في (ن)، والضمير يعود على ﴿فَٰحِشَةً﴾.

(٤) هذا قول الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢)، وقد عزاه الواحدي في «البسيط» (٥/ ٦٠٣) للضحاك ومقاتل والواقدي.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٦٠٣) وذكر أنه معنى قول مقاتل بن حيان، وذكر ابن الجوزي نحوه في «زاد المسير» (١/ ٣٢٧) عن أبي سليمان الدمشقي، والذِّكر هنا بمعنى: الثناء على الله سبحانه والاستغفار.

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي[1]: لا يغفرُها إلّا هو.

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾: لم يُقيموا على الذَّنب.

والإصرارُ: الإقامةُ على الذَّنبِ من غيرِ إقلاعٍ عنه بالتَّوبة منه، وأصلُه الشَّدُّ، من (الصُّرّة).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله يعاقبُهم على الذَّنبِ إن لم يستغفروا.

وقيل: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما أتوه ذنبٌ[2].

ابنُ بحرٍ: لم يُقيموا على ذنبٍ على علمٍ به[3].

* * *

(١٣٦) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ بما تقدَّمَ.

﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ﴾؛ أي: يُجزَونَ بالمغفرةِ والجنّات.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾؛ أي: الجنّةُ والمغفرةُ.

---

(١) في (ن) زيادة: «أي».

(٢) في (ن): «ذنبا».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٥٠)، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) عن مجاهد نحوه، وروى الإمام أحمد في «المسند» (٦٥٤١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين؛ الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون».

(١٣٧) ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾: قد[1] مضت ﴿سُنَنٌ﴾: جمعُ (سُنّةٍ)، وهي الطَّريقةُ.

الزَّجّاجُ: أهل سُننٍ[2].

أبو عبيدةَ: ﴿سُنَنٌ﴾: أعلام[3].

وقيل: ﴿سُنَنٌ﴾[4]: أحكام.

والسُّنّةُ: عملٌ يُتْبَعُ عليه من خيرٍ وشرٍّ.

المفضَّلُ: ﴿سُنَنٌ﴾: أُممٌ، قال: والسُّنّةُ[5]: الأُمّةُ[6]، وأنشدَ:

ما عايَنَ النّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُ ... ولا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سالِفِ السُّنَنِ[7]

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فتعتبروا بها.

والعاقبةُ: ما يُؤدّي إليه السَّببُ المتقدِّم.

---

(١) «قد» من (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٠).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٣).

(٤) «سنن» ليس في (ن).

(٥) في (ن): «قال والسنن».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٦)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٣٩٩).

(٧) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٢١٦)، و«نهاية الأرب» للنويري (١٧/ ١١٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٩٩)، و«الكليات» للكفوي (ص: ٤٩٨).

(١٣٨) ـ ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الحسنُ وقتادةُ: إشارةٌ إلى القرآن[1].

وقيل: إشارةٌ إلى قولِه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

و﴿هدى﴾: إرشادٌ وبصيرةٌ وموعظةٌ.

ابنُ عيسى: الموعظةُ: حالٌ تدعو بالرَّغبةِ والرَّهبةِ إلى الحسنةِ بدلًا من السَّيِّئة.

* * *

(١٣٩) ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ: انهزمَ أصحابُ رسول الله عليه السَّلام يومَ أُحد، فبينا هم كذلك إذ أقبلَ خالدُ بنُ الوليدِ بخيلِ المشركين يريدُ أن يعلوَ عليهم الجبل، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «اللَّهمَّ[2] لا يعلُنَّ علينا، اللَّهمَّ لا قوّةَ إلَّا بك، اللَّهمَّ ليسَ يعبدُكَ بهذه البلدةِ غيرُ هؤلاء النَّفر» فأنزلَ الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾[3]؛ أي: ولا تضعُفُوا عن جهادِ عدوِّكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على مَن استُشهدَ منكم؛ فإنَّهم نالوا مُناهم في الجنّة.

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالحجّةِ، والغلبةِ آخرَ[4] الأمر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٩).

(٢) «اللهم» من (ن).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٩) مختصرًا. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٨) عن ابن جريج.

(٤) في (و): «في آخر».

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُصدِّقين برسولي فيما يخبرُكم.

وقيل: إن كنتم مؤمنين، فلا تهنوا ولا تحزنوا[١].

* * *

(١٤٠) - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ قال راشدُ بنُ سعدٍ[٢]: لَمّا انصرفَ رسولُ الله ﷺ يومَ أُحدٍ كئيبًا حزينًا جعلت المرأةُ تُجاءُ بزوجها وابنها وأبيها مقتولين وهي تلتدِمُ[٣]، فقالَ رسولُ الله: «أهكذا تفعلُ برسولك؟» فأنزلَ الله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾[٤]: جراحةٌ.

و(القَرحُ) و(القُرحُ) لغتان[٥].

وقيل: (القَرْحُ): الجراحةُ، و(القُرْحُ): أَلَمُها[٦].

---

(١) في (و): «ولا تضعفوا».

(٢) راشد بن سعد، من أهل حمص، كثير الإرسال، وثَّقه ابن معين وأبو حاتم وابن سعد، وقال أحمد والدارقطني: لا بأس به، وشذَّ ابن حزم فضعَّفه، توفي (١٠٨ هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣١٧)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٥).

(٣) اللَّدْمُ: ضربُ المرأة صدرها وعضديها في النِّياحة. انظر: «العين» (٨/ ٤٦).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٥)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٦٠)، وفيهما: «أهكذا يُفعَل برسولك؟» والحديث مرسل، ويُحمَل الاستفهام فيه على الشكوى إلى الله تعالى، لا على الإنكار والاعتراض على حُكمه سبحانه وتعالى.

(٥) قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف، والباقون بفتح القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٦)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٦) نقل أبو حيان كلام المصنف، واعترض على هذا التفريق بأنه يحتاج إلى صحة نقل عن العرب، =

وأصلُ الكلمةِ الخُلوصُ، ومنها: ماءٌ قَراحٌ؛ لا كُدورةَ فيه، وأرضٌ قَراحٌ؛ خالصـ[ـة](١) الطِّينِ، وقريحةُ الرَّجلِ: خالصُ طَبعِه(٢).

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: أي(٣): أصابَ المؤمنين يومَ أُحدٍ ما أصابَ المشركين يومَ بدرٍ(٤).

وذلك أنَّه استُشهدَ من المؤمنين سبعون رجلًا، ودخلَ النَّبيُّ عليه السَّلام الغارَ مع عدّةٍ من أصحابه، وصعدَ أبو سفيانَ جبلًا مُطلًّا عليهم(٥)، وقال: أَلا تخرجُ يا محمَّد، الحربُ بيننا سجالٌ، يومٌ لنا ويومٌ لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه: لا سَواءٌ؛ قَتلانا في الجنّةِ وقَتلاكم في النّارِ» فقال أبو سفيان(٦): اُعْلُ هُبَلُ، فقال عليه السَّلام: «اللهُ أعلى وأجَلُّ» فقال أبو سفيانَ: موعدُنا وموعدُكم بدرٌ الصُّغرى(٧).

= وقد نُقل هذا التفريق عن الفراء وابن السكيت، والحجة في ذلك قولهم: به قُرحٌ من قَرحٍ، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٤)، و«المحكم والمحيط الأعظم» (٢/ ٥٧٧) مادة: (ق ر ح)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤)، و«تاج العروس» للزبيدي (٧/ ٤٤).

(١) «خالص» من (ن).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٣٦)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٥)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤).

(٣) «أي» من (ن).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٢) عن الحسن، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨١ و٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد أخذ أبو حيان كلام المصنف بحروفه في «البحر المحيط» (٣/ ٣٥٣).

(٥) «عليهم» من (ن).

(٦) «أبو سفيان» من (ن).

(٧) كذا الرواية، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٨٤) و(٧/ ٤٥٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٧٢) =

وقيل: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ في أحدٍ أيضًا.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: نُظفِرُ قومًا بقومٍ، ثم نظفرُ الآخِرين على الأوَّلين(١).

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الواوُ للعطفِ على المعنى، والتَّقديرُ: نُداولها لضروبٍ من التَّدبيرِ، وليعلمَ اللهُ المؤمنين مشاهدةً كما عَلِمهم غيبًا، وقد سبقَ.

وقيل(٢): وليعلمَ الله الذين آمنوا نداولها، والمفعولُ الثّاني محذوفٌ، وتقديرُه: وليعلمَ الذين آمنوا متميِّزين بالإيمانِ من غيرهم(٣)؛ لأنَّ العلمَ يتعلَّقُ بالصِّفاتِ دونَ الذَّوات.

وقيل: معناه: ليعرفَهم بما يظهرُ من صبرِهم(٤).

= عن ابن عباس، ولها شاهد في البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وبدر: ماء معروف، وظاهر هذه الرواية أن بدراً الصغرى سوق من أسواق العرب المعروفة، وهي بدر الصفراء أيضاً، وربَّما سُمِّيت غزوة النبي التي تواعد عليها مع أبي سفيان: بدراً الصغرى، وبدر الموعد، وبدراً الثانية والثالثة، وبدراً الآخرة، وبدراً الصفراء. انظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٢٩٧ و٣٨٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٩)، و«صفة جزيرة العرب» لابن الحائك (ص: ١٧٩)، و«نهاية الإيجاز» للطهطاوي (ص: ٢٧٢).

(١) «وتلك الأيام نداولها بين الناس أي نظفر قومًا بقوم ثم نظفر الآخرين على الأولين» من (ن).

(٢) «وقيل» من (ن).

(٣) ذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠).

(٤) المعرفة تأتي عادة عن استدلال أو بعد نسيان أو جهل، وقد تُطلق ويُراد بها العلم بالدقائق والتفاصيل، ويُشكل على الوجه الأول وصف الله سبحانه وتعالى بها. انظر: «الرسالة» للشافعي (ص: ٥٠٩)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٠٠ ـ ٥٠٢).

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ الحسنُ وقتادةُ: يكرمَ بالشَّهادةِ مَن قُتلَ يومَ أُحدٍ[١].

وقيل: ويتَّخذَ منكم شهداءَ على النّاس.

وقيل: ويستجيبَ دعاءَ مَن يقولُ ويدعو: ربَّنا أرنا يومًا كيومِ بدرٍ، وارزقنا الشَّهادة[٢].

وسُمِّي الشَّهيد شهيدًا لأنَّه يشهدُ[٣] الجنّةَ والثَّوابَ قبلَ غيرِه.

وقيل: الشَّهداءُ عدولُ الآخرة.

ويُحتمَلُ [أنَّه] إنَّما سُمِّيَ شهيدًا لأنَّ الله ورسولَه شهدا له بدخولِ الجنّة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين يُضمِرون خلافَ ما يُظهرون.

* * *

(١٤١) ـ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: ليبتليَ[٤].

الفرّاءُ: ليمحِّصَ اللهُ ذنوبَ الذين آمنوا[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٤) عن قتادة.

(٢) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٦/ ٨٧) عن ابن جريج، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «شهد».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٨) عن مجاهد، وقد ذهب إلى أن التمحيص الابتلاء الحسن والسدي ومقاتل وابن قتيبة. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٢٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٥).

الزَّجّاجُ: تمحيصُهم: تخليصُهم من الذُّنوب(١).

ابنُ عيسى: ليُنجِّيَهم من الذُّنوبِ بالابتلاء، ويُهلكَ الكافرين بالذُّنوب عندَ الابتلاء.

وأصلُ المحصِ: الخلوصُ، تقولُ: مَحَصَ الجملُ؛ ذهبَ وبرُه، ومَحَصَ الظَّبيُ؛ خلصَ عَدْوُه من الفُتور.

﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: يُنقِصَهم(٢).

غيرُه: يُهلِكَهم.

والمَحْقُ: نُقصانُ الشَّيءِ قليلًا قليلًا.

***

(١٤٢) ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا تَحسبوا(٣).

﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ علمَ مُشاهدةٍ.

وقيل: ولمّا يَعلَمْ أولياؤُنا.

---

(١) هذا معنى قوله؛ فقد ذهب إلى أن التمحيص التخليص، ونقل هذا عن المبرد والخليل، وقد ذكر المبرد المعنيين، وكلامه يدلُّ على أنهما متقاربان عنده. انظر: «العين» مادة: (م ح ص) (٣/ ١٢٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٥).

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٣٠).

وقيل: لمّا يُجاهدوا بعدُ.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الشَّدائدِ ولقاءِ العدوِّ، ونُصِبَ على الصَّرفِ؛ لأنَّ النَّفيَ واقعٌ على اجتماعِ الثّاني والأوَّل[1]، ومثلُه قولُه:

لا تَنْـهَ عــن خُلُــقٍ وتأتــيَ مِثـلَـهُ عــارٌ عَليــكَ إذا فعلْــتَ عظيــمُ[2]

***

(١٤٣) ـ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

---

(١) النَّصب على الصَّرفِ مصطلحٌ استخدمه الفراء، ونسب للكوفيين، ويُراد به: أن يأتي فعل بعد استفهام أو نهي أو جحد، ويأتي بعده حرف عطف، ثم يأتي فعل آخر لا يحسنُ عطفه على الأول، فينتصب ذلك الفعل على الصَّرف، ويرى الكوفيون أن عامل النصب هو الاختلاف، وهو يشبه المفعول معه من هذه الناحية، أما البصريون فينصبون الفعل بأن المضمرة بعد هذه الواو التي تسمى اليوم واو المعية. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤ و٢٣٥ و٢٩٢)، و«إيضاح الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ١٣٩)، و«الأصول» لابن السراج (٢/ ١٥٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، و«جامع الدروس العربية» للغلاييني (٢/ ١٧٧).

(٢) بيت سائر مشهور، وقد اختلف في قائله؛ فنسب لأبي الأسود الدؤلي، كما في «ديوانه» تحقيق: محمد حسن آل ياسين (ص: ٤٠٤)، و«مداواة النفوس» لابن حزم (ص: ٩٥).
ولأبي الأسود أو للعزرمي كما في «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١/ ٦٧٤).
وللمتوكل الليثي، كما في « الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٧٤)، و«طبقات فحول الشعراء» (٢/ ٦٨٤)، و«الأغاني» (١٢/ ١٨٨)، و«العقد الفريد» (٢/ ٢١٥).
وللأخطل، كما في «الكتاب» (٣/ ٤٢)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٢/ ١٧٨).
ولحسان بن ثابت، كما في «شرح أبيات سيبويه» لابن السيرافي (٣/ ٢٣٥).
ولسابق البربري، كما في «حلية المحاضرة» (ص: ٤١).

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: الحربَ؛ فإنَّها من أسبابِ الموت.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وذلك أنَّ قومًا من الذين غابوا عن بدرٍ كانوا يتمنَّون مثلَه، ويقولونَ: لو لقينا الكفّارَ فعلنا وصنعنا، فلمّا كانَ يومَ أحدٍ جَبُنُوا.

وقيل: تمنَّوا الموتَ حرصًا على الشَّهادة.

ومعنى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾؛ أي: تتأمَّلونَ الحالَ في ذلك كيف هي؟ لأنَّ النَّظرَ تقليبُ البصرِ(١) نحوَ المُبصَر؛ أي: هي رؤيةُ تأمُّلٍ وتثبُّتٍ، لا رؤيةُ لَمْحٍ وتخيُّلٍ.

الأخفش: تأكيدٌ(٢).

وقيل: تنظرونَ إلى محمَّدٍ، حكاه الزَّجّاج(٣).

***

(١٤٤) ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ذُكر في المغازي: أنَّ رسول الله عليه السَّلام خرج يوم أحدٍ حتى نزل بالشِّعب من أُحدٍ في سبعمئة رجلٍ، وأمَّر عبدَ الله بنَ جُبيرٍ على الرّماة، وهم خمسون رجلًا فقال لهم: «أقِيمُوا بأصلِ الجبلِ، وانضَحُوا عنّا بالنَّبلِ؛ لا يأتونا من خَلفِنا، وإن كانَت لنا أو علينا فلا تبرحُوا مَكانَكم؛ فإنَّا لن نزالَ غالبينَ ما ثَبتُّم

---

(١) في (و): «بالبصر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٣٤).

(٣) ذكره الزجاج نقلًا عن بعضهم، ورجَّح أن التعبير أريد به التأكيد، كما قال الأخفش، وقد استغربه المصنف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧١).

مَكانَكم»[(١)]، فجاءَت قريشٌ وعلى ميمنتِهم خالدُ بنُ الوليد، وعلى ميسرتِهم عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، ومعهم النِّساء يضربنَ بالدُّفِّ ويقلنَ الأشعار، وكانَت هندٌ تقولُ:

نحـــنُ بَنـــاتُ طـــارقْ نَمشِي علـــى النَّمـــارِقْ
إن تُقبِلُـــوا نُعـــانِقْ أو تُـدبِـــرُوا نُفـــارِقْ
فِـــراقَ غيـــرِ وامِـــقٍ[(٢)]

وحملَ رسولُ الله عليه السَّلام والمسلمون على المشركين، فهزمُوهم وقتلوا عدّةً منهم.

قال الزُّبير بن العوّام: فرأيتُ هندًا وصواحبَها هارباتٍ، مُصعِداتٍ في الجبل، بادياتٍ خِدامُهنَّ[(٣)]، ما دونَ أخْذِهنَّ شيءٌ.

فلمَّا نظرَتِ الرُّماةُ إلى القومِ قد انكشفوا، ورأوا النَّبيَّ عليه السَّلام والمؤمنين ينهبون الغنيمةَ أقبلوا يريدون النَّهب، واختلفوا؛ فقال بعضُهم: لا نتركُ أمرَ رسولِ الله، وقال بعضُهم: ما بقيَ من الأمرِ شيءٌ، ثم انطلقَ عامَّتُهم، ولحقوا بالعسكر، فلمّا رأى خالدُ بنُ الوليدِ قلّةَ الرُّماةِ واشتغالَ المسلمين بالغنيمة، ورأوا ظهورَهم خاليةً، صاحَ

---

(١) روى بعضه الطبري في «تفسيره» عن السدي (٦/ ٩٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥١٦)، وهو مرسل.

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٥)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٩٠)، و«مسند البزار» (٩٧٩).

(٣) الخِدامُ: جمع خَدَمة، وهو الخلخال، يقال: امرأة في رجلها خلخال وحجل وخدمة؛ كل ذلك سواء. انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٨٧)، و«اتفاق المباني وافتراق المعاني» للدقيقي (ص: ٢٤٨).

في خيلِه من المشركين، ثم حملَ على أصحابِ رسول الله عليه السَّلام مِن خلفِهم، فهزموهم وقتلوهم.

ورمى عبدُ الله بنُ قَمِئةَ الحارثيُّ رسولَ الله ﷺ بحجرٍ فكسرَ أنفَه ورَباعيتَه وشجَّه في وجهِه، فذَبَّ مُصعبُ بنُ عُميرٍ عن رسول الله ﷺ، وكان صاحبَ رايةِ رسول الله ﷺ، واسمُها: العُقاب، فقتلَ ابنُ قمئةَ مُصعبًا، فرجعَ وهو يرى أنَّه قتلَ رسولَ الله عليه السَّلام فقال: قتلتُ محمّدًا، وصاحَ صارخٌ: ألا إنَّ محمَّدًا قد قُتِل.

ويُقالُ: كان ذلك الصّارخُ إبليسَ لعنَه الله.

فانكفأ النّاس، ورجعَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام يدعو النّاسَ: «إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله»[١]، فاجتمعَ إليه ثلاثونَ رجلًا، فحمَوه حتى كشفوا عنه المشركين[٢].

وقال بعضُ النّاسِ قبلَ رؤيتِهم رسولَ الله ﷺ: قد أُصيبَ محمَّدٌ فأعطوهم بأيديكم؛ فإنَّهم إخوانُكم، فقال بعضُهم: إن كان محمّدٌ قد أُصيبَ ألا تمضون على ما مضى عليه نبيُّكم حتى تلحقوا به، فأنزلَ الله في ذلك الآيات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[٣].

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ كلُّهم ماتوا أو قُتلوا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» عن السدي وقتادة وابن عباس رضي الله عنهما (٦/ ٩٩ و١٤٦ و١٤٨)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠) عن قتادة.

(٢) عبارة المصنِّف مستفادة من الثعلبي باختصار وتصرف يسير. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٩٣ ـ ٢٩٧).

(٣) انظر: «تفسير ابن المنذر» (١/ ٤٠٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٥).

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ هو[١] ﴿أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾؛ فرجعتُم[٢] إلى الكفرِ مُرتدِّين.

وضربَ المثلَ بالرُّجوعِ القَهقرى إلى الوراءِ؛ فإنَّه أقبحُ رجوعٍ[٣].

والاستفهامُ إنكارٌ؛ أي: لا تنقلبوا.

ودخلَ الاستفهامُ[٤] الشَّرطَ، ومحلُّه الجزاءُ؛ لكونهما جملةً[٥].

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ مرتدًّا، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ﴾ بارتدادِه ﴿شَيْـًٔا﴾، بل ضرَّ نفسَه.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: الثّابتينَ على دينِه؛ وعدٌ بعدَ وعيدٍ.

***

(١٤٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه.

---

(١) «هو» من (ن).

(٢) في (ن): «رجعتم».

(٣) أراد: أن قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ يراد به رجوع القهقرى، وهو أقبح رجوع، وقد جُعل مثلاً للمرتدِّ عن دينه، والله أعلم. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٣)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٤٠).

(٤) «الاستفهام» من (ن).

(٥) أي: لكون الشرط والجزاء بمنزلة الجملة الواحدة جاز دخول الاستفهام على الشرط مع أن المستفهَم عنه هو الجزاء، وهذا مذهب سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٨٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧١).

وقيل: إلا أن يأمرَ[١] ملكَ الموتِ في قبضِ روحِه؛ أي: ولم يأذنْ له[٢] في قبضِ روحِ محمَّدٍ عليه السَّلام بعدُ، بل يحفظُه لتبليغِ تمامِ الرِّسالة.

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: مؤخَّرًا إلى حِينِه.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: نصيبًا من الغنيمةِ بجهادِه الكفَّارَ، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

وقيل: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: عَمِلَ للدُّنيا، لم نحرمْه ما قسمناه له منها[٣].

وقيل: مَن طلبَ الدُّنيا بعملِ الآخرةِ، نؤته منها، وما له في الآخرةِ من نصيبٍ.

الحسنُ: قال: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، ولم يقل: نؤته إيّاها، ولا كثيرًا منها[٤].

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالعملِ لها، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: لهم ثوابُ الدُّنيا وثوابُ الآخرة.

وقيل: معناه: نُعطي كلًّا منهم ما يختارُ.

وقيل: هذا خاصٌّ في أصحابِ أُحُدٍ.

وقيل: عامٌّ.

* * *

(١) في (ن): «إلا بأن يأذن».

(٢) في (ن): «أي لم يأذنه».

(٣) في (ن): «له فيها».

(٤) ذكر نحوه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٦٦)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٣١) بلا نسبة.

(١٤٦) - ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وكأيِّن من نبيٍّ قُتِلَ﴾: أصلُ (كَأَيِّنْ): (أيٌّ) دخلَ عليه كافُ التَّشبيهِ غيرَ متَّصلٍ بفعلٍ، كدخولِه في (ذا) و(أنَّ) من (كذا) و(كأنَّ)، والنُّونُ هو التَّنوينُ، أُثبِتَ في الخطِّ على غيرِ قياسٍ.

واختلفَ القُرّاءُ في الوقفِ عليه[1].

و(كأيِّن) فيه لغاتٌ[2]، قال جريرٌ:

وَكائِـنْ بِالأباطِـحِ مِنْ صَـدِيــقٍ ... يَراني لو أُصِبْتُ هـو المُصابا[3]

ومعناه: كأيٍّ عددٍ شئتَ.

و﴿مِّن﴾ للتَّبيينِ.

وتلخيصُه: كثيرٌ من الأنبياءِ بهذهِ الصِّفة.

---

(١) قال ابن الجزري في «النشر» (١/ ١٤٣): «حذفَ النونَ منها ووقفَ على الياء أبو عمرو ويعقوب، ووقف الباقون بالنون، وهو تنوين ثبت رسمًا من أجل احتمال قراءة ابن كثير وأبي جعفر»، وانظر التعليق الآتي.

(٢) في (و): «وكائن فيه لغة». من ذلك: كَأَيِّنْ، وكَائِنْ، وهما لغتان، قرأ بالثانية منهما ابن كثير وأبو جعفر، وقرأ باقي السبعة بالأولى، وقرأ الحسن: كَايِنْ، وقرأ ابن محيصن: كَئِنْ. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٦)، و«التيسير» (ص: ٩٠)، و«النشر» (٢/ ٢٤٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧٢)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٧٩٢)، وانظر: «أمالي ابن الشجري» (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: «ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب» تحقيق: نعمان محمد أمين طه (١/ ٢٤٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٥)، و«شرح الأبيات المشكلة الإعراب» لأبي علي الفارسي (ص: ٢١٣).

وقولُه[١]: ﴿قُتِلَ﴾ يجوزُ أن يكونَ مُسنَدًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، والمعنى: كثيرٌ من الأنبياءِ قُتلوا فما ارتدَّت أممُهم. وقولُ مَن قال: (ما سمعنا بنبيٍّ قُتِلَ في المعركة) لا يدفعُ هذا التَّأويلَ[٢]؛ إذ ليس في القرآنِ ذكرُ المعركة.

ويجوزُ أن يكونَ مُسنَدًا إلى قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، والمعنى: قُتِلَ معه ربِّيون كثيرٌ، فما تداخَلَ الباقينَ وَهْنٌ.

ومَن قرأ: ﴿قَـٰتَلَ﴾[٣] جازَ فيه الوجهانِ أيضًا.

﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: هم العلماءُ الأتقياءُ الصُّبُرُ على ما يُصيبُهم[٤].

الأخفشُ: هم الذين يعبدونَ الرَّبَّ[٥]؛ فنُسبوا إليه، وكُسِرَ كـ(إمْسِيٍّ)[٦] و(ظِهْرِيٍّ)[٧].

---

(١) في (ن): «قوله».

(٢) في هامش (ن): «قال الشيخ أبو الفضل: لا يجوز الوقف على قوله: ﴿وكأين من نبي قُتِلَ﴾؛ لأنه لم يُقتل نبيٌّ في معركة». وانظر: «إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٥٨٥)، و«المكتفى في الوقف والابتدا» للداني (ص: ٤٥ ـ ٤٦).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿قُتِلَ﴾، وقرأ باقي السبعة: ﴿قَـٰتَلَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٤) هذا لفظ الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٧٦)، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٧٢) أنه قول ابن عباس برواية الحسن، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٣ ـ ١١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: «علماء كثير»، وعن الحسن: «فقهاء علماء»، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢٠) عن الحسن: «علماء صبر».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٣٥)، وانظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ١٢٩).

(٦) «كإمسي» من (ن).

(٧) (إمسيٌّ) منسوب إلى (أمس)، و(ظِهريٌّ) منسوب إلى (ظَهر)، وكسر الهمزة والظاء أفصح من =

وقيل: منسوبٌ إلى التَّألُّهِ والعبادةِ.

أبو عبيدةَ: الرِّبِّيُّ: الجماعةُ(١).

الزَّجّاج: الرِّبّةُ: الجماعةُ(٢)، ونُسِبَ إليها ثم جُمِعَ(٣).

وقيل: يُقالُ لعشرةِ آلافٍ: رِبّةٌ(٤).

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما فَتَروا.

ابنُ عيسى: ما انكسرَ جِدُّهم بالخوف.

﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾؛ أي: عن عدوِّهم.

وقيل: وما ضعُفَتْ نيَّتُهم، ولا انحلَّتْ عزيمتُهم.

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ الزَّجّاج: وما خضعوا لعدوِّهم(٥).

= فتحها، وهو من التغيُّرات التي كثيراً ما تطرأ في باب النسب. انظر: «الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (٩/ ٣٨٠)، و«تاج العروس» مادة: (أ م س) (١٥/ ٤٠٨)، ومادة: (ظ ه ر) (١٢/ ٤٨٥).

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٤).

(٢) «الزجاج الربة الجماعة» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦).

(٤) وقد ضبطت بضم الراء وكسرها وفتحها؛ على خلاف في ذلك، وفي المطبوع من «معاني القرآن»: رُبوة، وهي مروية عن ابن عباس، وذكرها الأزهري وابن جني وابن سيده، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦)، و«تهذيب اللغة» للأزهري مادة (ر ب و) (١٥/ ١٩٧)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٧٤)، و«المحكم» لابن سيده مادة (ر ب و) (١٠/ ٣٢٨)، و«تاج العروس» مادة: (ر ب ب) (٢/ ٤٦٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦).

ابن عيسى: الاستكانةُ: إظهارُ الضَّعف[١].

قال: وقيل: الخضوعُ؛ لأنَّه يسكُنُ لصاحبِه ليفعلَ به ما يريدُه[٢].

لم يتعرَّض أحدٌ من المفسِّرينَ لهذه اللَّفظة[٣]، وظاهرُ لفظِ عليٍّ بنِ عيسى يدلُّ على أنَّه جعلَه من (السُّكونِ)[٤]، فيكونُ وزنُه (افْتَعَالَ) مِن (سَكَنَ)، وتكونُ الألفُ فيه[٥]، كما في قول الشّاعر:

وأنتَ مِنَ الغوائلِ حينَ تُرمَى ... ومن ذَمِّ الرِّجالِ بمُنتزاحِ[٦]

وفيه بعدٌ لشُذوذِه[٧].

وقال الأزهريُّ: هو من قول العرب: بات فلان بِكِيْنةِ سَوءٍ وبجِيْنةِ سَوءٍ؛ أي: بحالِ سوءٍ. وأكانَهُ يُكِيْنُه؛ إذا أخضعَه، والكَيْنُ ـ كينُ المرأةِ ـ من هذا[٨].

وإليه ذهبَ أبو عليٍّ أيضًا[٩].

---

(١) ذكره العسكري بلا نسبة في «الفروق اللغوية» (ص: ١١٥).

(٢) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٥٧).

(٣) لا يسلم هذا الكلام للمصنِّف. انظر: «تفسير ابن فورك» (١/ ٨٩)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٥٠٥)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٤١)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٤٨٥).

(٤) وكذا قال الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٩): «استكانوا: خضعوا، أصله من السكون».

(٥) هي إشباع للفتحة، وليست ألفاً حقيقية؛ لأن الفعل إنما يأتي عادة على وزن (افْتَعَلَ).

(٦) البيت لإبراهيم ابن هرمة يرثي ابنه. انظر: «ديوانه» تحقيق: محمد جبار المعيبد (ص: ٨٧)، و«الحلبيات» لأبي علي (ص: ١١٢)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٣٥١)، و«الصحاح» مادة (ن ز ح) (١/ ٤١٠).

(٧) ولكن المصنِّف قدَّمه في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٢).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ك ون) (١٠/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٩) في المطبوع من «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٤٧): «فأما قوله عز وجل: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾

وقيل: استَفْعَلَ من (كان يكون)؛ أي: لم يكونوا بصفةِ الوَهنِ والضَّعفِ، وكذلك قولُه[١]: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: لم يكونوا له بمؤمنين[٢].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

***

(١٤٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ أي: التي بسببِها مُنِعنا النُّصرةَ، وهذا معنى قولِ ابنِ عبّاسٍ[٣].

فليس افتعلوا من (السكون)، ولكن استفعلوا من (الكون)؛ أي: لم يكونوا لأمر ربهم، ومعناه: لم ينتهوا إليه ولم يتقبَّلوه، وكان واستكان، مثل: عجب واستعجب»، وهذا الكلام يخالف كلام المصنِّف؛ فهو يجعل (استكان) من (الكون)، ولكنَّنا نميل إلى أن كلام المصنِّف صحيح، وأن في المطبوع خللاً، وصوابُه: «استفعلوا من (الكين)؛ أي: لم يَكينوا لأمر ربهم»، وقد نقل ابن جني تلميذ أبي علي كلامه على وجهه، فنقل عنه في «الخصائص» (٣/ ٣٢٧): أنَّ عين (استكانوا) من الياء، وأنَّه كان يأخذه من لفظ (الكين) ومعناه، وهو: لحم باطن الفرج؛ أي: فما ذلوا وما خضعوا، وذلك لذلِّ هذا الموضعِ ومهانته، وقد عدَّ المصنِّف هذا القول من العجائب في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٢).

(١) «قوله»: ليس في (ن).

(٢) هذا ما صحَّحه مكي من جهة الاشتقاق، واختاره المعري بعد عرضه لبقية الآراء. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٥٠٥)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢١٤).

(٣) في «البسيط» للواحدي (٦/ ٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ قال: «يريد: عند لقاء العدو، وهذا بعد أن قُتِلَ نبيهم»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾: خطايانا».

﴿وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾: مجاوزَتَنا الحدَّ.

ابنُ عيسى: الإسرافُ: تجاوزُ الحقِّ إلى الباطلِ كائنًا ما كانَ بزيادةٍ أو نقصانٍ، من قولهم: (سَرِفتُ القوم)؛ إذا جاوزتَهم[1].

﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾: شجِّعْ قلوبَنا، ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

جعلَ ﴿قَوۡلَهُمۡ﴾ الخبرَ؛ لأنَّ ﴿أَن قَالُواْ﴾ أشدُّ تعريفًا؛ لامتناعِه عن الوصفِ[2].

* * *

(١٤٨) ـ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: بسببِ استغفارِهم وتوبتِهم آتاهم الله النَّصرَ والظَّفرَ والغنيمةَ.

﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: المغفرةَ والجنَّةَ والنَّعيمَ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الحسنُ: هم اليهودُ والنَّصارى[3].

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد، مادة (س ر ف) (٢/ ٧١٧).

(٢) أي: المصدر المؤول من (أن) والفعلِ أعرفُ من الاسم المفرد؛ فحقه أن يكون هو المبتدأ، وإن كان كلاهما معرفة. انظر: «إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث» للعكبري (ص: ٢٢٢)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٤٣٥).

(٣) ذكر نحوه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٢٥) عن الحسن، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٧٥) عن الحسن وابن جريج، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٥) عن ابن جريج، وانظر: «تفسير القرآن =

السُّدِّيُّ: هم أبو سفيانَ وأصحابُه[١]؛ أي: فيما يدعونكم إليه بقولهم: ارجعوا إلى دينِ آبائِكم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾: يُرجعوكم إلى الشِّركِ بالله.

﴿فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾: لا دنيا ولا دينَ لكم.

***

(١٥٠) ـ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصرُكم؛ فاستغنوا عن مُوالاةِ غيرِه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾.

***

(١٥١) ـ ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ السُّدِّيُّ: لمَّا ارتحلَ أبو سفيانَ[٢] والمشركونَ يومَ أحدٍ مُتوجِّهين إلى مكّةَ انطلقوا حتى بلغوا بعضَ الطَّريقِ ندموا، فقالوا: بئسما صنعنا؛ قتلناهم، حتى إذا لم يبقَ منهم[٣] إلا الشَّريدُ تركناهم، فارجعوا فاستأصلوهم، فلمّا عزموا على ذلك ألقى الله الرُّعبَ في قلوبهم[٤] حتى رجعوا عمّا همُّوا به، فأنزلَ الله: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٥].

= العزيز» لابن أبي زمنين (١/ ٣٢٤)؛ فقد ذكر عن الحسن غير ذلك.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٤).

(٢) في (و) زيادة: «وأصحابه».

(٣) «منهم» من (ن).

(٤) «في قلوبهم» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٦)، والواحدي في =

﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ وهو مِلءُ القلبِ خوفًا.

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾: بإشراكِهم بالله ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، وهو الأوثانُ والأصنامُ.

والهاءُ تعودُ إلى (ما)، وقيل: إلى الإشراكِ.

والسُّلطانُ: البرهانُ، وأصلُه القوّةُ، ومنه (السَّليطُ) للزيت؛ لقوّةِ اشتعالِه، والسَّلاطةُ: حدّةُ اللِّسانِ مع قوّةِ الصَّخب.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾: مرجعُهم.

﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: النّار، والمثوى: المنزلُ، والثَّواءُ: طُولُ الإقامة.

***

(١٥٢) ـ ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ: لمّا رجعَ رسولُ الله عليه السَّلام من أُحدٍ قال ناسٌ من أصحابِه: من أينَ أصابنا هذا وقد وعدَنا الله النَّصرَ؟! فأنزلَ الله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾[1]: أنجزَ وعدَه.

﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم قتلًا ذريعًا.

= «أسباب النزول» (ص: ١٢٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٦).

ابنُ عيسى: حسَّه: أبطلَ حِسَّه بالقتل(١).

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بأمرِه وعلمِه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾: جبنتم.

﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: اختلفتُم فيه؛ يعني: اختلافَ الرُّماة.

﴿وَعَصَيۡتُم﴾ أمرَ نبيِّكم بتركِكم المركزَ والاشتغالِ بالغنيمة.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ منَ الظَّفرِ، والغنيمة، وانهزامِ الكفّارِ حتى بدَت خلاخيلُ المنهزمات.

وجوابُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ محذوفٌ، وهو: امتحنكم(٢).

قال الفرّاءُ: تقديرُه: حتى إذا تنازعتم عصيتُم وفشلتُم(٣).

ويُحتمَلُ أن تكونَ للغاية، فلا تحتاجُ إلى جوابٍ(٤).

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾: هم الذين تركوا المركزَ لطلبِ الغنيمة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾: هم الذين صبروا حتى قُتلوا.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾: كفَّ عنكم معونتَه، فغلبوكم.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٧٠) والرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٨٦) ونسباه إلى أصحاب الاشتقاق دون تحديد.

(٢) وقد قال مثل هذا الخليل في قوله جلَّ ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٠٣).

(٣) ففيه تقديم وتأخير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٨)، وفيه: «معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم».

(٤) وذلك إذا كانت بمعنى حين. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٢٥٢).

ابنُ عيسى: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بأن لم يأمركم معاودتَهم من فورِهم[١].

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليختبرَكم؛ أي: ليعاملَكم معاملةَ الـمُختبِر.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: قبلَ توبتِكم.

وقيل: لم يستأصلْكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

***

(١٥٣) ـ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبالِغون في الذَّهاب في صعيدِ الأرض، وأصلُ الإصعادِ: الذّهابُ، تقولُ: أصعدنا إلى بلدِ كذا.

﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾: لا يقفُ أحدٌ لأحدٍ[٢].

وقيل: لا تَعطِفون.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ يقول: «إليَّ عبادَ الله[٣]، إليَّ عبادَ الله»[٤].

﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ ينادي من ورائِكم، وهو عليه السَّلام في الفرقةِ الأخيرةِ منهم.

---

(١) ذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٨٩)، ونسبه للكعبي، وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي الخراساني، أحد أئمة المعتزلة.

(٢) في (ن): «أحد لآخر».

(٣) «يقول إلي عباد الله» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي، وقد تقدم.

والأُخْرى: كالرُّجْعى، وأجازَ الفرّاءُ في غيرِ القرآن: أُخراتِكم[١].

﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: لفظُ (الإثابةِ) هنا يجوزُ أن يكونَ على الأصل من (ثاب)، ويجوزُ أن يكونَ كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾؛ أي: تتابعَ عليكم الغُمومُ[٢].

وقيل: غمًّا على غمٍّ، والغمُّ الأوَّل: القتلُ والجراحةُ، والثّاني قولُ بعضِهم: قُتِلَ محمَّدٌ.

وقيل: الثّاني ظهورُ خالدِ بنِ الوليدِ عليهم.

الزَّجّاجُ: فأثابَكم غمًّا بسببِ غمِّكم النَّبيَّ عليه السَّلام بمخالفتِكم إيّاه وعصيانِكم أمرَه[٣].

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمةِ، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الهزيمةِ.

المفضَّلُ: (لا) زائدةٌ[٤]، كقولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾[٥]، والمعنى: لتأسفُوا على ما فاتَكم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٩).

(٢) ذكر الرازي نحوه في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٩١) فقال: «وفي الآية قول ثالث اختاره القفال رحمه الله تعالى، قال: وعندنا أن الله تعالى ما أراد بقوله: ﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾ اثنين، وإنما أراد مواصلة الغموم وطولها؛ أي: أن الله عاقبكم بغموم كثيرة مثل قتل إخوانكم وأقاربكم، ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم، ومثل إقدامكم على المعصية».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٩).

(٤) في (ن): «زيادة».

(٥) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٣٦) عن المفضل أنه صلة، ويُقصد به الزيادة. انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٣٩ـ٢٤٩)، و«تفسير الماتريدي» (٩/ ٥٠٤ و٥٤٢).

من الظَّفر، وعلى ما أصابَكم من أعدائِكم من القتلِ والجرحِ عقوبةً لكم في خلافِكم النَّبيَّ عليه السَّلام.

واللّامُ في ﴿لِكَيْ﴾ متَّصلٌ بـ﴿أثابكم﴾.

وقيل: بقولِه: ﴿عَفَا عَنكُمْ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: عالمٌ بعملِكم.

***

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾: أعقبَكم بما أصابَكم من الغمِّ أمنةً[1]؛ رحمةً جاذبةً للنَّوم؛ لأنَّ الشّديدَ الخوفِ لا ينام.

﴿نُّعَاسًا﴾ بدلٌ من (الأمَنة).

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾؛ أي: المؤمنين، وكانوا تحت الحَجَفِ[2] متأهِّبين للقتال[3]، ....

(١) «أمنة» من (ن).

(٢) أي: التروس، يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب: حَجَفة. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٤١) مادة (ح ج ف).

(٣) «للقتال» من (ن).

فأنزل الله على المؤمنين أمنة[١]، فناموا دون المنافقين، فإنَّهم[٢] أزعجهم الخوف، وطيَّرَ عنهم النَّوم.

﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ يعني: المنافقين، طِلبَتُهم وهمَّتُهم خلاصُ أنفسِهم.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: يظنُّون الله[٣] مُبطِلًا؛ لأنَّ غيرَ الحقِّ باطلٌ.

﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ أي: ظنًّا مثلَ ظنِّ الجاهليّة، والجاهليَّةُ: حالةُ الشِّرك والكفر.

والتَّأنيثُ[٤] للحالِ، أو الأفعال.

وظنُّ الجاهليّة: إبطالُ النُّبوّاتِ والشَّرائع.

الزَّجّاجُ: يظنُّون أمرَ النَّبيِّ عليه السَّلام قد اضمحلَّ[٥].

ابنُ بحرٍ: هو يأسُهم من نصرِ الله، وشكُّهم في سابقِ وَعدِه وصادقِ عهدِه بنصرِ رسولِ الله ﷺ والمؤمنين[٦].

وقيل: يظنُّون أنَّ الحقَّ ما عليه الكفّارُ، فلهذا نُصروا.

---

(١) «أمنة» من (ن).

(٢) «فإنهم» من (ن).

(٣) في (و): «بالله».

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿يَغۡشَىٰ﴾، وقرأ حمزة والكسائي ﴿تغشى﴾؛ فالتذكير للنعاس، والتأنيث للأَمَنة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٣)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٨٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٩).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٩٢) بلا نسبة.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ الحسنُ: قيل لعبد الله بن أُبيٍّ: قُتِلَ بنو الخزرجِ، فقال: هل لنا من الأمرِ من[1] شيءٍ[2]؟! أي: مُنِعنا تدبيرَ أنفسِنا وتصريفَها باختيارنا، فهل يزولُ عنّا هذا القهرُ والإجبارُ؟!

وقيل: معناه: ليس لنا من النَّصرِ والظَّفرِ شيءٌ كما وُعدنا، يقولُ ذلك على وجهِ التَّكذيب.

﴿قُلْ﴾: يا محمَّدُ ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: النَّصر والشَّهادة.

وقيل: القضاء والقدر، فهو يُصَرِّفُهم بين أمرِه ونهيِه.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، ثم فسَّرَ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ تكذيبًا للقضاءِ والقدر؛ أي: لو كنَّا مُختارين لقعدنا في بيوتِنا.

وقيل: لو كانَ ما وعدَنا محمَّدٌ صدقًا وحقًّا ما قُتِلْنا هاهنا.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾: لخرَجَ.

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾: قُضِيَ وحُمَّ[3] عليهم.

﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارِعهم، ولم ينفعهم قعودُهم.

وفيه قولان:

أحدُهما: هم المؤمنون جميعًا؛ أي: لو قعدتُم أيُّها المنافقون لخرج المؤمنون، ويكون (القتل) بمعنى: القتال.

---

(١) «من»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٦٧) وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) عن ابن جريج، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٩٥) عن الحسن.

(٣) حمَّ الأمر: قضي وقدر. انظر: «العين» مادة (ح م م) (٣/ ٣٣)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٣١).

والثّاني: هم الشُّهداء؛ أي: لو قعدتُم[١] لبرزَ الذين استُشهدوا؛ ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: ليظهرَ مُغيَّباتِ قلوبِكم للنَّبيِّ عليه السَّلام والمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يُظهرَه ويكشفَ.

وفي الواوِ من قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّه عطفٌ على مُضمَرٍ تقديره: لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعِهم؛ ليقضيَ الله أمره، وليبتليَ.

ابنُ بحرٍ: عَطفَه على قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، فلمّا طالَ الكلامُ أعادَ (ليبتليكم)[٢]، ثم عطفَ عليه ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾[٣].

ويحتمل: وليبتليَ اللهُ وليمحِّصَ فَعَلَ ما فَعَلَ[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتِها قبلَ إظهارها.

***

---

(١) «أيها المنافقون لخرج المؤمنون ويكون القتل بمعنى القتال، والثاني هم الشهداء أي لو قعدتم» من (ن).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وإنما الذي أعيد على هذا القول (ليبتلي)، وعبارة أبي حيان: «لما طال الكلام أعاده ثم عطف عليه» أفضل، والله أعلم.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٣)، وعدَّه من الغريب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٩٧).

(٤) فاللامُ تتعلق بمتأخِّر على هذا التقدير.

(١٥٥) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ ﴾: انهزموا ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾؛ المؤمنُ والكافرُ التقيا للقتال، وهو يومُ أحدٍ.

﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: أوقعَهم في الزَّلّة.

المفضَّلُ: حملَهم على الزَّلّة[١].

وقيل[٢]: طلبَ منهم الزَّلّة[٣].

وقيل: (أزَلَّ) و(استزَلَّ)[٤] بمعنى[٥].

وقيل: أزلَّهم عن مكانِهم[٦].

﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ ابنُ عيسى: بحبِّهمُ الغنيمةَ مع حرصِهم على الحياة[٧].

الزَّجّاجُ: استزلَّهم بذكرِ خطايا سلفَت منهم، وكرهُوا القتلَ قبلَ إخلاصِ التَّوبة منها، والخروجِ من المظلمةِ فيها[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٧).

(٢) «وقيل»: ليس في (ن).

(٣) انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٢٩).

(٤) في (و): «زل فأزل».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠١)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٩٨).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ١٨).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١) دون نسبة.

(٨) هذا معنى قول الزجاج، ولفظه: «لم يتولوا في قتالهم على جهة المعاندة، ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا خاصة، وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها، فلذلك عفا عنهم...». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨١)، و«النكت والعيون» =

وقيل: بتركِهم المركزَ، وكان أصحابُ رسولِ الله تولَّوا عنه يومَ أحدٍ إلا ثلاثةَ عشرَ رجلًا؛ خمسة[1] من المهاجرين؛ أبو بكرٍ وعليٌّ وطلحةُ وعبدُ الرَّحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم، والباقون من الأنصار[2].

وكان عمرُ من المنهزمين، لكنَّه لم يبعد، بل ثبتَ على الجبل إلى أن صَعِدَ النَّبيُّ عليه السَّلام[3].

ورُويَ عن عمرَ أنَّه قال: فررتُ يومَ أحدٍ حتى صعدتُ الجبل، ولقد رأيتُني أنزو كأنِّي أروى، والنّاسُ يقولون: قُتِلَ محمَّدٌ، فقلتُ: لا أجدُ أحدًا يقولُه إلّا قتلتُه، حتى اجتمعنا على الجبل[4].

وأمّا عثمانُ فذهبَ، ومعه عقبةُ وسعيدٌ ابنا عثمانَ الأنصاريِّ إلى الجَلْعَبِ؛ جبلٍ بقرب المدينة[5]، فأقاموا فيه[6] ثلاثًا، فلمّا رجعوا قال لهم النَّبيُّ عليه السَّلام: «لقد ذهبتُم فيها عريضة»[7].

= للماوردي (١/ ٤٣١).

(١) في (و): «سبعة».

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٣٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٧٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠)، ونقله عن ابن فورك.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٩/ ٤٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٠٢) عن عاصم بن كليب عن أبيه، وفيهما: «فقلت: لا أجد أحداً يقول: قتل محمد، إلا قتلته». وأنزو: أثب، والنزو: الوثب. وأروى: جمع أُروِيّةٍ، وهي أنثى وعل الجبل. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ١٢٥)، و«تهذيب اللغة» مادة (ن ز و) (١٣/ ١٧٧)، و«جمهرة اللغة» مادة (أ ر و) (١/ ٢٣٦).

(٥) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/ ١٥٤).

(٦) في (و): «فيها».

(٧) ذكره ابن إسحاق بلا إسناد في «سيرته» (ص: ٣٣٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٤)، وابن =

ورُوِيَ أنَّه لمّا انصرفَ إلى المدينة قالَت فاطمةُ لعليٍّ، والنَّبيُّ عليه السَّلام يسمعُ: ما فعلَ عثمان؟ فقال: إنَّ عثمانَ فضحَ الذِّمار[1]، فقال عليه السَّلام: «مَهْ يا عليُّ» ثم قال: «أعياني أزواجُ الأخواتِ أن يتحابُّوا»[2].

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قيل[3]: حَلُمَ عنهم، وقيل: غفرَ لهم.

السُّدِّيُّ: نزلت فيمن بلغَ المدينةَ في الهزيمة[4].

وقال ابنُ إسحاقَ: نزلَت في عثمانَ بنِ عفّانَ[5] وصاحبيه[6].

= المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٩) وغيرهما عن ابن إسحاق، وانظر: «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٣٤٨). ومعنى (عريضة): واسعة. انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٤٠٥)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير، مادة (ع ر ض) (٣/ ٢١٠).

(١) الذمار: ما لزمك حفظه مما وراءك وتعلق بك. «النهاية» مادة (ذ م ر) (٢/ ١٦٧).

(٢) ذكره نجم الدين النيسابوري في «إيجاز البيان عن معاني القرآن» (١/ ٢١٤)، وذكره مختصرًا ابن المديني في «المجموع المغيث» (١/ ٧٠٨)، وابن الأثير في «النهاية» مادة (ذ م ر) (٢/ ١٦٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (٩/ ٤٠٥)، وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٧٢) دون قوله: «أعياني أزواج الأخوات أن يتحابُّوا»، وإسناده منقطع، وفيه أن السائلة هي فاختة بنت غزوان امرأة عثمان بن عفان.

(٣) «قيل»: ليس في (ن).

(٤) في (و): «بلغ الهزيمة في المدينة». رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٣)، ولفظه: «لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله ﷺ أصحابه، فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا، فدخلوا المدينة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١).

(٥) «بن عفان»: ليس في (ن).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٩٧)، وفيه ذكر صاحبيه، وهما سعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الأنصاريان الزرقيان.

ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: إنَّه عامٌّ في المؤمنين منهم دونَ المنافقين[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبِ التّائبين.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجِّلُ بالعقوبة.

وذكر العفوَ مرّةً بعدَ أخرى سعةً منه ورحمةً وفضلًا.

***

(١٥٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: عبدُ الله بنُ أُبيٍّ وأصحابُه.

﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأهلِهم وفئتِهم.

والإخْوانُ: القومُ يجمعُهم أبٌ قريبٌ أم بعيدٌ.

وقيل: إخوانُهم: مَن يعتقدُ مُعتقدَهم من الكفّار.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: حين سافروا للتِّجارةِ وطلبِ المعيشة.

أبو عبيدة: الضَّرب في الأرضِ: الإبعادُ فيها[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٢) عن قتادة، ولفظه، قال: «وذلك يوم أحد، ناس من أصحاب رسول الله ﷺ تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك، وعفا عنهم». وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١) عن عمر وقتادة والربيع.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٦).

﴿أَوۡ كَانُواْ غُزًّى﴾: جمع غازٍ، كـ: صائمٍ وصُوَّم[١]، وأصابهم قتلٌ أو موتٌ.

﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ الدِّمياطيُّ[٢]: هم الذين بعثَهم رسولُ الله عليه السَّلام من السَّرايا إلى بئرِ مَعونةَ وإلى الرَّجيعِ، فأُصيبوا[٣].

﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ ابنُ عيسى: اللّامُ متعلِّقٌ[٤] بالكون؛ أي: لا تكونوا كهؤلاء ليجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبِهم دونكم[٥].

الزَّجّاجُ: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ[٦] حَسۡرَةً﴾[٧]؛ أي: ذلك الظَّنَّ ـ وهو أنَّه إذا ظنَّ أنَّهم لو لم يحضروا لم يُقتَلوا ـ كان حسرتُهم على مَن قُتِلَ منهم أشدَّ.

وقيل: هي لامُ العاقبة[٨].

---

(١) في (ن): «أو صُيَّم». وانظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ٣٧٣).

(٢) هو بكر بن سهل الدِّمياطي، من شيوخ الطبراني، له تفسير، رواه الثعلبي عنه بإسنادين، توفي سنة ٢٨٧هـ أو ٢٨٩هـ. انظر: «تاريخ ابن يونس» (١/ ٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٣٤٥)، و«غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ١٧٨).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٠٢)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء.

(٤) في (ن): «يتعلق».

(٥) في (و): «قلوبكم دونهم». ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠٩) دون نسبة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٠٣) عن ابن عيسى.

(٦) في (و) زيادة: «الظن».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٢).

(٨) وتُسمَّى لام الصيرورة، ولام المآل. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٠٨)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٦٦٠).

﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا تظنُّوا أنَّ القتالَ يقطعُ الآجال(١).

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيجازيكم على أعمالِكم.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ تقديرُه: إن قتلتُم في سبيل الله أو مُتُّم في سبيلِه ليغفرَ(٢) لكم الله ويرحمَكم، ثم قال: ومغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ ممّا يجمعونَ من المال والغنيمة؛ أي: القتلُ في سبيلِ الله أو الموتُ فيها خيرٌ إذا لم يكن بدٌّ من القتلِ أو الموت.

* * *

(١٥٨) ـ ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾؛ أي: حشرُ العِبادِ إلى الله سبحانه كيف ما تصرَّفَتْ به(٣) الحالُ من قَتْلٍ أو موتٍ.

* * *

(١٥٩) ـ ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾: (ما) صلةٌ مؤكِّدةٌ للكلام، تحسِّنُ النِّظام.

---

(١) «فلا تظنوا أن القتال يقطع الآجال» من (ن).

(٢) هذا الفعل لتعليل فعل الشرط، وليس هو الجواب، والجواب محذوف في كلام المصنف، كما في الآية.

(٣) الضمير يُراد به العبد، وهو مفهوم من السياق.

والمعنى: دمثَتْ أخلاقُكَ ولانَتْ، وتلك منّةٌ من الله عظيمةٌ، ونعمةٌ عليك جسيمةٌ، حتى استأنَسْتَ بهم، ونعمةٌ عليهم حيث أهَّلْتَهم بمجالستِك، وقرَّبْتَهم من مجالسِك[١].

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيِّئَ الخُلقِ، جافيَ الفعل.

﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: بَذيءَ القول.

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرَّقُوا عنك، ولم يسكنوا إليك، وأصلُ الفظاظةِ: الجَفوةُ، ومنه: الافتظاظُ؛ لشُربِ ماءِ الكرش، وهو الفظُّ، وسُمِّي به؛ لجفائِه على الطِّباع[٢].

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: ما كانَ منهم يومَ أحدٍ؛ فإني قد عفوْتُ عنهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: سلني مغفرتَهم أُجبْكَ.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أمر الحرب[٣].

وقُرِئَ: (وشاورهم في بعض الأمر)[٤].

---

(١) في (و): «مجالستك».

(٢) في (ن): «الطبائع»، وقد كان العرب في الصحراء ربما ربط أحدهم فم بعيره حتى لا يجترَّ، فإذا اشتدَّ به العطش ذبحه، وعصر ماء كرشه فشربها، وهذا فعل كريه لا يلجأ إليه إلا المضطر. انظر: «الصحاح» مادة (ف ظ ظ) (٣/ ١١٧٦)، و«مقاييس اللغة» (٤/ ٤٤١).

(٣) ذكره الفيروزآبادي عن ابن عباس في «تنوير المقباس» (ص: ٥٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٢) عن عبيدة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٧) عن الكلبي. وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ شاور في أمر الحرب فعليك به. وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٩): أن رجاله قد وُثِّقوا، وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٩): أن سنده جيد.

(٤) قراءة شاذة لمخالفة الرسم، نسبت هذه القراءة لابن عباس رضي الله عنهما، روى ذلك البخاري =

الحسن: شاورهم إجلالًا لأصحابِك ورفعًا لهم؛ أي: لتأتلفَ بذلك قلوبَهم، وتمتريَ نتائجَ أفكارِهم(١).

وقيل: لتقتديَ بك أمَّتُك فيها، ولتصيرَ سُنّةً بعدَك(٢)، وقد مدحَ الله(٣) قومًا بأنَّ أمرَهم شُورى بينهم(٤).

﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾: وطَّنْتَ نفسَك على الأمرِ الذي شاورتَهم فيه.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كِلْ أمرَكَ إليه، واستعنْ به(٥).

والتَّوكُّلُ: تفويضُ الأمرِ إلى غيرِك؛ لثقتِك بحسنِ تدبيرِه، ومنه: الاتِّكالُ، والتَّوكيلُ، والوكالةُ، والوكيلُ.

= في «الأدب المفرد» (٢٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٢)، وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٩) أنه مروي بسند حسن.

(١) في (ن): «آرائهم». لم أقف على هذه الرواية عن الحسن، وقد روى نحوها الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٢) عن قتادة والربيع، والشورى على هذا القول ليست ملزمة، وإنما هي استثارة للأفكار وتطييب للنفوس وجبر للخواطر، ونحو ذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أُمِر بذبحه مع أنه لم يكن من الاستجابة لأمر الله بدٌّ. وانظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٥١٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٤٠).

(٢) ذكره نحوه الإمام الشافعي في «الأم» (٧/ ١٠٠)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠١) عن الحسن.

(٣) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٤) روى البخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٨) عن الحسن قال: «والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾».

(٥) «به»: ليس في (ن).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه؛ فإنَّ النُّصرةَ بيدِه والرَّحمةَ من قِبَله.

وذكرَ الدِّمياطيُّ أنَّ الآية نزلَت في المنافقين، أمرَه بالعفوِ عنهم؛ ليكثِّرَ بهم السَّواد[١].

* * *

(١٦٠) ـ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: إن تتوكَّلوا[٢] عليه لن تُغلبوا، وإن يخذلْكم لن تُنصروا.

وقيل: مَن نصرَه الله[٣] فلا غالبَ له؛ لأنَّه إنْ ظفرَ بعدوِّه فقد ظفرَ، وإن ظفرَ به عدوُّه فبيدِه الحجّةُ، ومَن خذلَه خسرَ الدُّنيا والآخرة، وإن ظفرَ هو فذاك عليه وبالٌ.

والخِذلانُ: الامتناعُ من المعونةِ.

والهاءُ تعودُ إليه[٤].

وقيل: تعود[٥] إلى الله سبحانه، على تقدير: من بعدِ خذلانِه، فحذفَ المضافَ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: توكَّلُوا عليه فيما تحتاجون إليه.

* * *

---

(١) لم أقف على قوله، وذكر مقاتل نحوه في «تفسيره» (١/ ٣١٠).

(٢) في (ن): «توكلتم».

(٣) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٤) أي: الهاء المتصلة بـ(بعده) إلى الخذلان.

(٥) «تعود» من (ن).

(١٦١) ـ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ في سببِ نزولِه أقوالٌ:

أحدها: ما رواه عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: فُقِدَت قطيفةٌ حمراءُ يومَ بدرٍ ممّا أُصيب من المشركين، فقال النّاس: لعلَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أخذَها، فأُنزلت الآية[1].

وروى اليزيديُّ عن الدُّوريِّ[2] عن أبي عمروٍ عن مجاهدٍ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه كان ينكرُ على مَن قرأ: ﴿يُغَلَّ﴾[3]، ويقول: كيف لا يكونُ له أن يُغَلَّ وقد كان يُقتَل[4]؟! ولكنَّ المنافقين اتَّهموه في شيءٍ من الغنيمة، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[5].

وعن الضَّحّاك قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ طلائعَ، فغنمَ النَّبيُّ عليه السَّلام غنيمةً،

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن الدوري هو الذي يروي عن اليزيدي، كما في مصادر التخريج.

(٣) وهذه قراءة متواترة؛ فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، وقرأ باقي السبعة بضم الياء وفتح الغين، والمعنى على هذه القراءة: ما كان لنبي أن يُتهم بالغلول، ويُنسب إليه، أو: ما كان لنبي أن يغله أصحابه؛ لأن الغلول في حضرته أعظم. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٩٨ ـ ٢٠١)، و«السبعة» (ص: ٢١٨)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٩٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٤) القراءة التي أنكرها ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الأثر هي (يُغَلَّ)، والمعنى الذي ذهب إليه فيها هو. انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٦٦).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٧٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٣/ ٩٠).

فقسمَها بين النّاسِ ولم يقسِم للطَّلائع شيئًا، فلمّا قدمتِ الطَّلائعُ قالوا: قُسِمَ الفيءُ ولم يُقسَم لنا، فنزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[١].

الكلبيُّ ومقاتلٌ: نزلَت حين تركَ الرُّماةُ المركزَ يومَ أُحدٍ طلبًا للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النَّبيُّ عليه السَّلام: مَن وجدَ شيئًا فهو له، فقال ﷺ: «ظننتُم أنّا نَغُلُّ فلا نقسِمُ لكم»، فأُنزلت[٢] الآية[٣].

ورُويَ عن ابنِ عبّاسٍ أيضًا: أنَّ أشرافَ النّاسِ استدعَوا رسولَ الله ﷺ أن يخصَّهم بشيءٍ من الغنائمِ، فنزلَت: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[٤]: أن يخونَ.

والغُلولُ: الخيانةُ في الغنيمةِ خاصّةً، وأصلُ الباب: الخفاءُ، ومنه: الغِلُّ؛ الحقدُ، والغَلَلُ؛ الماءُ الجاري في أصولِ الشَّجر.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾؛ أي: حاملًا ذلك على ظهرِه.

وقيل: يأتِ به؛ أي: لا يكفِّرُه الاستغفارُ لأنَّه من المظالم.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾: تُعطَى جزاءَها وافيًا.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾: لا يُنقَصون.

* * *

(١٦٢) - ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩٦).

(٢) في (و): «فأنزل».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧) وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٧٩) عن مقاتل والكلبي.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٤١).

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: رضا الله وطاعتَه.

﴿كَمَنۢ بَآءَ ﴾: رجعَ.

﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾: بعقابِه.

الحسنُ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: تركُ الغُلول، والسَّخَطُ: الغُلول[1].

ابنُ إسحاقَ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: طاعتُه، وسخَطُه: معصيتُه[2].

الزَّجّاجُ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: الجهادُ، والسَّخَطُ: الفرارُ منه رغبةً عنه[3].

﴿وَمَأْوَىٰهُ ﴾: مَرجعُه ومَثواه.

﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

ابنُ عيسى: الفرقُ بينهما[4]: أنَّ المصيرَ يُخالفُ الحالةَ الأولى[5].

ومعنى الآية: ليسا سواءً.

* * *

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٦) نحوه عن الحسن، بلفظ: «قوله: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ قال: يقول: من أخذ الحلال خير له ممن أخذ الحرام، وهذا في الغلول وفي المظالم كلها».
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨) عن الضحاك.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٦)، وعبارته: «يروى أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين في أحد باتباعه، اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم الله جل وعز أن من اتبع النبي ﷺ فقد اتبع رضوان الله، ومن تخلف عنه فقد باء بسخط من الله».

(٤) أي: بين المصير والمرجع.

(٥) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٢/ ٤٦) دون نسبة، وانظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٩٢).

(١٦٣) ـ ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لهم[١].

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: للكلِّ درجاتٌ من الجنّةِ والنّار[٢].

أبو عبيدة: هو كقولهم: هم طبقاتٌ[٣].

---

(١) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٠٧)، وذكره البخاري قبل الحديث (٢٧٩٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١) عن مجاهد والسدي، ونقله السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٦٢) عن الكسائي، وإليه ذهب كثيرون ومنهم المصنف، ونقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن الرازي، ثم نقل ردًّا، فقال: «قال بعض المصنفين رادًّا عليه: اتبع الرازي في ذلك أكثر المفسرين بجهله وجهلهم بلسان العرب؛ لأن حذف لام الجر هنا لا مساغ له؛ لأنه إنما تحذف لام الجر في مواضع الضرورة، أو لكثرة الاستعمال، وهذا ليس من تلك المواضع. على أن المعنى دون حذفها حسن متمكن جدًّا؛ لأنه لما قال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وكأنه منتظر للجواب، قيل له في الجواب: لا، ليسوا سواء، بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم. وهذا معنى صحيح لا يُحتاج معه إلى تقدير حذف اللام لو كان سائغًا، كيف وهو غير سائغ؟! انتهى كلام المصنف»، لكنَّ أبا حيان تنبَّه إلى أمر هامٍّ، وهو أن جماهير المفسرين لم يغفلوا بالضرورة عما ذهب إليه هذا المنتقد، بل ربطوا الآية بنظائرها في كتاب الله، وذكروا المعنى المراد منها، ولم يتكلموا عن الإعراب، فقال: «ويُحمل تفسير ابن عباس والحسن... على تفسير المعنى، لا تفسير اللفظ الإعرابي».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن ابن عباس والحسن بلفظ المصنف، وروى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦) عن محمد بن إسحاق، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٧) عن الحسن: «للناس درجات بأعمالهم في الخير والشر»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال: «بأعمالهم».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٧).

مجاهـدٌ وقتـادةُ: أي: ذوو درجـاتٍ عنـد الله[١]؛ فـإنَّ بعـضَ المؤمنيـن أفضـلُ من بعـضٍ[٢].

ابنُ عيسى: أي: لاختلافِ أعمالِهم صاروا كمُختلفي الذَّوات[٣].

وقيل: يعودُ إلى الغالِّ وتاركِه.

والدَّرجةُ: الرُّتبةُ، وهو أصلُ الباب.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ في الدُّنيا، فيعلمُ مرتبةَ كلِّ أحدٍ.

* * *

(١٦٤) - ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) «عند الله» من (ن).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن مجاهد وقتادة بلفظ المصنف، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠) وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦) عن مجاهد: «هي كقوله: ﴿لهم درجات عند الله﴾»، وهذا هو المعنى الأول الذي ذكره المصنف، ولم أقف على رواية قتادة، وقد ذكر هذا المعنى الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٨٦)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٦) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٣)، واستغربه، وذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٤٢) دون نسبة، وقال فيه: «﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذوو درجات، فحذف المضاف، وحسن ذلك ههنا؛ لأن اختلاف أعمالهم، قد صيرهم بمنزلة المختلفي الذوات، كاختلاف مراتب الدرجات؛ لتبعيدهم من استواء الأحوال، فجاء على هذا المجاز، والمجاز في موضعه أحسن من الحقيقة؛ لما فيه من الإيجاز من غير إخلال، ومن المبالغة التي لا ينوب منابها الحقيقة؛ إذ قولك: (هو الشمس ضياء) أبلغ في النفس من: (هو كالشمس ضياء)، فكذلك: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾، أبلغ من: هم أهل درجات».

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أنعمَ عليهم ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من العربِ؛ لأنَّه ليس حيٌّ من أحياءِ العربِ إلّا وله فيهم نسبٌ إلّا بني تغلبَ[1]؛ أي: ليفهموا[2] كلامَه، وليعرفوا صدقَه وأمانتَه، وليكونَ لهم بمكانةِ شرفٍ وافتخارٍ.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: من المؤمنين، كقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآنَ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يشهدُ بأنَّهم أزكياءُ في الدِّين.

وقيل: يدعوهم إلى ما يكونونَ به زاكين.

الفرّاء: يأخذُ منهم الزَّكاةَ التي يُطهِّرُهم بها[3].

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الفقهَ والسُّننَ.

﴿وَإِن كَانُواْ﴾: وإنَّهم كانوا ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ محمَّدٍ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في عمًى وجهالةٍ.

* * *

(١٦٥) ـ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾: نالَتكم ﴿مُّصِيبَةٌ﴾: شدّةٌ ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: مصيبة

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٤)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٦) للنقاش.

(٢) في (و): «ليعلموا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٦)، وعبارته: «يأخذ منهم الزكاة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]».

المؤمنين أنَّه قُتِل منهم سبعون يومَ أحدٍ، وإصابتُهم أنَّ المؤمنين قَتلوا يومَ بدرٍ سبعين وأسروا سبعين.

الزَّجّاجُ: ﴿مِّثْلَيْهَا﴾: الفتحَ يومَ بدرٍ، وانهزامَ المشركين أوَّلَ يومِ أُحدٍ[١].

﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ وذلك أنَّ المسلمين لـمّا أصابهم ما أصابهم يومَ أحدٍ تعجَّبوا وأنكروا في نفوسِهم ما جرى، وقالوا: قد وعدَنا الله النَّصرَ عليهم، فما سببُ إصابتِنا ما أصابَنا؟! فأنكرَ الله عليهم ذلك[٢]، فقال: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: من أينَ هذا؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: جَنيتم على أنفسِكم بتركِكم المركزَ ومخالفتِكم أمرَ النَّبيِّ عليه السَّلام.

عليٌّ رضي الله عنه: باختيارِكم الفداءَ يومَ بدرٍ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام قال: «إنْ قتلتموهم سلمْتُم، وإن فاديتموهم قُتِلَ منكم سبعون»[٣]، فاختاروا الفداءَ.

وقيل: بخروجِكم من المدينةِ بعدَ قولِه عليه السَّلام: «إنِّي رأيتُ في المنامِ كأنِّي في جُنّةٍ حَصينةٍ، وأوَّلتُها المدينةَ»[٤]، فأبَوا عليه وخالفوه.

---

(١) هذا معنى قوله، فإنه قال: «أصبتم في يوم أحد مثلها، وأصبتم يوم بدر مثلها، فأصبتم مثلي ما أصابكم». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٨).

(٢) «ذلك» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (١٥٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩٥) عن علي رضي الله عنه، ولفظ الترمذي: «إن جبرائيل هبط عليه، فقال له: خيرهم - يعني أصحابك - في أسارى بدر؛ القتل، أو الفداء على أن يُقتل منهم قابلًا مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٩): «وهذا حديث غريب جدًّا»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٩) عن عبيدة مرسلًا.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٨٨) عن ابن عباس =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ من الفتحِ والخِذلانِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

***

(١٦٦ ـ ١٦٧) ـ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: يومَ أحدٍ ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بقضائِه وعلمِه.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾؛ أي: ليعلمَهم متميِّزين.

وقيل: ليعرفَهم، وقد سبق.

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾؛ أي: لعبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ حينَ انخزلَ[1] يومَ أحدٍ في ثلاثمئةٍ.

﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ جُلُّ المفسِّرين على أنَّ المعنى: ادفعوا عنّا بكثرةِ سَوادِكم.

وقيل: معناه: إن لم تبدؤوا بقتالِهم فادفعوهم عنّا وعنكم إن أرادونا وإيّاكم.

= رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه الدارمي في «سننه» (٢٢٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٠٠) عن جابر رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧١) عن الزهري مرسلًا، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٥) عن الزهري عن عروة مرسلًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٥) عن قتادة مرسلًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠) عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم. وفي بعض هذه الروايات: «درع حصينة»، والجُنّة هي الدرع.

(١) أي: انقطع وضعُف. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (خ ز ل) (٧/ ٩٤)، و«مقاييس اللغة» مادة (خ ز ل) (٢/ ١٧٧).

وقيل: إن لم تقاتلوا في سبيلِ الله وطاعتِه فقاتلوهم دفعًا عن أنفسِكم وأموالِكم(١).

قاله(٢) عبد الله بن عمرو بن حرامٍ(٣).

﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾؛ أي: لو نعلمُ قتالًا واقعًا بينكم وبين الكفّارِ لحضرنا، ولكن لا يكونُ؛ استهزاءً بالمؤمنين.

وقيل: لو نحسنُ قتالًا.

﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ لظهورِ هذا الكلامِ منهم.

وقيل: اللّامُ بمعنى الباء؛ أي: هم بالكفرِ أولى.

وقيل: بمعنى إلى؛ أي: إلى الكفر.

وقيل: هو كقولِك: هو قريبٌ لي.

﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾؛ أي: يُظهرون خلافَ ما يُضمرون من

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٦٣).

(٢) أي: قال: ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾، والقرآن الكريم حكى قوله للمنافقين وردَّهم عليه. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٥)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢١٩)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ١٥٩).

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي أحد النقباء، شهد العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أحد، وهو أبو جابر بن عبد الله الصحابي المعروف، وقد رويت في فضله عدة أحاديث. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٢٣)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٥٤)، و«أسد الغابة» للجزري (٣/ ٣٤٣)، و«الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٦٢).

الإيمـانِ وغيـرِه، وإضافتـه إلى (الفـم) تأكيدٌ[١]، وقطـعُ مجـازِ الكِنايةِ[٢].

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾؛ أي: العداوة والنِّفاق.

* * *

(١٦٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾؛ أي: عبدُ الله بنُ أبيٍّ وأصحابُه.

﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾؛ أي: فيهم ولأجلهم، لا أنَّهم خاطبوهم.

﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن القتالِ.

﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ في القعودِ عنها ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ زعمْتُم أنَّكم كنتم تدفعون عنهم الموتَ والقتلَ الذي هو أحدُ أسبابِ الموتِ بطاعتِهم إيّاكم، فادفعوا عن أنفسِكم الموتَ وأسبابَه؛ فإنَّ ذلك أحرى بكم وأجدى عليكم.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾ ذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّها نزلَت في شهداء بدرٍ، وكانوا أربعة عشر رجلًا.

وقيل: نزلَت في شهداء بئرِ معونةَ، وكانوا سبعين رجلًا.

---

(١) في (و): «مجاز».

(٢) قطع المجاز أو دفع توهُّم المجاز من أغراض التوكيد. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٤٧٨)، و«عروس الأفراح» للسبكي (١/ ٢١٩).

وقيل: نزلَت في شهداء أُحدٍ، وكانوا سبعين رجلاً؛ أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطَّلب ومصعب بن عميرٍ وعثمان بن شماسٍ وعبد الله بن جحشٍ، وسائرُهم من الأنصار.

وعن ابنِ عبّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «لـمّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنّةِ، وتأكُلُ من ثمارِها، وتأوي إلى قناديلَ من ذَهَبٍ معلَّقةً فـي ظلِّ العرشِ، فلمّا وجدوا طِيْبَ مَأكلِهم ومَشربِهم ومَقِيلِهم قالوا: مَن يُبلِّغُ إخوانَنا أنّا في الجنّةِ نُرزَقُ؛ لئلّا يَزهَدُوا في الجهاد، ولا يَنكلُوا عن[1] الحربِ؟ فقال عـزَّ وجلَّ: أنا أبلِّغُهم عنكم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾»[2].

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قيل: في الجنّةِ.

وقيل: حيث لا يملكُ لهم أحدٌ من العبادِ نفعًا ولا ضرًّا.

وقيل: في علمِ اللهِ أحياءٌ.

وتفسير موتِهم وحياتِهم سبقَ في (البقرة).

﴿يُرْزَقُونَ﴾ من طعامِ الجنّةِ وشرابِها.

وحملَ بعضُهم هذا على الرِّزقِ في الجنّةِ يومَ القيامة، وفيه ضعفٌ من وجوهٍ:

أحدُها: أنَّ قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ لا يمكنُ حملُه على القيامةِ وقد اجتمعَ الخلقُ عن آخرهم.

---

(١) في (و): «عن».

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٥)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

والثّاني: أنّه سبحانه قال في حقّهم: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وحياةُ أهلِ الجنّةِ نشعرُها قطعًا.

والثّالث: أنَّ الرِّزقَ في الجنّةِ عامٌّ لأهلِ الجنّة، فلا يبقى لتخصيصِ الشُّهداء فائدةٌ.

* * *

(١٧٠) ـ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿فَرِحِينَ﴾: مسرورينَ.

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: من النَّعيمِ والكرامةِ.

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: ينالونَ البُشرى.

ابنُ عيسى: الاستبشارُ: السُّرورُ بالبِشارة(١).

﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الزّجّاجُ: لم يلحقوا في الفضلِ بهم؛ لأنّهم لم يُستشهدوا إلّا أنّهم مؤمنون، فلا ينالُهم خوفٌ ولا حزنٌ(٢).

وقيل: يرجونَ لهم الشَّهادةَ؛ لينالوا مثلَ ما صاروا إليه.

﴿أَلَّا خَوۡفٌ﴾: بأن لا خوفٌ ﴿عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

* * *

(١٧١) ـ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٧١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٤٧) دون نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٩).

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: هذا مبالغةٌ في وصفِ ما هم فيه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يُوفِّرُ عليهم[١].

الكسرُ على الاستئناف، والفتحُ على العطف[٢]، ومحلُّه[٣] الخفضُ عند الخليل، والنَّصبُ عند سيبويه[٤].

***

(١٧٢) ـ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ عن قتادةَ قال: ذاك يوم أحدٍ بعد القتلِ والجراحة، وبعدما انصرفَ المشركون وأبو سفيانَ وأصحابُه، قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابه[٥]: «ألا عصابةٌ تَتَشَدَّدُ[٦] لأمرِ الله فتطلبَ عدوَّها؛ فإنَّه أنكَأُ[٧] للعَدوِّ، وأبعَدُ للسَّمعِ»، فانطلق

(١) أي: كمَّله، وجعله لهم وافراً، ولم ينقص منه شيئاً.

(٢) أي: كسر همزة (إن)، وهي قراءة الكسائي، وقرأ باقي السبعة بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٩)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٣) أي: محل المصدر المؤول من (أن) وما بعدها المعطوف على الاسم المجرور مع حذف حرف الجر؛ فالمعنى: يستبشرون بنعمة وبفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

(٤) بل محله النصب عند الخليل، وقد ذكره سيبويه، ولم يبطله، ولكنه قوَّى الجرَّ. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٤٦).

(٥) «لأصحابه» من (ن).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وذكر الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠١) أنها كذلك في مخطوطة الطبري، ورأى أنها مصحفة، وأثبت مكانها: «تنتدب».

(٧) كذا في النسخ الخطية، وفي «تفسير الطبري» (٦/ ٢٤١): أنكى، وهما لغتان. انظر: «العين» مادة (ن ك ي) (٥/ ٤١٢).

عصابةٌ ـ قيل: كانوا سبعين ـ على ما يعلم الله من الجَهْد، حتى إذا كانوا بذي الحُليفةِ جعلَ الأعرابُ والنّاسُ يأتون عليهم فيقولون: هذا أبو سفيانَ مائلٌ عليكم بالنّاس، قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: حسبُنا معونتُه ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾[1]؛ أي: أجابوا الله والرَّسولَ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: القتلُ والجرحُ؛ أي: استجابوا وهم مجروحون.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾: للّذين ابتدؤُوا أوَّلًا وحرَّضوا الباقين.

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ معاصيَ[2] الله بخروجِهم في طلبِ أبي سفيانَ.

وقيل: أحسنُوا في باقي عمرِهم.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنّةُ والنَّعيم.

* * *

(١٧٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: الرَّكْبُ الذين استقبلَهم.

وقيل: هم عبدُ القيسِ.

وقيل: بعثَ أبو سفيانَ رجلًا يُقال له: نُعيمُ بنُ مسعودٍ[3]؛ ليتعرَّفَ أخبارَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣٣) عن قتادة مرسلاً، ورواه الواحدي من طريق الثعلبي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٤١) أوَّله.

(٢) في (و): «المعاصي».

(٣) هو نعيم بن مسعود الغطفاني الأشجعي، أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، وهو الَّذِي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، فخالف بعضهم بعضًا ورحلوا عن المدينة. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ٣٢٨)، و«الإصابة» (٦/ ٣٦٣).

المسلمين ويأتيه بها، ودخلَ في غِمارِهم[١]، وجعل يذكِّرهم ما عملوا بهم، ويخوِّفهم من لقائهم، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ - والنّاسُ الأوَّلُ: نُعيمٌ، والثّاني: أبو سفيانَ وأصحابُه - فخافوهم أن تأتوهم.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾: فزادَهم اللهُ بصيرةً ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: كافينا الله ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: الوليُّ والحفيظُ الله.

وعن مجاهدٍ: إنَّما كان ذلك في بدرٍ الصُّغرى[٢]، وهي سنة أربع، وكانت وقعةُ أُحدٍ في سنة ثلاث.

* * *

(١٧٤) - ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ كان أبو سفيان واعدَ رسولَ الله ﷺ أن يوافيَه العامَ المقبلَ ببدر الصُّغرى[٣]، فخرجَ رسولُ الله ﷺ لذلك الموعد، فلم يلقَ أبا سفيان، ووافقوا سُوقًا لهم، فاتَّجروا وربحوا وانصرفوا إلى المدينةِ[٤] سالمين غانمين.

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عافيةٍ وثباتٍ على الإيمان.

---

(١) يجوز ضبط الغين بالضم والفتح، ومعنى غمار الناس: جماعتهم وكثرتهم، ويجوز الكسر، وغِمار: جمع غَمرة، ومعنى غِمار الناس: جماعاتهم. انظر: «العين» (٤/ ٤١٦)، و«تاج العروس» (١٣/ ٢٥٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٠٢).

(٣) «وهي سنة أربع وكانت وقعة أحد في سنة ثلاث ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ كان أبو سفيان واعد رسول الله أن يوافيه العام المقبل ببدر الصغرى» من (ن).

(٤) في (و): «مدينة».

﴿وَفَضۡلٖ﴾: تجارةٍ.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: قتلٌ وجرحٌ.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾: رضا الله الذي يُنال به الفوزُ في الدّارين.

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ﴾ على أوليائه ﴿عَظِيمٍ﴾.

***

(١٧٥) ـ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ الفرّاءُ: يخوِّفُكم بأوليائِه[١]؛ فحذف المفعولَ، وحذفَ الجارَّ.

ابن عيسى: التَّخويفُ يتعدَّى إلى مفعولين، والتَّقديرُ: يخوِّفُكم أولياءَه.

أبو عليٍّ: هو كقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦][٢].

الزَّجّاجُ: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: المنافقين[٣]؛ ليقعدوا عن الحربِ.

ويُحتمَلُ أنَّ الهاء تعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: يخوِّفُ أولياءَ اللهِ بجنودِه[٤]، فحذفَ المفعولَ الثّاني.

---

(١) هذا قول الفراء، وقال به كثير من المفسرين بعده، وذكر الثعلبي أن أبي بن كعب كان يقرؤها كذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٤٧٣).

(٢) لم أقف على ما نقله المصنِّف عن أبي علي، والظاهر أنَّ قول أبي علي هو قول الفراء نفسه، فقد قال في «الحجة» (٥/ ١٦٨): «يخوفهم بأوليائه»، وقال فيها (٢/ ٣٢٩): «﴿يُخَوِّفُ﴾ قد حُذف معه مفعولٌ يقتضيه تقديره: يخوّف المؤمنين بأوليائه، فحذف المفعول والجارّ...»، وهو معنى ما نقله المصنف أيضاً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩٠).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠)، واستغربه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ أي: جنودَه وأولياءَه.

﴿وَخَافُونِ﴾ في مخالفةِ أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

***

(١٧٦) ـ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ حرصًا عليه وفرحًا به.

مجاهدٌ: المنافقون(١).

وقيل: قومٌ من العرب ارتدُّوا.

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لا ينالُ أولياءَ الله من جهتِهم ضررٌ.

﴿شَيْـًٔا﴾ جاز أن يكون للمصدر؛ أي: شيئًا من الضَّررِ(٢)، وجاز أن يكونَ: بشيءٍ من الضَّررِ، فحذفَ الجارَّ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: نصيبًا من الخيرِ والنَّعيمِ؛ لكفرِهم ودوامِهم عليه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ.

***

(١٧٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: تركوا الإيمانَ واختاروا الكفرَ ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٠٧).

(٢) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٣١٢).

الآيةُ الأولى في المنافقينِ أو الأعرابِ، والثّانيةُ عامٌّ[١] في جميعِ الكفّار.

***

(١٧٨) ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾: نطوِّلُ لهم المدّةَ، من (المَلَوَيْن)، وهما اللَّيلُ والنَّهارُ؛ لطولِ تعاقبهما، وإملاءُ الكتابِ لطولِ المدّةِ في الوقوفِ عند كلِّ كلمةٍ، قاله ابن عيسى[٢].

﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ استحقُّوه.

وقيل: خيرٌ من القتلِ في سبيلِ الله.

﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ قيل: اللّامُ لامُ الإرادةِ[٣]، وقيل: لامُ العاقبة[٤]؛ كقوله:

(لِدُوا للمَوتِ وابنُوا للخَرابِ)[٥]

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولو قال: عامة، لكان أظهر.

(٢) لم أقف على قول ابن عيسى، وانظر في بعض معناه: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٨)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٨٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٤٤٢)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ٤٣٧).

(٣) لم أقف على هذه التسمية، ولعلها التي يسمونها لام كي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٣)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٥٠٥).

(٤) إلى هذا ذهب أبو علي في «التعليقة» (٢/ ٢٤٠).

(٥) أورد المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥) هذه العبارة في خبر عن كعب الأحبار يذكر فيه أن سليمان عليه السلام سُمع صوت طائر الورشان عند سليمان، فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب.

=

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قرأ حمزة: ﴿تحسبنّ﴾ بالتّاء[1]، على أنَّ ﴿أنّما﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وتقديره: ولا تحسبن[2] أنّما نملي للّذين كفروا خيرٌ، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر (أنَّ).

= وقد ذُكرت العبارة مجزَّأة في حديث رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١١٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «ينادي منادٍ كلَّ ليلة: لدوا للموت، وينادي آخر: ابنوا للخراب»، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر أيضاً: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥٢٩).

وقد جاءت العبارة في أبيات مختلفة في روايتها، ونسبتها؛ فيروى صدراً لبيت عجزه:

فكلكــم يصــير إلى ذهــاب

ويروى: إلى الذهاب، و: إلى تباب، و: إلى فوات.

ويروى:

فــما فــوق الــتراب إلى الــتراب

ويروى عجزاً لبيت صدره:

لــه ملــك ينــادي كل حــين

أما نسبة الأبيات، فلعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في «ديوانه» اعتنى به: عبد الرحمن المصطلاوي (ص: ٤٠)، ولأبي العتاهية في «ديوانه» طبعة: دار بيروت (ص: ٤٦)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٦)، ولصفي الدين الحلي في «ديوانه» طبعة: دار صادر (٣٨٦)، ولمحمود الوراق في «ديوانه» (ص: ٢٧١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (١٠/ ٣٣١)، ونُسب لبعض الملائكة أيضاً، كما في «جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٣١).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٠)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

(٢) «ولا تحسبن» من (ن).

ويجوز أن تكون التّاءُ للتَّأنيث(١)؛ كقوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ أي: ولا تحسبنَّ القوم الذين، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصفٌ للقوم؛ كقوله: ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧](٢).

***

(١٧٩) ـ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عن السُّدِّيِّ قال(٣): قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ أمَّتي في صُوَرِها كما عُرِضَتْ على آدمَ، وأُعْلِمْتُ مَنْ يؤمنُ بي ومَنْ يَكفرُ»، فبلغ ذلك المنافقين فقالوا: إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّه يعرفُ من يؤمنُ به ومن يكفرُ(٤)، ونحن معه فلا يعرفُنا، فأنزلَ الله هذه الآية(٥).

الكلبيُّ: نزلَت في قريشٍ، قالوا: يا محمَّدُ، أخبرنا بمَن يؤمنُ بك وبمَن لا يؤمنُ بك، فأنزلَ الله هذه الآية(٦).

---

(١) في كلام المصنف اختصار، فتقدير القوم لا يحلُّ الإشكال؛ لأن لفظ (القوم) مذكر، ولكن الإشكال يزول على تقدير لفظ (جماعة)؛ أي: ولا تحسبنَّ جماعة القوم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٨٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٤)، واستغربه.

(٣) في (ن): «قال السدي».

(٤) «فبلغ ذلك المنافقين فقالوا إن محمدًا يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨١٤)، لكن دون المرفوع.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وذكره ابن =

أبو العالية: سأل المؤمنون أن يُعطَوا علامةً يفرِّقون بها بين المؤمن والمنافق، فأنزلَ الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]؛ أي: الذين في عصرِ النَّبيِّ ﷺ، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ مجاهدٌ: المنافقَ من الـمُخلِص[٢].

قتادةُ: الكافرَ من المؤمن، بالشَّدائدِ والهجرةِ والجهاد[٣].

وقيل: بإخراجِ المؤمنينِ من أصلابِ الكافرين.

وقيل: يميزَ المطيعَ من العاصي.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: على غيبِ القلوب، فيقولَ: هذا مخلِصٌ وهذا منافقٌ.

السُّدِّيُّ: وما كان الله ليطلعَكم على غيبِ ما يبتليكم به من الشَّدائد[٤].

= حجر في «العجاب» (٢/ ٧٩٩) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١٠)، وفيهما: «من المؤمن».

(٣) رواه رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١١) عن ابن إسحاق بلفظ: «أي: فيما يريد أن يبتليكم به؛ لتحذروا ما يدخل عليكم فيه»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٥) عن السدي: «وما كان الله ليطلع محمدًا على الغيب، ولكن الله اجتباه فجعله رسولًا»، وهذا الذي نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٠)، والله أعلم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيُطلعُه ويُعلمُه من الغيبِ؛ بعضَ ما قد مَضى وبعضَ ما يأتي؛ ليكون تمييزًا له عن غيرِه؛ كقوله: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ومعنى ﴿يَجۡتَبِي﴾: يصطفي، وأصلُ الاجتباء: الجمعُ، كأنَّه يجعلُ الشَّيءَ له بأجمعِه.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بصفةِ الإخلاص.

﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ النِّفاقَ، ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(١٨٠) ـ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ في سببِ النُّزولِ: جمهورُ المفسِّرينَ على أنَّ الآيةَ نزلَت في مانعي الزَّكاة(١).

وروى عطيّةُ عن ابن عبّاسٍ: أنَّها نزلَت في أحبارِ اليهودِ الذين كتموا صفةَ محمَّدٍ عليه السَّلام ونبوَّتَه(٢).

---

(١) نقل الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٣) إجماع المفسرين على ذلك، وروى البخاري (٤٥٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالًا فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية. وسيذكر المصنف حديثًا نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٠٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم =

وأرادَ بالبخلِ: كتمانَ العلمِ الذي(١) آتاهم الله.

وقيل: نزلَت في منعِ الإنفاقِ في سبيل الله.

مَن قرأ بالتّاءِ(٢) فتقديرُه: لا تحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله مِن فضلِه البخلَ ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾، فاكتفى بالفعلِ عن ذكرِ المصدرِ؛ كقولِه: من صدق كان خيرًا له(٣).

و﴿هُوَ﴾ للفصلِ والعمادِ(٤)، وليسَ له محلٌّ من الإعراب(٥)، وذهبَ عليٌّ الواحديُّ إلى أنَّ ﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن البخلِ، وهو غيرُ جائزٍ من وجهين(٦).

﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: البخل ﴿شَرٌّ لَّهُمْ﴾؛ لأنَّهم يستحقُّون عليه العقاب.

= في «تفسيره» (٣/ ٨٢٦) بلفظ: «يعني بذلك أهل الكتاب؛ أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس».

(١) «الذي»: ليس في (و).

(٢) قرأ حمزة بالخطاب فيها، وباقي العشرة بالغيب. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤).

(٣) انظر: «شرح كتاب سيبويه» للرماني (ص: ٧٨٩).

(٤) الفصل مصطلح البصريين، والعماد مصطلح الكوفيين، وقد بيَّنه سيبويه بقوله: «واعلم أن ما كان فصلاً لا يُغيِّر ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يُذكَر». انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٥٨).

(٥) على القراءتين، كما ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥).

(٦) إنما ذهب الواحدي إلى ذلك في قراءة من قرأ بالتاء، وقد سبق إلى إيراد هذا الاحتمال الفراء، والزجاج مع عدم استحسانه لهذا الوجه، وقد ذكر المصنف قول الواحدي في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وعدَّه من العجائب، ثم قال: «هذا منه سهو»، ولكن لم يبيِّن وجهي عدم جوازه، وقد بيَّن أبو حيان وجه ذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، وللزجاج (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ٣٩٢ و٥١٩) و(٦/ ٢١٧) و(١٣/ ٢٦٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٥١).

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ﴾ عن أبي وائلٍ، عن[1] عبدِ الله، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قال: «ما مِن رجلٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِه إلَّا جُعِلَ له[2] شجاعٌ في عنقِه يومَ القِيامةِ»، ثمَّ قرأ علينا مِصداقَ ذلك من كتابِ الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ﴾[3].

المؤرِّجُ: يُلزَمُون أعمالَهم مثلَ ما يلزمُ الطَّوقُ العنقَ[4].

ابنُ بحرٍ: سيعودُ عليهم وبالُه، فيصيرُ طوقًا في العنق.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فلا يبقى المالُ ولا المالكُ، بل تصيرُ الأموالُ إليه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾؛ أي: بما تعملون من المنعِ والإعطاءِ خبيرٌ عالمٌ، فيجازيكم على استحقاقِكم.

* * *

(١٨١) ـ ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قال عكرمةُ والسُّدِّيُّ ومقاتلٌ: دخلَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ذاتَ يومٍ بيت مِدْراسِ اليهود، فوجدَ ناسًا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجلٍ منهم يُقالُ له:

---

(١) «وائل عن» من (ن).

(٢) «له» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (٣٠١٢)، والنسائي (٢٤٤١)، وابن ماجه (١٧٨٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، و(شجاع) في هذه الرواية بالرفع، وهي نائب فاعل، والفعل متعد إلى مفعول واحد، والمعنى: جعل الله له شجاعاً، وجاءت كلمة (شجاع) في روايات أخرى بالنصب، وهي مفعول ثان للفعل (جعل) بمعنى: جعل الله المالَ شجاعاً.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٢١).

فنحاصُ بنُ عازوراء، وكان من علمائهم، فقال أبو بكرٍ لفنحاص: اتَّقِ الله وأسلم وآمن وأقرض الله قرضًا حسنًا يدخلْكَ الجنّةَ ويضاعفْ لك الثَّواب، فقال فنحاص: تزعمُ أنَّ ربَّنا يستقرضُنا أموالنا، فإنَّ الله إذًا لفقيرٌ ونحن أغنياء، فغضب أبو بكرٍ وضربَ وجهَ فنحاصَ ضربةً شديدةً، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهدُ الذي بيننا وبينكم لضربتُ عنقَك يا عدوَّ الله، فذهب فنحاصُ إلى رسول الله عليه السَّلام فقال: يا محمَّد، انظر ما صنعَ بي صاحبك! فقال لأبي بكرٍ: «ما الذي حملَكَ على ما صنعْتَ؟» فقال: إنَّ عدوَّ الله قال قولًا عظيمًا، زعم أنَّ اللهَ فقيرٌ وأنَّهم أغنياء، فغضبْتُ لله وضربْتُ وجهَه، فجحدَ فنحاصُ، فأنزلَ الله ردًّا على فنحاص وتصديقًا لأبي بكرٍ الصِّدِّيق[(١)]: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[(٢)].

﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهم أنكروا أنَّ قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] كلامُ الله، ولم يعتقدوا أنَّ اللهَ فقيرٌ وهم أغنياء.

والثَّاني: أنَّهم اعتقدوا ذلك؛ لأنَّهم اعتقدوا في الأجسام أنَّها لا يمكن الزِّيادة فيها، واعتقدوا في المال أنَّه لا يمكنُ في القدرة تغييرُه، وأنَّ الذَّهبَ والفضّةَ قد حصلا في الأيدي، فعند ذلك قالوا: إنَّ الله فقيرٌ[(٣)].

---

(١) «الصديق» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٨٧)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ٢٥٦) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩) عن السدي مختصرًا، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣١٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، واستغربه.

الثّالثُ: استبطؤوا الرِّزقَ من قِبَلِ الله فقالوا: ما[1] يجدُ ما يُعطينا.

ورُويَ عن بعضِ القرّاء الوقفُ على قوله: ﴿فَقِيرٌ﴾، والابتداءُ بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[2]، فيكون: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ استئنافَ كلامٍ من الله رادًّا[3] عليهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾؛ أي: في كتابِ الحَفَظة.

وقيل: سنحفظُ ما قالوا حتى يُجازَوا بها.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ فإنّهما في العِظَمِ وموجِبِ الكفرِ سواءٌ.

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾؛ أي: المحرق.

و﴿الْحَرِيقِ﴾: الملتهبُ من النّار.

* * *

(١٨٢) ـ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ والإحراقُ بالنّارِ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾: بسببِ ما قدّمت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ من قتلِ[4] الأنبياءِ وقولِكم: إنَّ الله فقيرٌ، وسائرِ معاصيكم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ﴾: وبأنَّ اللهَ ليسَ ﴿بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وذكرَ (الظَّلَّام) بلفظِ المبالغةِ لأنَّ (العبيدَ) جمعٌ[5].

---

(١) في (ن): «لا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وذكر النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ١٥٥) أن نافعاً كان يرى الوقف على ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

(٣) في الأصل: «ورد».

(٤) في (و): «بقتل».

(٥) أي: أن جمع الكثرة في (العبيد) ناسب الكثرة في (ظلام)، وقيل: إن نفي كثير الظلم يستلزم نفي =

(١٨٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ قال الكلبيُّ: نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ ومالكِ بن الصَّيفِ ووهبِ بنِ يهوذا وزيدِ بن التّابوتِ وفنحاصَ بنِ عازوراءَ وحييِّ بن أخطبَ أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: تزعمُ أنَّ الله بعثَك إلينا رسولًا وأنزلَ عليك كتابًا، وإنَّ الله قد عهدَ إلينا في التَّوراةِ أن لا نؤمنَ لرسولٍ يزعمُ أنَّه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربانٍ تأكلُه النّار، فإن جئتَنا به صدَّقناك، فأنزلَ الله هذه الآية[1].

ومعنى ﴿عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾: أمرَنا ووصّانا في التَّوراة.

﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ﴾: ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ من ذَبيحةٍ أو غيرها.

و(القُربانُ) مصدرٌ كـ(الغُفران)، جُعل اسمًا كـ(البرهان).

﴿تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقُه وتُحيلُه إلى طبعِها.

وكان بنو إسرائيلَ إذا قرَّبوا قربانًا أو غنموا غنيمةً جاءت نارٌ بيضاءُ من السَّماء لا دخانَ لها، ولها دويٌّ وحفيفٌ، فتأكلُ ذاك وتحرقُه، فيكونُ علامةَ القَبول، وإذا لم يُقبَل بقيَ على حاله.

السُّدِّيُّ: إنَّ الله أمرَ بني إسرائيلَ في التَّوراة: مَن جاءكم يزعمُ أنَّه رسولُ الله فلا

= قليله، وقيل: إن صيغة المبالغة لا تدل إلا على ما يدل عليه اسم الفاعل في سياق النفي. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٨/ ١٤٢)، و«الفلك الدائر» لابن أبي الحديد (٤/ ٢٦٨)، و«معترك الأقران في إعجاز القرآن» للسيوطي (١/ ٣٢٦).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٤).

تُصدِّقوه حتّى يأتيَكم بقُربانٍ تأكلُه النّارُ حتى يأتيَكم المسيحُ ومحمَّدٌ، فإن أتياكم فآمنوا بهما، فإنَّهما يأتيان بغيرِ قُربانٍ[1].

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزاتِ سوى القُربانِ، ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾؛ أي: بالقُربانِ، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ كيحيى بن زكريا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولونَه من أنَّكم تتَّبعون ما أُمرتُم؟ فقد ظهرَ كذبُكم وبانَ عنادُكم.

ثم عزَّى نبيَّه فقال:

(١٨٤) - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يعني: اليهودَ، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: جمعُ زَبورٍ.

الزَّجّاجُ: كلُّ كتابٍ ذي حكمةٍ فهو زَبورٌ، من (الزَّبْرِ)، وهو الكتابةُ والقِراءة[2].

وقيل: من (زَبَرَه)؛ أي: دَفَعَه.

والزُّبُرُ: الأحكامُ أيضًا[3].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ والإنجيلِ وغيرِهما.

﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: الواضحِ الهادي إلى الطَّريق.

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥١٢)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩٥)، وانظر أيضاً: «تاج العروس» مادة (ز ب ر) (١١/ ٣٩٨).

(٣) «أيضًا» من (ن).

(١٨٥) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ثم خوَّفهم بالموتِ والوصولِ إلى الجزاء؛ أي: كلُّ حيٍّ يموتُ، و(الذَّوْقُ) للمطعوم، ثم يُستعمَل لإدراكِ الحالات.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾: تُعْطَون ﴿أُجُورَكُمْ﴾: جزاءَ أعمالِكم وافيةً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ فإنَّه دارُ الجزاء.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ بُعِّدَ عن جهنَّمَ، ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفرَ بالخير.

ابنُ عيسى: الفوزُ: الظَّفرُ بالخير بدلًا من الوقوعِ في الشَّرِّ[1].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: لذّاتُها وزخارفُها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ تغرُّ الإنسانَ وتوقعُه في الغفلة.

والغُرورُ: مصدرُ (غرَّه)، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ (غارٍّ)؛ أي: متاعَ الغارِّين الغافلين.

* * *

(١٨٦) ـ ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

---

(١) في «العين» (٧/ ٣٨٩): «الفوز: الظفر بالخير والنجاة من الشر»، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٩٥).

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾؛ أي: والله[١] لتبلونَّ؛ لتُختبَرُنَّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالزَّكاة، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالجهادِ، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾؛ أي: الكفّارَ ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾: ما تتأذَّون به.

قيل[٢]: هو كعبُ بنُ الأشرف، كان يهجو رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ويحرِّضُ عليهم المشركين[٣].

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفةَ أمرِ الله، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ والتَّقوى ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ما أمرَ الله تعالى.

وقيل: ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: ما بُيِّنَ رُشدُه له.

***

(١٨٧) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: العلماءَ.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ يعني: شأنَ محمَّدٍ ونعتَه، ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ عن النّاس.

وقيل: عامٌّ في العلوم والعلماء.

﴿فَنَبَذُوهُ﴾؛ أي: الميثاقَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به.

---

(١) «والله»: ليس في (و).

(٢) «قيل» من (ن).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩١) عن الزهري، ورواه أبو داود (٣٠٠٠) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه في حديث طويل.

وقيل: لم يلتفتوا إليه.

﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾: وأخذوا ببدلِه ﴿ثَمَنًا﴾: ذا ثمنٍ.

﴿قَلِيلًا﴾؛ أي: عرضًا يسيرًا.

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: يختارون لأنفسهم.

* * *

(١٨٨) ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفُوا عنه، فإذا قدمَ رسول الله عليه السلام اعتذرُوا إليه وحلفُوا، وأحبُّوا[1] أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا، فنزلَت فيهم هذه الآية[2].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في أهلِ الكتاب[3] الّذين فرحُوا بالاجتماعِ على التّكذيب بالنّبيِّ عليه السّلام وكتمانِ أمره، وأحبُّوا أن يُحمَدوا بما ليس هم عليه من أنّهم أهل نُسُكٍ وعلمٍ[4].

---

(١) في (ن): «ويحبون».

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

(٣) «أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت فيهم هذه الآية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل»: من (ن).

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٤٢)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠٣).

وروى البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨): عن ابن عباس أنه قال: «إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب»، وقال: «سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد =

وقيل: المعنى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ فرحَ أشرٍ وبطرٍ ﴿بِمَا أَتَوْا﴾ من النِّفاق والشِّرك، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا﴾ يُثنَى عليهم، ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الصَّلاة والصَّوم وسائرِ الطّاعات.

ويُحتمَلُ أنَّ الذي أتَوا به إظهارُ الإيمان، والذي لم يفعلوا الاعتقاد، وأنَّ قوله: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا﴾[1] معناه: يُدْعَون مؤمنين.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاةٍ ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ فإنَّهم كفّارٌ.

الفاءُ زائدةٌ، وقولُه: (لا تحسبنَّهم) بدلٌ من الأوَّل، والضَّميرُ المفعولُ الأوَّل، و(بمفازةٍ) الثّاني[2].

***

(١٨٩) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيءٌ.

وقيل: هو جوابٌ لهم على قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلا يعجَلُ بالعقوبة.

***

= أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه».

(١) في (و) زيادة: «بما لم يفعلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وهذا الوجه على قراءة حمزة وعاصم والكسائي الذين قرؤوا ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بتاء، أما نافع وابن عامر فقرؤوها بالياء وقرؤوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ بتاء الخطاب، ولا يجوز في هذه القراءة البدل؛ لاختلاف فاعل الفعلين. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ١٠١)، و«التيسير» (ص: ٩٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٦٧).

(١٩٠) - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: أتَت قريشٌ اليهودَ فقالوا: ما جاءكم موسى به من الآيات؟ فقالوا: عصاةٌ ويدُه بيضاءُ للنّاظرين، وأتَوا النَّصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ فقالوا: كان يُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ ويُحيي الموتى، وأتَوا النَّبيَّ عليه السَّلام وقالوا: ادعُ لنا ربَّك يجعل لنا الصَّفا ذهبًا؛ ليكون لك آيةً، فأنزلَ الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي[2] العقول.

***

(١٩١) - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ بلسانِهم وبقلوبِهم ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: مضطجعين، والمعنى: دائمًا؛ لأنَّ الإنسانَ لا يخلو من هذه الأحوال الثَّلاث.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٣١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٢٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٩): «فيه يحيى الحماني، وهو ضعيف». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٨)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٦٢): «هذا مشكل؛ فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبًا كان بمكة».

(٢) «لذوي» من (ن).

وقيل: يذكرون الله في الصَّلاة قيامًا عند القدرةِ عليه، وقعودًا عند العجزِ عن القيام، وعلى جنوبِهم عند العجز عن القعود.

وقيل: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ في الصَّلاة، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ عند النَّومِ خارجَ الصَّلاة.

وقيل: ﴿قِيَـٰمًا﴾[1] بأوامرِه، ﴿وَقُعُودًا﴾ عن زواجرِه، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: اجتنابهم مخالفةَ أمرِه ونهيِه، حكاه أقضى القضاة[2].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فعلَ المعتبِرِ المستدلِّ، ويقولون[3]: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾؛ أي: هذا الشَّيءَ.

وقيل: هذا الخلقَ.

﴿بَـٰطِلًا﴾: عبثًا لغير[4] حكمةٍ، حالٌ عن ﴿هَـٰذَا﴾[5].

﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك عن الوصفِ بخلقِ الباطل.

---

(١) «في الصلاة، وعلى جنوبهم عند النوم خارج الصلاة. وقيل: قياماً» من (ن).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من «النكت والعيون»، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٦٩): «وأبعد في التفسير مَن ذهب إلى أن المعنى» ثم ذكر كلام المصنف بلفظه، وعلَّق عليه قائلًا: «وهذا شبيه بكلام أرباب القلوب، وقريب من الباطنية»، وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٠٤).

(٣) «ويقولون» من (ن).

(٤) في (و): «بغير».

(٥) ذهب النحاس ومكي إلى أنه مفعول لأجله، وذهب الواحدي إلى أنه نعت لمصدر محذوف، وذهب الجرجاني إلى أنه منصوب بنزع الخافض، وقيل: هو مفعول ثان لـ(خلق)، وقد رجَّح أبو حيان والسمين الحلبي ما ذهب إليه المصنِّف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٤)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ١٨٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٢٥٤)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٥٥٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٧١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٥٣٣).

﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ يحتمل أن تكونَ الفاءُ عطفًا على ما تضمَّنَ (سبحان) من الفعل، أو ما تضمَّنَ النِّداء[1].

* * *

(١٩٢) ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: فضحتَه على رؤوسِ الخلائق.

الزَّجّاجُ: ألزمتَه حُجَّتَه وأذللتَه معها، وحقَّرته وقهرتَه[2].

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: من مانعٍ يمنعُهم من العذاب.

وقيل: ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: شفعاءَ يشفعونَ لهم كما للمؤمنين.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ قيل: القرآن، وقيل: محمَّد عليه السَّلام.

﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: لأجلِ الإيمانِ بالله، وقيل: إلى الإيمان، وقيل: بالإيمان.

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ تكرارُه مسألةٌ بعدَ مسألةٍ، واستكانةٌ بعد خضوعٍ.

ويحتملُ أنَّ أحدَهما للكبائر، والثّاني للصَّغائر.

ويحتملُ: ﴿اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الخالية، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: ما يقعُ منّا.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾؛ أي: على أعمالِهم.

---

(١) فيكون المعنى على الأول: نسبحك فقنا عذاب النار، وعلى الثاني: نناديك فقنا عذاب النار.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٥٠٠)، وليس فيه: «وحقرته وقهرته».

الحسنُ: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: الذين لا يُؤذون النَّمل[١].

الدِّمياطيُّ: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: الأنبياء[٢].

وقيل: المطيعون.

وقيل: ﴿اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: تركَ الطّاعات، ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: ارتكابَ المعاصي، حكاه أقضى القضاة[٣].

***

(١٩٤) ـ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ تُعبِّدوا بهذا القول؛ فإنَّ الله لا يخلفُ ميعادَه.

وقيل: دعاءٌ في معنى الخبر.

وقيل: معناه: اجعلنا منهم.

وقيل: سألوا النَّصر والظَّفر بالكفّار.

وقيل: معناه: اجعلنا من أهلِ الثَّواب لا العقاب.

﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ ابن عبّاسٍ: البعثُ بعد الموت[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٣٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف على تفسير هذه الآية في المطبوع من «النكت والعيون».

(٤) انظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ٤٣)، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٣٧) =

(١٩٥) - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ عن أمِّ سلمةَ قالت: قلتُ: يا رسول الله، لا أسمعُ اللهَ ذَكَرَ النِّساء في الهجرةِ بشيءٍ، فأنزلَ الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[1]؛ أي: أجابَ، و(أجابَ) عامٌّ، و(استجابَ) خاصٌّ في حصولِ المطلوب.

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾، بل أُثيبُ.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تبيينٌ للعامل.

﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ الذَّكرُ من الأنثى، والأنثى من الذَّكر، وكلُّكم بنو آدم.

وقيل: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ في الدِّين والنُّصرة.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أوطانَهم إلى المدينة.

وقيل: هاجروا الشِّرك.

وقيل: هاجروا قومَهم وعشيرتَهم.

= عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أي: من وحدك، وصدق بنبيك، لا تخزه»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٤) بلفظ: «﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ قال: ميعاد من قال: لا إله إلا الله».

(١) رواه الترمذي (٣٠٢٣) وفي سنده عنده رجل مبهم، وبيَّنه الحاكم في «المستدرك» (٣١٧٤)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تخريج «جامع الأصول» (٢/ ٧٦): «وليس كما قال؛ فإن سلمة بن أبي سلمة ـ وهو سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ـ لم يخرج له سوى الترمذي، ولم يوثقه غير ابن حبان».

﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ بسببِ إيمانِهم، واستولى عليهم الأعداءُ فتملَّكها[(١)].

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ بأنواعِ الأذيّاتِ من الشَّتمِ والضَّربِ ونهبِ المال.

﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ الكفّارَ ﴿وَقُتِلُواْ﴾؛ أي: منهم[(٢)].

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: لأمحونَّها.

﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أثيبهم ثوابًا بفضله.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ على الطّاعات.

***

(١٩٦) ـ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ في سببِ[(٣)] النُّزول: أنَّ الآيةَ نزلَت في مشركي مكّةَ، وذلك أنَّهم كانوا في رخاءٍ ولينٍ من العيش، وكانوا يتَّجرون ويتمتَّعون، فقال بعضُ المؤمنين: إنَّ أعداءَ الله فيما نَرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلَت هذه الآية: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾[(٤)] تحذيرًا للنَّبيِّ ﷺ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ، والمرادُ به غيرُه.

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: تصرُّفُهم ومجيئُهم وذهابُهم بالنِّعمِ فيها.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والمعنى: فتملَّكها العدو، ولو قال: فتملكوها، لكان أوضح.

(٢) المراد: بعضٌ منهم، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٦).

(٣) «سبب»: ليس في (و).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٩) دون نسبة، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٣) لمقاتل.

وقيل: غير مأخوذين[١] بالإجرام.

***

(١٩٧) ـ ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾؛ أي: تقلُّبهم متاعٌ سريعُ الانقضاء، ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

***

(١٩٨) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: انزلوها نزلًا[٢].

وقيل: هو ما يُعَدُّ للضَّيفِ من طعامٍ وشرابٍ وغيرِهما من المَبَرّات. وانتصابُه كقولِك: هو لك طِلْقًا[٣].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: الذي عند الله للأبرار خيرٌ[٤].

***

---

(١) في (و): «مأخوذ».

(٢) فهو مصدر على هذا القول، وهو قول الكسائي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٥).

(٣) الطِّلق: الحلال، يقال: هو لك طِلقًا؛ أي: حلالًا. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣). وانتصاب (طلقاً) على الحال، وذهب الفراء إلى أنه على التفسير، وهو التمييز عندنا، وذهب النحاس إلى أنه مصدر؛ أي: انتصابه على أنه مفعول مطلق. انظر: «الكتاب» (٢/ ٩١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٢١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٨٣).

(٤) «خير» من (ن).

(١٩٩) ـ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: نزلَت في النَّجاشيِّ حين صلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، فقالَ المنافقون: صلَّى على عِلجٍ نصرانيٍّ(١).

مجاهدٌ: نزلَت في عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه من المؤمنين(٢).

***

(٢٠٠) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ في سببِ النُّزول: عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرَّحمن

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٩) والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٨) عن قتادة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٨٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي إسناده نظر. ورواه البزار في «مسنده» (٦٥٥٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٢٢)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٥/ ٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٠) عن مجاهد بلفظ: «من اليهود والنصارى، وهم مسلمة أهل الكتاب»، ورجَّحه، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج: «نزلت في عبد الله بن سلام ومن معه».

أنَّه قال: لم يكن في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلام غزوٌ يُرابَطُ فيه، ولكن انتظارُ الصَّلاةِ خلفَ الصَّلاة[١].

الحسنُ وقتادةُ: اصبروا على طاعة الله[٢].

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداءَ الله.

وقيل: صابروا وَعْدِي إيّاكم.

﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعداءَكم، وقيل: رابطوا الخيل.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تُسعَدون، وتَبْقَون في[٣] الجنّة.

***

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤). وعلّق الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٨٦) على هذه الرواية فقال: «وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه». وروى الحاكم في «المستدرك» (٣١٧٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٢) عن قتادة، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٥) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٨٥) عن الحسن، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٢) عن الحسن: «أمرهم أن يصبروا على دينهم، ولا يدعوه لشدة ولا رخاء، ولا سراء ولا ضراء».

(٣) «في» من (ن).

سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

مئةٌ وسبعون وآيتان(١)، مدنيّةٌ(٢).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني(٣): أهلَ مكّةَ، وقيل: هم المؤمنون، وقيل: عامٌّ.

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: آدمَ، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾: من تلك النَّفسِ(٤) ﴿زَوۡجَهَا﴾: حوّاء، خُلِقَتْ في منامِه من الضِّلَعِ الأخيرةِ، وهي قصيرةٌ.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾: من جنسِها(٥)؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النحل: ٧٢].

---

(١) «مئة وسبعون وآيتان» من (ن).

(٢) هذا قول الجمهور إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾؛ فقد نزلت في مكة أيام الفتح، وقال النحاس: سورة النساء مكية، وقال النقاش: نزلت عند الهجرة من مكة إلى المدينة. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٧ و١٢٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٩٢ و٦٨٣).

(٣) في (و): «يقول».

(٤) «من تلك النفس» من (ن).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٢) و(٥/ ١١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٦)، والرازي في «التفسير الكبير» (٩/ ٤٧٨).

﴿وَبَثَّ﴾: ونشرَ ﴿مِنْهُمَا﴾: آدمَ وحوّاءَ.

ولا مُناقضةَ بين قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ وبين قوله: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾؛ لأنَّ مرجعَ حوّاءَ إلى النَّفس الواحدة.

﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ ذكَّرَ حملًا على الـ(جمعِ)(١).

﴿وَنِسَاءً﴾؛ أي: كثيرةً، فاكتفى بالأوَّل.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾؛ أي: يسألُ بعضُكم بعضًا، ويقول: أسألكَ بالله وأنشدكَ اللهَ.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قيل(٢): هو عطفٌ على ﴿اللَّهَ﴾؛ أي: واتَّقوا الأرحامَ فلا تقطعوها.

وقيل: عطفٌ على محلِّ الجارِّ والمجرور.

وقراءة حمزةَ(٣) عند الكوفيِّين عطفٌ على الضَّمير المجرور(٤).

وقيل: الواوُ للقسمِ(٥).

---

(١) أي: بثَّ منهما جمعاً كثيراً، رجالًا ونساء؛ فالمراد بكلمة (جمع) في كلام المصنِّف لفظها، وليس المراد معناها اللغوي أو الاصطلاحي؛ لأنَّ الحمل على الجمع المقابل للمفرد يقتضي التأنيث. انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٣٢٦).

(٢) في (و): «وقيل».

(٣) قرأ حمزة بالجر، وباقي السبعة بالفتح، وقد ردَّ المبرد والزجاج قراءة الجرِّ، وردُّه مردود. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦)، و«السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ٩٣)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٢٨٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٨٧).

(٤) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٥) ذكر هذا الوجه ابن بابشاذ في «شرح المقدمة المحسبة» (٢/ ٤٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩)، واستغربه.

وفي الوجهين بعدٌ؛ وهي مجرورةٌ[(١)] بباءٍ أخرى تقديره: وبالأرحام، فحذف، ولهذا نظائرُ[(٢)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾: حافظًا، وقيل: عالـمًا.

* * *

(٢) ـ ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: بعدَ البلوغ، وسمّاهم (يتامى) مجازًا[(٣)]؛ لفقدِهم آباءَهم في صغرهم.

وقيل: وآتوا اليتامى الآنَ أموالَهم إذا بلغوا.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ مجاهدٌ: الحرامَ من مالِ اليتيمِ ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحلالِ من أموالِكم[(٤)].

وقيل: لا تأكلوا الخبيثَ، وهو مالُ اليتيم، وتُعطوا مكانَه الطَّيِّبَ[(٥)] من مالِكم قصاصًا.

الضَّحّاكُ والزُّهريُّ: لا تأخذوا الرَّفيعَ من مالِ اليتيمِ، وهو الطَّيِّب، وتُعطوه الخسيسَ، وهو الخبيث[(٦)].

---

(١) في (و): «فهو مجرور».

(٢) انظر: «الخصائص» لابن جني (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٨٧).

(٣) «مجازا» من (ن). وهذا ما يُعرف في كتب البلاغة بتسمية الشيء باسم ما كان عليه. انظر: «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ١٣٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠).

(٥) في (و): «بالطيب».

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠) عن الزهري وابن =

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾؛ أي: مع أموالِكم.

وقيل: لا تُضيفوها إلى أموالِكم بالأكل منها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ أكلَها ﴿كَانَ حُوبًا﴾؛ أي: إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾.

ابنُ عيسى: أصله: الحَوْبُ، وهو زجرٌ للجَمل[1]، والحُوْبُ: الإثمُ؛ للزَّجرِ عنه، حابَ الرَّجلُ يحوبُ حَوبًا وحُوبًا، وقد تحوَّبَ؛ (تأثَّمَ) منه[2].

***

(٣) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ عائشةُ والحسنُ: في نكاحِ اليتامى، ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ من البالغاتِ[3].

= المسيب نحوه بلفظ: «يعطي مهزولًا ويأخذ سمينًا»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥٢) عن الضحاك: «لا تعط فاسدًا وتأخذ جيدًا»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٥).

(١) جعل ابن فارس الحاء والواو والباء أصلاً واحدًا يتشعَّب إلى إثم أو حاجة أو مسكنة، وكلها متقاربة، ولكنه رأى أنَّ قولهم في زجر الإبل: (حوب) ليست مأخوذة من أصل. انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ١١٣) مادة (ح و ب).

(٢) أي: لفظ (تحوَّب) بمعنى (تأثَّم) مأخوذ من (الحوب).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» عن عائشة رضي الله عنها، وذكره المصنف «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩) عن عائشة رضي الله عنها والحسن. وروى البخاري (٥٠٦٤)، ومسلم (٣٠١٨) عن عروة: أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قالت: «يا ابن أختي، اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها، يريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداقها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، فيكملوا الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء». وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥) عن الحسن أن المراد باليتامى: نكاح اليتامى.

قتادةُ والضَّحّاكُ في جماعةٍ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ وهمَّكم ذلك، فكذلك خافوا في النِّساء؛ لأنَّهم كانوا يتحرَّجون في اليتامى، ولا يتحرَّجون في النِّساء(١).

ابنُ عبّاسٍ: إن خِفتم(٢) الحَيفَ والحوبَ(٣) في إنفاقِكم أموالَ اليتامى، فقد حظرتُ عليكم أن تنكحوا أكثرَ من أربعٍ(٤).

مجاهدٌ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، وتحرَّجتم عن أكل أموالِهم إيمانًا وتصديقًا، فتحرَّجُوا من الزِّنى، ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾(٥)؛ أي: ما حلَّ لكم(٦).

و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن، وقيل: للمصدر.

وقيل: نكاحًا طيِّبًا حلالًا.

وأقسط: دخلَ في القِسطِ، وهو العدل.

وقيل: أقسطَ: سلبَ القَسطَ، وهو الجُور.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) عن قتادة والضحاك، وروى نحوه عن سعيد بن جبير والسدي.

(٢) «إن خفتم» من (ن).

(٣) في (و): «الخوف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٩) بلفظ: «قُصِرَ الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى». وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥) والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس رواية نحو قول قتادة والضحاك.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤).

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٨) عن الحسن: «أي: ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم».

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾؛ أي: اثنتين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، فهو معدولٌ عن معنى اثنتين اثنتين، لا عن لفظهما، والواو بمعنى (أو)، وليس للجمع[(١)].

وقيل: ثلاثُ مع مثنى، ورباعُ مع ثلاثَ، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومين[(٢)].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ بين الأربعِ والثَّلاثِ والاثنتين[(٣)] ﴿فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الجواري.

خوَّفَ أوَّلًا من نكاحِ اليتامى، وصرفَ إلى البالغاتِ من الواحدةِ إلى الأربع، ثم خوَّفَ الازديادَ منهنَّ، وقصرَ على واحدةٍ، ثم خوَّفَ من الواحدة، فرخَّصَ في الإماء.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّقليلُ منهنَّ ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ الجمهورُ: تميلوا عن الحقِّ وتجوروا.

وأصلُه: الخروجُ عن الحدِّ، ومنه (العَوْلُ) في الفريضة، والعَويلُ: الخروجُ عن الحدِّ في البكاء[(٤)]، والمعوَّلُ: المتَّكَلُ؛ خروجٌ إلى الغيرِ[(٥)] بالاتِّكال.

ورُويَ عن الشّافعيِّ في معناه: ألّا يكثرَ مَن تَعولون[(٦)].

---

(١) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٥٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٥٥٥)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠).

(٣) «والاثنتين» من (ن).

(٤) في (ن): «النداء».

(٥) في (و): «وخروج الغير».

(٦) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ١١٤)، و«تفسير الشافعي» (٢/ ٥١٦).

وأنكر ذلك قومٌ، وليسَ بالمنكر، فهو من هذا الأصل؛ أي: أدنى أن لا تتجاوزوا حدَّكم في الإنفاق[١].

* * *

(٤) ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: مهورَهنَّ، يُقالُ للمهر: صَداقٌ وصَدُقةٌ وصَدْقةٌ[٢]، وأصدقَها: أمهرَها.

﴿نِحْلَةً﴾ قتادةُ في جماعةٍ: فريضةً[٣].

وقيل: تديُّنًا.

محمَّدُ بن جريرٍ: عطيّةً واجبةً وفريضةً لازمةً[٤].

وقيل: عطيّةً.

---

(١) أثبت الأنباري في «الزاهر في معاني كلام الناس» (١/ ١٤٠) أنَّ (أعال) تأتي بمعنى: كثر عياله، وهو ما قال الشافعي، ونقله الأزهري في «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» (ص: ٢٣٢) عن الكسائي، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠) قول الشافعي، واستغربه، وأجاب أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٠٩) عن أدلة مَن ردَّ على الشافعي، وذهب ابن قيم الجوزية إلى أن كلام الشافعي لغة فصيحة، لكن قول الجمهور هو المتعين من عشرة وجوه. انظر: «تحفة المودود» (ص: ١٥ ـ ١٩).

(٢) ويقال له أيضاً: صَدَقة، وصُدُقة، وصُدْقة، وصِداق، وهي سبع لغات. انظر: «تاج العروس» مادة (ص د ق) (٢٦/ ١٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٠، ٣٨١) عن قتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٨٠).

والنُّحلُ[١] والنِّحلةُ: عطيَّةُ تمليكٍ لا عن مُثامَنةٍ، وهو أصلُ الباب.

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ مِن الصَّداق، حملٌ على المعنى[٢].

وقيل: مِن الإيتاء.

و(مِن) للتَّبيين، ووحَّد (النَّفْس) قياسًا على: عشرين درهمًا.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ ابنُ عبّاسٍ: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: بلا إثمٍ ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: بلا داءٍ[٣].

وقيل: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ في الدُّنيا بلا مطالبةٍ، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ في الآخرة بلا تَبِعةٍ.

ابنُ عيسى: مشتقٌّ من (هناءِ الإبل)[٤]، فإنَّه شفاءٌ من الجَرَب[٥].

* * *

(٥) - ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

---

(١) «والنحل» ليس في (ن). وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢).

(٢) ولذلك كان الضمير مذكراً مع أنَّ لفظ (صَدُقاتهن) مؤنث.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٣) عن أبي حمزة، ونقله الهروي في «الغريبين» (٦/ ١٩٤٤) عن أبي العباس، وهو ثعلب، عن ابن الأعرابي، وانظر: «تفسير الماتريدي» (٣/ ١٥)، و«تنوير المقباس» (ص: ٦٥). وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: «إذا كان غير إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٨٥) دون نسبة، وقد ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٥)، والهناء: ضرب من القطران، وقد هنأ الإبل: طلاها بالهناء. انظر: «لسان العرب» لابن منظور مادة (هـ ن أ) (١/ ١٨٦).

(٥) في (و): «فإنه سقاء من الإبل».

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: الأولاد، وقيل: النِّساء، وقيل: النِّساء[١] والصِّبيان الذين في حجوركم.

وليس (السَّفيهُ) هنا[٢] بوصف ذمٍّ، إنما هو الخفيفُ العقلِ ليس بالرَّزين.

﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾؛ أي: قوامًا[٣] لأبدانكم، ومعاشًا لأهلكم وأولادكم.

و(القيامُ) مصدرٌ[٤]، و(القِوام)[٥] اسمٌ، ومصدرُ (قاوم)، ومَن حذف الألف[٦] فالمرادُ به المصدرُ أيضًا، وقيل: جمعُ قيمةٍ، وزيَّفَه أبو عليٍّ[٧].

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: أطعموهم[٨]؛ أي: السُّفهاء.

﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾؛ أي: اجعلوا لهم فيها نصيبًا.

ابنُ عبّاسٍ: لا تعمدْ إلى مالِك الذي جعلَه[٩] الله لك معيشةً فتعطيَه امرأتَك أو

---

(١) «وقيل النساء» ليس في (ن).

(٢) في (و): «السفهاء هاهنا».

(٣) «قوامًا» من (ن).

(٤) في (و): «ليس مصدر». وقد ذهب الفراء والكسائي إلى أنه مصدر، وذهب الأخفش إلى أنه جمع. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠١).

(٥) في (و): «والقوم».

(٦) قرأ ابن عامر: (قِيَمًا) بغير ألف، والباقون: ﴿قِيَـٰمًا﴾، وقرأ عبد الله بن عمر في الشواذِّ (قواماً). انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٨)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٧) ذكره النحاس عن البصريين، ولم يرضه أبو علي الفارسي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠١)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ١٣٠).

(٨) «أطعموهم» من (ن).

(٩) في (ن): «جعل».

بنيك، ثم تنظرَ إلى ما في أيديهم، لكن أمسكْ ذلك وأصلحْه، وكن أنت تنفقُ عليهم في رزقِهم وكسوتِهم ومؤونتِهم[١].

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: طيبًا تطيبُ به أنفسُهم.

وقيل: الآيةُ خطابٌ لأولياء اليتيم، ومعنى ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾: أموالُ أيتامِكم التي جعلَكم الله قُوّامًا عليها؛ أي: لا تدفعوها إليهم قبلَ أوانه.

***

(٦) ـ ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾؛ أي: اختبروا عقولَهم في معرفةِ العاداتِ وتصاريفِ المعاملاتِ.

وأفادَ دخولُ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ معنى: إلى[٢]؛ أي: أُخْبُروهم[٣] على الأيَّام.

وبلوغُ النِّكاحِ[٤]: الحلمُ، وحدُّه ثمانيَ عشرة سنةً، وقيل: خمسَ عشرة سنةً.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾: علمتُم وأبصرتُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦٤).

(٢) «إلى» من (و).

(٣) في (و): «اختبرهم».

(٤) «النكاح» من (ن).

﴿رُشْدًا﴾: عقلًا، وقيل[١]: عقلًا ودينًا[٢] وهدايةً إلى المعاملة.

﴿فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾؛ أي: لا تُكثروا من الإنفاقِ من مال اليتيمِ ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسارعةً ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ فيلزمَكم تسليمُها إليهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾؛ أي: عن مالِ اليتيم، والعفَّةُ: الامتناعُ عن مقاربةِ المحرَّم.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾؛ أي: من مالِ اليتيمِ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالقرضِ وقَدْرِ الأُجرة، وما إذا بلغَ لا يَسوؤُه ذلك، أو سافرَ لأجلِه[٣]، فله أن يأخذَ قَدْرَ الحاجةِ إليه.

وقيل: نُسخَت بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠][٤].

وعن ابن عبّاسٍ: فليأكلْ من مالِ نفسِه بالمعروفِ حتى لا يُحوِجَه إلى أكل مال اليتيم[٥].

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: ندبٌ، وقيل: واجبٌ، وقيل[٦]: على ردِّ القرض.

---

(١) «عقلاً وقيل» من (ن).

(٢) في (و): «رزيناً».

(٣) «لأجله» من (ن).

(٤) ذكر ذلك النحاس، وروى أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عكسه. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (٤٣٧ ـ ٤٣٨)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ١٨٩ و٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٥) روى نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٣٨٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٨٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤)، واستغربه. وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٣) عن ابن عباس: «﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني القرض».

(٦) «وقيل» من (ن).

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: مُحاسبًا.

محمَّدُ بنُ جرير[١]: كافيًا، من قولك: حسبي[٢].

نزلَت في ثابتِ بنِ رفاعةَ، وفي عمِّه[٣].

***

(٧) ـ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ سببُ نزولِها: أنَّ أوسَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ تُوفِّي، فجاءت أمُّ كُجّةَ[٤] إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنَّ أوسَ بنَ ثابتٍ مات وترك عليَّ بناتٍ وأنا امرأتُه، وليس عندي ما أنفقُ عليهنَّ، وقد تركَ أبوهنَّ مالًا حسنًا، وهو عند سُويدٍ وعرفجةَ ابني عمٍّ له، ولم يعطياني ولا بناتِه من المال شيئًا، وهنَّ في حجري، لا يُطعمْنَ ولا يُسقينَ، ولا يُرفَع بهنَّ رأسٌ، فدعاهما رسولُ الله عليه السَّلام فقالا: يا رسول الله، ولدُها لا يركبُ فرسًا ولا يحملُ كَلًّا ولا يَنكأُ عدوًّا. وكانوا في الجاهليّةِ لا يورِّثون النِّساءَ ولا الصَّغيرَ وإن كان ذكرًا، إنَّما يورِّثون الرِّجالَ الكبار. فقال رسول الله ﷺ: «انصرفُوا حتى أنظرَ ما يُحدِثُ الله فيهنَّ»، فانصرفُوا فأنزلَ الله هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾[٥].

---

(١) في (و): «حمزة».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٦٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٥٥٠) و(٢/ ٨٣١).

(٤) ذكر ابن حجر أنها بضم الكاف وتشديد الجيم، وحُكي عن المستغفريِّ أنه قال فيها: أُمُّ كَحْلَةَ. انظر: «الإصابة» (٨/ ٤٥٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٠ ـ ٩٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٤)، وفي =

﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ يعودُ إلى (ما ترك)[1]، وقيل: إلى (النَّصيب).

﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: معيَّنًا.

و﴿نَصِيبًا﴾ نصبٌ على المصدر[2].

الزَّجّاجُ: حالٌ[3].

***

(٨) ـ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذوو قرابةِ الميت الذين لا يرثون.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم﴾: الرِّزقُ قد يُضافُ إلى غير الله كقولِه: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤][4]، وقولِه: ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾؛ أي: أعطوهم ومكِّنوهم ﴿مِّنْهُ﴾: من المقسوم.

ابنُ عبّاسٍ: نسخَتها: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١][5].

= اسـم زوج أم كجـة واسـم مَن أخذ مالـه اختلاف. انظـر: «العجاب فـي بيان الأسـباب» لابن حجر (٢/ ٨٣٤)، و«الإصابة» له أيضاً (٨/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(١) في (ن): «تركه».

(٢) هذا قول الفراء والأخفش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٧)، وللأخفش (١/ ٢٤٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٣٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤).

(٥) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٠٢) بلفظ المصنف، ورواه الطبري في «تفسيره» =

الحسنُ في جماعةٍ: ندبٌ و[١] استحبابٌ[٢].

مجاهدٌ: فرضٌ عند قسمةِ الميراثِ بما طابَت به أنفسُهم[٣].

ورُويَ عن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ هذا مخاطبةٌ للموصي؛ أي: إذا حضرَ الإيصاءَ أقرباؤه الذين لا يرثون واليتامى والمساكين فليوصِ لهم بشيءٍ[٤]، وتكون القسمةُ على هذا القول قسمةَ الثُّلُثِ[٥] الذي يضعُه حيث يشاء.

= (٦/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٧٣)، بلفظ: «وذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض، فأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، فجُعلت الصدقة فيما سمى المتوفى»، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما خلاف هذا.

(١) في (و): «ندب في».

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٠٢) عن الحسن، وعبيدة، وعروة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والزهري، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٢) عن الحسن وابن جبير، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٢٦) عن ابن عباس والحسن وابن جبير. وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٤) عن الحسن والزهري أنهما قالا: «هي محكمة».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢٦)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٢).

(٤) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢٧) أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه فلم يدع في الدار مسكينًا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه، وتلا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وعائشة رضي الله عنها حية، فذُكر ذلك لابن عباس فقال: «ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك للوصية، وإنما هذه الآية في الوصية، يريد الميت أن يوصي لهم». وانظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٣٦ و٤٣٩).

(٥) في (و): «ثلث».

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، و﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾، ﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾[1].

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ﴾: لليتامى والمساكين ﴿قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: عذرًا جميلًا وعِدةً حسنةً.

وقيل: فارزقوا الأقرباءَ واليتامى والمساكين إن كانَتِ الورثةُ بالغين، وقولوا لهم قولًا معروفًا إن كانوا صغارًا.

* * *

(٩) - ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾.

﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ للمفسِّرين فيه قولان:

قال بعضهم: هذا خطابٌ للأوصياء؛ أي: انظروا في أمر اليتامى، وافعلوا في أموالِهم ما تحبُّون أنْ يُنظَرَ بعدَكم لأولادِكم، وقيَّدَه بالآية[2] الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾.

والثّاني: أنَّه خطابٌ لـمَن يحضرُ الموصَ حالةَ الإيصاء؛ أي: لا تَحملوه على الإضرارِ بالورثةِ بصرف الأموال عنهم إلى غيرِهم، وتذكَّروا حالةَ أنفسِكم لو كنتم مكانَه ولكم أولادٌ ضِعافٌ عجزةٌ لا مالَ لهم، تخافونَ عليهم الفقرَ وسوءَ الحال، ماذا كنتم تعملون؟ فاتَّقوا الله في أن تأمرُوا أخاكم بما لو أُمِرتُم به لساءَكم ذلك.

وجوابُ (لو): ﴿خَافُواْ﴾.

---

(١) أي: يُعطى هؤلاء من النصيب الذي يأخذه الرجال والنساء.

(٢) في (ن): «في الآية».

قولُه تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: يوافقُ الحقَّ، وقيل: قَصْدًا، وقيل: عدلًا، وقيل: بإخراجِ الثُّلُثِ فقط.

والسَّدادُ[(١)]: الاستواءُ في القولِ والفعلِ جميعًا.

***

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ يريدُ: الأكلَ وغيرَه من الإنفاق.

﴿ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ سمّاه باسمِ ما يؤول إليه.

وقيل: يأكلونَ في القيامةِ نارًا، وقيَّدَه بقولِه: ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ قطعًا للمجازِ الذي يُستعمَلُ الأكلُ له، وتأكيدًا للوعيدِ.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: وسيدخلون النّارَ، تقول: صلي النّار: قاسى حرَّها، وصَلَيْتَه: شَويْتَه، وأصلَيْتَه وصلَّيْتَه: ألقيتَه[(٢)] فيها، والصَّلاء والصِّلاء[(٣)]: الوَقودُ يُصطلَى به.

والسَّعيرُ: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: (سعرتُ النّارَ)؛ إذا ألهبتَها.

***

(١) «السداد» من (ن).

(٢) في (ن): «ألقيت».

(٣) كذا في النسخ الخطية، وقال ابن ولاد والقالي والأزهري والجوهري: إذا كسرت مددت، وإذا فتحت قصرت. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٧٣)، وللقالي (ص: ٤٤٤)، و«تهذيب اللغة» مادة (ص ل ي) (١٢/ ١٦٨)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٠٤).

(١١) ـ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ عن جابرٍ قال: عادني رسولُ الله عليه السَّلام وأبو بكرٍ في بني سلمةَ يمشيان، فوجداني لا أعقلُ، فدعا بماءٍ، فتوضَّأ، ثم رشَّ عليَّ منه فأفقْتُ، فقلت: كيف أصنعُ في مالي يا رسول الله؟ فنزلَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

وقيل: نزلَت في ابنتي ثابتِ بنِ قيسٍ، وقيل: في ابنتي سعدِ بنِ الرَّبيع[2].

وقيل: في أمِّ كُجَّةَ[3].

وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يأمرُكم ويفرضُ عليكم.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجاءت المرأة بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله، فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك»، قال: ونزلت سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ الآية...»، قال أبو داود: «أخطأ بشر فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس قُتِلَ يومَ اليمامة». ورواه الترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠) على الصواب، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٩٤) عن السدي.

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾؛ أي: في أولادِ كلِّ مَن ماتَ منكم وتركَ مالًا.

والأولادُ: اسمٌ يشملُ الذَّكر والأنثى.

ثم استأنفَ فقال[1]: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ أي: نصيبُ الابنِ مِثْلا نصيبِ البنت، سواءٌ كانا اثنتين أو أكثرَ.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ يعني: الإناثَ، وقد تقدَّم ذكرُهنَّ في قولِه: ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ بالشُّمولِ، وبالصَّريحِ في قوله: ﴿مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾.

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ قيل: ﴿فَوۡقَ﴾ صلةٌ كما في قولِه: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢]، والمرادُ: التَّثنيةُ[2].

وقيل: بل المرادُ به الجمع، والتَّثنيةُ مُلحَقةٌ بالجمع؛ بدليلِ الأختينِ في قوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[3].

ومذهبُ ابنِ عبّاسٍ أنَّ حُكمَ البنتين حُكمُ بنتٍ[4].

---

(١) «فقال» من (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١١٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤)، واستضعفه.

(٣) في (و) زيادة: «أو أكثر».

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٥٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥)، وقد ذكره الزجاج قبل هؤلاء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠)، لكنه قال: «فأما ما ذكر عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت، فهذا لا أحسبه صحيحًا عن ابن عباس، وهو يستحيل في القياس؛ لأن منزلة الاثنين منزلة الجمع، فالواحد خارج عن الاثنين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٥)، واستغربه.

﴿فَلَهُنَّ﴾: للثِّنتين ﴿ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ أي: تركَ الميِّت، وقد تقدَّم ذكرُه على التَّقدير الذي سبق.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾؛ أي: الأنثى ﴿وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، والباقي من الثُّلثين أو النِّصفِ لسائرِ الورثة، فإن لم يكن، رُدَّ عليهنَّ على قَدْرِ سهامهنَّ.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾؛ أي: لأبوي الميِّت، والأبوان: الأبُ والأمُّ، ثُنِّيَ كـ(القَمَرين) و(العُمَرين)[1]، وجاز أن يكون من قولِهم: (أبٌ) للرَّجل و(أَبةٌ) للمرأة، ثم بُنِيَ، فغُلِّبَ المذكَّر[2].

﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ جعل الله نصيبَ كلِّ واحدٍ منهما السُّدسَ مع الولد، والباقي للأولاد، فإن كان الولدُ بنتًا واحدةً أخذَ الأبُ الباقي بالتَّعصيب؛ فإنَّ للأب ثلاثةَ أحوالٍ: التَّعصيب، أو الفرض، أو التَّعصيب والفرض جميعًا.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ والثُّلثان للأب بالتَّعصيب؛ إذ لا وارثَ له غيرهما؛ بدليل قوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾، وأمّا مع الزَّوجِ والزَّوجةِ فلها الثُّلثُ ممّا بقي؛ فللأمِّ ثلاثةُ أحوالٍ: ثلث المال، أو ثلث ما بقي، أو السُّدس، وقد يصيرُ سُدسُها سُبعًا وثُمنًا وتُسعًا وعُشرًا في العَوْلِ.

---

(١) أي: فهما من لفظين مختلفين، لكن غُلِّبَ أحد اللفظين على الآخر، وهذا ما يُعرف بالتغليب. انظر: «المقتضب» (٤/ ٣٢٣)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ١٣)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (١/ ٢٢٨).

(٢) أي: فهما من لفظ واحد، والتغليب للتذكير على التأنيث فقط. انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣١).

قال ابنُ عبّاسٍ: لها مع الزَّوجينِ[١] ثلثُ جميعِ المال[٢].

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾؛ أي: إن كان للميِّت اثنان من الإخوةِ والأخواتِ فصاعدًا فلأمِّه السُّدس، والأخُ الواحدُ لا يَحجُب، والأعيانُ[٣] والعَلّاتُ[٤] والأخيافُ[٥] في حجبِ الأمِّ سواءٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ: لا يَحجب أقلُّ من ثلاثةٍ[٦]؛ كقولِه في البناتِ.

ورُويَ عنه أيضًا: مَن لا يرثُ لا يَحجب، فجعلَ السَّهمَ المحجوبَ للإخوة[٧].

قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾؛ أي: هذه الأنصباءُ للورثةِ بعدَ الوصيّةِ أو الدَّين.

و(أو) لا تدلُّ على التَّرتيب، والتَّقدير: من بعد أحدِهما، وقدَّمَ الوصيّةَ في اللَّفظِ لأنَّ الوصيَّةَ مندوبٌ إليها الجميعُ، والدَّينُ يقعُ في النّادر.

---

(١) أي: لها مع كل واحد من الزوجين؛ لأن الثاني منهما هو المتوفى.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠١٨) و(١٩٠٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٠٥٨) و(٣١٠٦٣)، والدارمي في «سننه» (٢٨٧٨).

(٣) هم ولد الرجل من امرأة واحدة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٣١)، و«الفائق» للزمخشري (٣/ ٤٤).

(٤) هم ولد الرجل من أمهات شتى. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٣١)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٣٥٣).

(٥) هم ولد المرأة من آباء شتى. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٦٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٢٩٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠٢٧) و(١٩٠٢٩) عن طاوس قال: «كان ابن عباس يقول في السدس الذي حجبه الإخوة للأم: هو للإخوة، قال: لا يكون للأب، إنما تقبضه الأم؛ ليكون للإخوة».

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ: في الآخرة بالشَّفاعة، وإلحاقِ بعضٍ ببعضٍ في الدَّرجةِ(١).

مجاهدٌ: في الدُّنيا(٢).

محمَّدُ بن جريرٍ: في الدِّين والدُّنيا(٣).

وقيل: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾: الأبُ بالحفظِ والتَّربيةِ أمِ الأولادُ بالخدمةِ والشَّفقة.

ويحتمل: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ بالموتِ؛ أي: لا تدرون أيُّهم يموتُ فتنتفعوا بتركته.

ويحتمل أنَّه نهيٌ عن تمنِّي موتِ(٤) مَن ترجو ميراثَه(٥).

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن تكونَ متَّصلةً باللّامات(٦)، كقوله: هو لك طِلقًا(٧)، ويجوز أن تكونَ مصدرًا من قولِه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ المعنى: فرضَ عليكم(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٩٠).

(٣) «والدنيا» ليس في (ن). انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٧١)، ولفظه: «إنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعًا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم».

(٤) «موت» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٦)، واستغربه، وعبارته هناك: «يحتمل أنه نهي عن تمني موت من إذا مات ورثتَه».

(٦) أي: اللامات التي تقدمت في الآية، وهي: ﴿لِلذَّكَرِ﴾، ﴿فَلَهُنَّ﴾، ﴿فَلَهَا﴾، ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾، ﴿فَلِأُمِّهِ﴾.

(٧) تقدم في التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ الطِّلق الحلال، وأنَّ انتصابه على الحال، أو التمييز، أو على أنه مفعول مطلق.

(٨) وذهب الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٤) إلى أنَّ قوله: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: نصب على القطع، والقطع عنده هو الحال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في المقاديرِ التي بيَّنها في المواريث[1].

***

(١٢) - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ جعلَ ميراثَ الزَّوجِ مِثْلَي ميراثِ الزَّوجةِ على تقديرِ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، فللزَّوج الرُّبعُ مع الولد أو ولد الابن، والنِّصفُ عند عدمه، ولها أو لهنَّ الرُّبعُ أو الثُّمنُ.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ أكثرَ الصَّحابةُ في الكلالةِ، والصَّحيحُ: ما خلا الوالدَ والولدَ[2].

---

(١) في (ن): «الموت».

(٢) أي: اختلف الصحابة في الكلالة كثيراً، وهذا الذي صححه المصنف مروي عن أبي بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٩١٩٠) و(١٩١٩٢) و(١٩١٨٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٦٠٠) و(٣١٦٠٦) و(٣١٦٠٥). وانظر: «المغني» لابن قدامة (٦/ ٢٦٨).

المفضَّلُ: لأنَّهم تكلَّلوا بالميِّت؛ أي: أحاطوا به مِن جوانبه[1].

والعصبةُ: مشتقّةٌ من (عصب البدن) الذي يُمسكُ العظامَ والعروق.

واختلف أهل اللُّغة فيها[2] أيضًا، فقال بعضُهم: هم الورثة، وقال بعضُهم: هو الميِّتُ الذي لا ولدَ له ولا والد.

وانتصابُها هاهنا على الحال، وقيل: خبر ﴿كَانَ﴾.

و﴿يُورَثُ﴾ صفة ﴿رَجُلٌ﴾، فيكون الأظهرُ أنَّها الموروث.

وقُرِئَ: (يُورِثُ) بالكسر[3]، فيكون الأظهرُ[4] الوارث.

﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطفٌ على ﴿رَجُلٌ﴾.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ أرادَ لأمٍّ، وقد قُرِئَ به[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٣) دون نسبة، ونقل نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة» مادة (ك ل ل) (٩/ ٣٣٠) عن أبي العباس.

(٢) أي: في الكلالة.

(٣) قرأ الحسن (يورِثُ) بالتخفيف، وروي عن الأعمش، وقرأ عيسى بن عمر الثقفي وأبو رجاء (يورِّث) بالتشديد، وروي عن الحسن والأعمش، والقراءتان من الشواذ. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٢)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٣١)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٣١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٤٦).

(٤) «الموروث وقرئ يورث بالكسر فيكون الأظهر» من (ن).

(٥) «به» من (ن). ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧) أنَّ ذلك في مصحف ابن مسعود، ونُسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يقرأ: (أو أخت من أم)، كما روى ذلك ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٦٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٨٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٩)، وابن قدامة في «المغني» (٦/ ٢٦٨)، وقرأ أُبيٌّ رضي الله عنه أيضاً: (من الأم)، كما في «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٨٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٤٧)، وكلتاهما شاذّة لمخالفة الرسم.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ الذَّكرُ والأنثى سواءٌ.

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من واحدٍ منهم[١]، ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ من غير مزيّةٍ للذُّكور على الإناث؛ لأنَّ لفظَ (الشِّركة) عند الإطلاق يقتضي المساواةَ بين الشُّركاء.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ يحتمل أنَّ تكرارَ الوصيّةِ لاختلاف الموصِين؛ فالأوَّلُ للوالدين والأولاد، والثّاني للزَّوجة، والثّالث للزَّوج، والرّابع للكلالة.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾؛ أي: غير مُدْخِلٍ للضَّررِ على الورثةِ بإيصائه، وهو أن يوصيَ فيزيدَ على الثُّلث، أو يقرَّ بدينٍ ليس عليه، أو يقرَّ باستيفاء ما لم يستوفِ.

وانتصابُه على الحال، وذو الحال الضَّمير في ﴿يُوصَىٰ﴾.

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يجوزُ أن يَنتصبَ على المصدر وباللّام؛ كالـ(فريضة)[٢].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّةِ الموصِي ﴿حَلِيمٞ﴾ عند إضراره.

***

(١٣) - ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿تِلۡكَ﴾؛ أي: الأحكامُ التي تقدَّمت.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: فرائضُه.

ابنُ عبّاسٍ: طاعتُه[٣].

---

(١) «منهم» من (ن).

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٠). ورواه الطبري في =

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في[1] أوامرِه ونواهيه، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حالٌ مقدَّرةٌ، كقولهم: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا[2].

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَٱلَّٰتِى﴾: جمعُ (التي)؛ أي: النِّساء اللّاتي ﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الزِّنى.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: (مِن) للتَّبعيض.

﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: من المؤمنين؛ أي: اطلبُوا مَن قذفَها بأن يأتيَ بأربعة شهداءَ، خطابٌ للأزواج.

= «تفسيره» (٦/ ٤٨٩) بلفظ: «طاعة الله؛ يعني: المواريث التي سمى الله».

(١) «في» من (ن).

(٢) قال الزجاج: «أي: يدخلهم مقدَّرين الخلودَ فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مررتُ به معه بازٍ صائداً به غداً؛ أي: مقدِّراً الصيدَ به غداً. والحال المقدَّرة هي الحال التي يُقدَّر أنها ستكون كذلك، ولكنَّها غير واقعة الآن». انظر: «الكتاب» (٢/ ٤٩ ـ ٥١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧)، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ٢٧٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٣٧٥).

وقيل: واسمعوا شهادةَ أربعةٍ عليهنَّ، خطابٌ للقضاة والأولياء.

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهنَّ بالزِّنى، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾: اجعلوا بيوتَكم عليهنَّ سجنًا.

ابنُ زيدٍ: معنى: (أمسكوهنَّ في البيوت): لا تُجامعوهنَّ[١].

﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: يَمُتْنَ، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ غيرَ هذه.

ابنُ عبّاسٍ: السَّبيلُ للبكر: جلدُ مئةٍ، وللثَّيِّبِ الرَّجمُ[٢].

الحسنُ وقتادةُ: للثَّيِّب جلدُ مئةٍ والرَّجم، وللبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ[٣]؛ لما روى عبادةُ بن الصّامت: أنّي سألْتُ النَّبيَّ عليه السَّلام عن قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال: فنكسَ رأسَه ساعةً ثم رفعَه فقال: «قد جعلَ الله لهنَّ سبيلًا؛ للمُحصَنِ جلدُ مئةٍ ثم رجمٌ، وللبكرِ جلدُ مئةٍ ونفيُ سنةٍ»[٤].

قتادةُ: نسخَتها والآيةَ[٥] التي بعدَها الحدودُ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩١٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠١) عن قتادة. وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩٠٨) عن الحسن قال: «كان أول حدود النساء كن يحبسن في بيوت لهن حتى نزلت الآية التي في النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ﴾» ثم ذكر حديث عبادة الآتي، وحديث عبادة رضي الله عنه رواه مسلم من طريق الحسن.

(٤) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٥) في (ن): «نسختها الآية».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣١ ـ ٥٣٢)، والمروزي في «السنة» (٣٣٩ ـ ٣٤١)، والطبري في =

وقيل: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ بالنِّكاح.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ الحسنُ: الرَّجلُ والمرأة[١].

السُّدِّيُّ: البكران[٢]، قال: وهذه الآيةُ نزلَت في البكرين، والآيةُ الأولى في الثَّيِّبين[٣].

مجاهدٌ: الرَّجلان الزّانيان[٤].

﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ ابنُ عبّاسٍ: التَّعييرُ باللِّسانِ والضَّربُ بالنِّعال[٥].

قتادة ومجاهدٌ: التَّوبيخُ والتَّقريع[٦].

= «تفسيره» (٦/ ٥٠٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠١) عن قتادة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٠) عن الحسن وعكرمة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥).

(٣) ليس مراد المصنف أن السدي قال هذا الكلام، وإنما مراده أنه ذهب إليه، وقد سبق تخريج قول السدي في هذه الآية في التعليق السابق، وقوله في الآية الأولى رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥ـ ٨٩٦).

(٦) رواه المروزي في «السنة» (٣٣٦) عن مجاهد، و(٣٣٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٢) عنهما.

الحسنُ: هذه الآية سابقةٌ على الأولى نزولًا، فكان الأوَّلُ الأذى، ثم الحبسَ، ثم الجلدَ أو الرَّجم[١].

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ الآيةَ الأولى في السّاحقات[٢]، والثّانيةَ في أهل اللِّواط، والتي في سورة[٣] النُّور في الزّاني والزّانية[٤].

وهذا كلامٌ رائقٌ، لكنَّه خالفَ جمهورَ المفسِّرين فيه، وبناه على أصلٍ له فاسدٍ، وهو أن ليس في القرآن ناسخٌ ولا منسوخٌ.

﴿فَإِن تَابَا﴾: عن الفاحشةِ، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: داما على الصَّلاح، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾: عن إيذائهما؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: هي[٥] النَّدمُ على السَّيِّئةِ مع العزمِ على تركِ المعاودة.

﴿عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: الذَّنب.

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ مجاهدٌ وقتادةُ: كلُّ معصيةِ الله جهالة[٦].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٦٤).

(٢) هنَّ النساء اللواتي يكتفين بالنساء عن الرجال.

(٣) «سورة» ليس في (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧)، وعدَّه من العجائب، وردَّ عليه بنحو كلامه هنا، وذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩)، وذكر أدلة ابن بحر، وأدلة مَن أبطل كلامه، ثم أجاب عليها مؤيِّداً قوله، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٥٥) كلام ابن بحر، وأجاب عليه بنحو كلام المصنف.

(٥) «هي» من (ن).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣٣) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٧) عن مجاهد =

وقيل: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: بعمدٍ.

الدِّمياطيُّ: ذنبُ المؤمنِ جهلٌ، ليس بشركٍ ولا كفرٍ ولا جحودٍ[١].

وقيل: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ لا يعلمون كُنْهَ ما فيه من العقوبةِ كعِلمِ المشاهدة.

عكرمةُ: الجهالةُ الدُّنيا[٢]؛ أي: بسببِ الدُّنيا.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ: قبل أن ينظر إلى ملك الموت[٣].

وعنه أيضًا: في الصِّحّةِ قبلَ المرض[٤].

وقيل: قبلَ موتِه ولو بفُواقِ ناقةٍ[٥].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: تُقبَلُ توبتُهم، وجاء في الخبر: «إنَّ اللهَ تعالى يقبلُ توبةَ عبدِه ما لم يُغَرغِر»[٦].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

***

= وقتادة، ولفظ عبد الرزاق: «اجتمع أصحاب الرسول ﷺ، فرأوا أن كل شيء عُصي به الله تعالى فهو جهالة؛ عمدًا كان أو غير ذلك».

(١) لم أقف على تفسير الدمياطي ولا قوله، ولكن ذكر الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «يريد أن ذنب المؤمن بجهل منه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنف» (٣٥٤٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٢) بلفظ: «في الحياة والصحة»، لكنه من طريق أبي صالح.

(٥) الفُواق: هو أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يدرَّ لبنها ثم تُحلب، فما بين الحلبتين فواق. انظر: «لسان العرب» مادة (ف و ق) (١٠/ ٣١٧).

(٦) رواه الترمذي (٣٥٣٧) والإمام أحمد (٦١٦٠) وابن حبان (٦٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١٨) ـ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قيل: هم العُصاة.

الرَّبيعُ: الآيةُ الأولى في المؤمنين، وابتدأ الثّانيةَ في المنافقين، وخاتمتُها في الكافرين[١].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ لأنَّه[٢] إذا عاينَ ملكَ الموتِ ذهبَ التَّكليف، اللَّهمَّ ارزقنا توبةً نصوحًا قبلَ الموت.

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ عطفٌ على (الذين يعملون السَّيِّئات).

وفي بعض المصاحف: (ولَلَّذين) بلامين، فهو مبتدأٌ خبرُه ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾[٣]: هيَّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، من (العَتيد)، وهو الحاضر، والعَتيدةُ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٨)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن الربيع عن أبي العالية.

(٢) في (و): «أنه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٨)، واستغربه، وذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (١/ ٣٤٢)، وذكر العكبري وجه الإعراب الذي ذكره المصنف في «التبيان» (١/ ٣٤٠)، وأنكره ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٧٧٧)، وقال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٥٩): «لا بأس بالتنبيه على ما كتب موصولاً؛ لتعرف أصول الكلمات وتفكيك بعضها من بعض، فقد يقع اشتباه بسبب الاتصال على بعض الفضلاء، فكيف بغيرهم؟... والأخفش إمام النحو أعرب: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أن اللام لام الابتداء، والذين مبتدأ، وأولئك الخبر، ورأيت أبا البقاء في إعرابه ذكره أيضًا، ولا شك أنه إعراب مستقيم لولا رسم المصاحف؛ فإنها كُتبت: ﴿وَلَا﴾، فهي (لا) النافية دخلت على (الذين)، و(الذين) في موضع جر عطفًا على (الذين) في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾».

طبلـةٌ مُعـدّةٌ[١] للطِّيـب[٢]، وأجاز ابـنُ عيسـى أن يكـونَ[٣]: (أعددنا)، فقُلِـبَ الدّالُ تاءً[٤].

***

(١٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ كان أهلُ المدينة في[٥] الجاهليّة وأوَّل الإسلام إذا ماتَ الرَّجلُ وله امرأةٌ جاءَ ابنُه من غيرِها أو قريبُه من عصبته، فألقى عليها ثوبَه، [فـ]ـصارَ أحقَّ بها من نفسِها ومن غيرِه، فإن شاء تزوَّجَها بصَداقِها الأوَّل، وإنْ شاء زوَّجَها غيرَه وأخذَ صَداقها، ولم يعطها شيئًا[٦]، وإن شاء عَضَلَها وضارَّها؛ لتفتديَ منه بما ورثَتْ من الميِّت، أو تموتَ هي فيرثها.

---

(١) في (و): «معتدة».

(٢) والعتيد أيضاً: الشيء المعدُّ، والطبلة: وعاء تضع فيه المرأة الطيب. انظر: «العين» مادة (ع ت د) (٢/ ٢٩).

(٣) في (ن): «أن يقول».

(٤) لا خلاف في أن معنى أعتدنا وأعددنا واحد، ولكن الخلاف في الاشتقاق؛ فما ذكره المصنِّف أولًا يجعلها من (ع ت د)، وهو قول أبي عبيدة والبصريين، وما نقله المصنِّف عن ابن عيسى يجعلها من (ع د د)، وهو منقول عن بعض الكوفيين. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٢٠)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٥٢٠).

(٥) «المدينة في» من (ن).

(٦) «ولم يعطها شيئًا» من (ن).

ثـم إنَّ كبشـةَ بنـتَ معـنٍ الأنصاريّـةَ تُوفِّي عنهـا زوجُها أبـو قيسٍ بنُ الأسـلتِ الأنصـاريُّ، فقـامَ ابـنٌ له من غيرها اسـمُه قيـسٌ، فطـرحَ عليها ثوبَه علـى عادة أهل المدينـة قبـل الإسـلام، فـورثَ نكاحَها، ثم تركهـا[1]، فلـم يقربْها ولـم ينفـقْ عليها؛ يضارُّهـا؛ لتفتـديَ منه بمالها، فأتَتْ كبشـةُ رسـولَ الله عليه السَّـلام فذكـرَتْ حالَها، فأنزل الله الآية[2].

وقوله: ﴿تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: عينَ النِّساء؛ يريد: نكاحَها كرهًا من غير إرادةٍ من جهتِها.

وقيل: مالَ النِّساء.

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: ولا أن تعضلوهـنَّ؛ أي: تمنعوهـنَّ؛ ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾.

وقيل: تمَّ الكلام، ثم خاطبَ الأزواجَ فقال: ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهرِ؛ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما[3].

وقيل: الخطابُ لأولياءِ اليتيم.

وقيل: للمُطلِّق.

---

(١) «ثم تركها» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٠) عن عكرمة مرسلًا، وروى البخاري (٤٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك». وانظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٣).

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾: ظاهرةٍ.

الحسنُ: الزِّنى(١).

ابنُ عبّاسٍ: النُّشوز، فحينئذٍ جاز لكم أخذُ الفداء(٢).

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾: خالِقُوهنَّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بما يجبُ لها عليكم من الحقِّ.

وقيل: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ في ذلك الشَّيء، وقيل: في الكُرهِ.

﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الأولادُ الصالحون(٣).

***

(٢٠) - ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾: تطليقَ امرأةٍ وتزوُّجَ أخرى.

﴿وَءَاتَيۡتُمۡ﴾: أعطيتم ﴿إِحۡدَىٰهُنَّ﴾: إحدى الزَّوجات، وضعَها موضع الجماعة.

﴿قِنطَارٗا﴾: مالًا كثيرًا؛ يريد: المهرَ وغيرَه.

﴿فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ﴾: من القنطارِ ﴿شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ هذا إنكارٌ؛ أي: لا تأخذوا الفديةَ من التي لم تأتِ بفاحشةٍ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٨١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٢).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٥).

﴿بُهْتَانًا﴾: باطلًا. وقيل: ظلمًا. وقيل: كذبًا لما سبقَ الوعدُ يومَ العقد.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: حرامًا ظاهرًا.

* * *

(٢١) - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: وصلَ إليها بالملامسة.

ابنُ عبّاسٍ: كنايةٌ عن الجماع[١].

الفرّاءُ: كنايةٌ عن الخلوةِ وإن لم يُجامع[٢].

واشتقاقُه من (الفضاء)، فضا يفضو فضاءً؛ إذا اتَّسعَ[٣].

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: عهدًا وثيقًا.

ابنُ عيسى: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

الحسنُ في جماعةٍ: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ[٤].

الثّاني: مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: هو كلمةُ النّكاحِ التي يُستحَلُّ بها الفرج[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٨)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٦٠٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٩)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (١٠/ ١٥).

(٣) انظر: «العين» مادة (ف ض و) (٧/ ٦٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٤)، ورُوِيَ عن كثير غيره.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٠٢٧) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٥) عن مجاهد وابن زيد.

الثّالثُ: من قولِه عليه السَّلام: «أخذتُموهُنَّ بأمانةِ الله واستحللتُم فُروجَهنَّ بكلمةِ الله»[١].

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ ذُكِرَ في سببِ النُّزول: أنَّ جماعةً تزوَّجوا بحلائلِ آبائهم، منهم قيسُ بن أبي قيسٍ تزوَّج كبشةَ، وصفوانُ بن أميّةَ تزوَّجَ فاختة، ومنظورُ بنُ زبّانَ تزوَّجَ مليكه، فأنزلَ الله فيهم: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[٢].

﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: لا تتزوَّجوا بموطوءة الآباء.

ابنُ عيسى: كنكاحِ آبائِكم، فيدخلُ فيه كلُّ نكاحٍ لهم فاسدٍ؛ ولهذا قال: ﴿مَا نَكَحَ﴾ ولم يقل: (مَن نكحَ)[٣].

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ فإنَّكم لا تُؤاخذون[٤] به.

والاستثناءُ منقطعٌ.

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد قال بهذا القول الثالث عكرمة والربيع. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٤٥ـ٥٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٩) عن عكرمة.

(٣) ما ذكره المصنف عن ابن عيسى سبق إليه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٠)، فقال: «وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا كنكاحهم، كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام»، ثم ذكر أنَّ هذا الوجه أولى الأقوال بالصواب، وبيَّن أنَّ ورود (ما) في الآية جعل المعنى شاملاً لمن تزوجهن الآباء ولأنكحتهم الفاسدة في الجاهلية. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٥٢).

(٤) في (ن): «تؤخذون». بالنَّسَب

وقيل: (إلّا) هاهنا بمعنى (بعد)، كقولِه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] أي: بعد الموتة الأولى.

وقيل: لكن ما قد سلف فدعوه. وزيَّفه المفسِّرون؛ لأنَّه لم يزل محرَّمًا[1].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ هذا النِّكاح ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: حرامًا وزنًى.

﴿وَمَقْتًا﴾: بغضًا عند الله وعند المؤمنين.

تقول: مَقُتَ ـ بالضَّمِّ ـ يَمْقُتُ مَقاتةً فهو مَقيتٌ، ومَقَتَهُ يَـمْقُتُهُ مَقتًا: أبغضَه.

ابنُ عيسى: قيل: إنَّ ولدَ الرَّجلِ من امرأةِ أبيه كان يُسمَّى المقتيُّ[2].

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؛ أي: هذا النِّكاح.

* * *

(٢٣) ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

---

(١) هذا الوجه ذكره الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٠)، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٢) عن قطرب، وليس الإشكال في الاستثناء؛ فالاستثناء على هذا الوجه منقطع مثل ما اختار المصنِّف، وإنما الإشكال في كلمة (فدعوه)؛ فالمصنِّف رأى أن هذا التقدير لا يكمل المعنى مثل تقدير: (لكن ما قد سلف؛ فإنَّكم لا تُؤاخذون به) الذي اختاره.

(٢) لم أقف على من نسبه لابن عيسى، وقد ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٢١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٢)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٨٨)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٧٦) لأبي عبيدة وغيره.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: حُرِّمَ من النَّسَبِ سبعٌ، ومن الصِّهرِ سبعٌ[١].

غيرُه: سبعٌ من النَّسَب، وسبعٌ بالسَّبب[٢]؛

فالأولى: ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾، والجدّاتُ من قِبَلِ الأمِّ والأبِ داخلاتٌ معهنَّ في التَّحريم.

والثّانية: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، وبناتُ الابنِ وبناتُ البنتِ داخلاتٌ معهنَّ.

والثّالثة: ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ أرادَ: من الأوجهِ الثَّلاثة.

والرّابعة: ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾؛ أي: من الأوجه الثَّلاثة.

والخامسة: ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ من الأوجه الثَّلاثة[٣].

والسّادسة: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ من الأوجه الثَّلاثة.

والسّابعة: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ من الأوجه الثَّلاثة.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ هي المرضِعةُ، هذه الأولى من السَّبب.

والثّانية: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾، وقال ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[٤].

والثّالثة: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ هذه محرَّمةٌ بمجرَّدِ العَقْد.

---

(١) رواه البخاري (٥١٠٥).

(٢) في (و): «بالنَّسَب».

(٣) «من الأوجه الثلاثة» من (ن).

(٤) رواه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والرّابعة: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾: هي جمعُ (ربيبةٍ)، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، ودخلَه التّاء؛ لأنَّه اسمٌ لا وَصْفٌ(١).

وقولُه: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾؛ أي: في تربيتِكم على الأغلبِ، وليس بشرطٍ، وعليٌّ رضي الله عنه جعلَه شرطًا(٢).

وقوله: ﴿دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ كنايةٌ عن الجماع.

عطاءٌ: إذا خلا بها وتكشَّفَتْ له فقد دخل بها(٣).

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: لا حرجَ(٤) عليكم في أن تتزوَّجوا بناتِهنَّ.

وعليٌّ رضي الله عنه جعلَ ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ وصفًا للنِّساء المتقدِّمة والمتأخِّرة(٥)، ....

---

(١) الأصل في (فعيل) إذا كان بمعنى (مفعول) ووُصفت به أنثى ألا تلحقه علامة التأنيث، فيُقال: ملحفة جديد، فإن جُرِّد عن الوصفية لحقته، فيقال: ذبيحة، أما إذا كان (فعيل) بمعنى (فاعل) فالأصل أن تلحقه علامة التأنيث، وقد يُحمل هذا على هذا. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٧)، و«إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٢٠٠)، و«المخصص» (١/ ٣٨٩)، و«البديع» لابن الأثير (٢/ ١٤١)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٧٥)، و«شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٤/ ١٧٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٨٧)، وابن حزم في «المحلى» (٩/ ١٤٣)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٢٠): «هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه...».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٩).

(٤) في (و): «لا جناح».

(٥) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٢٦٦ و١٦٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٦) أنَّ عليًّا =

وليس ذلك بالمذهبِ؛ لأنَّ الوصفَ الواحدَ لا يقعُ على موصوفَين مختلِفَي العامل[١].

والخامسة: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾: جمعُ (حليلةٍ)، وهي المرأة، مشتقّةٌ من (يَحُلُّ) بالضَّمِّ؛ أي: تَحُلُّ معك وتَحُلُّ معها، أو من (تَحِلُّ) بالكسر؛ أي: تَحِلُّ لك وتَحِلُّ لها.

وقيَّدَ بقوله: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ نفيًا لحليلةِ المتبنَّى.

عطاءٌ: نزلَت حين نكحَ النَّبيُّ ﷺ امرأةَ زيدِ بنِ حارثةَ، فقال المشركون في ذلك[٢].

والسّادسة: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾؛ أي: والجمعُ بين الأختين في عَقْدِ[٣] النِّكاح، وكذلك الوطءُ في ملكِ اليمين، وجاء في الخبر: «لا تُنْكَحُ المرأةُ على عمَّتِها، ولا على خالَتِها، لا صغيرُها على كبيرِها، ولا كبيرُها على صغيرِها»[٤].

= رضي الله عنه قال في أم امرأة طلَّقها زوجها قبل أن يدخل بها: «هي بمنزلة الربيبة»، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٢٧) أن عليًّا رضي الله عنه قال في رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها: أله أن يتزوج ابنتها؟ قال علي: «هما بمنزلة واحدة، يجريان مجرى واحدًا؛ إن طلق البنت قبل أن يدخل بها تزوج أمها، وإن تزوج أمها ثم طلقها قبل أن يدخل بها تزوج ابنتها».

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٩) «الغريب: ذهب بعض الفقهاء إلى أنه وصف للنسائين، وهذا سهو؛ لأن الأولى مجرورة بالإضافة، والثانية مجرورة بـ(من)، ولا يجوز حمل وصف على موصوفين مختلفي العامل». وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٢)، و«البحر المحيط» (٣/ ٦٤٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٣١).

(٣) في (ن): «عقدة».

(٤) لم أقف على لفظ المصنف، وقد روى نحوه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي =

وكذلك الجمعُ بين كلِّ اثنين(١) لو كان أحدُهما ذكرًا والآخرُ أنثى حَرُمَ النِّكاحُ بينهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

والسّابعة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه، ورُويَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّه قال: أصبنا سبايا يومَ أوطاسٍ ولهنَّ أزواجٌ، فكرهنا أن نقعَ عليهنَّ، فسألنا النَّبيَّ عليه السَّلام، فنزلَت: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فاستحللناهنَّ(٢).

وإلى هذا ذهب عليٌّ رضي الله عنه وابن مسعودٍ وابن زيدٍ في جماعةٍ(٣).

= هريرة رضي الله عنه، دون قوله: «لا صغيرها على كبيرها، ولا كبيرها على صغيرها»، وروى أبو داود (٢٠٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تنكح المرأة على عمتها، ولا العمة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها، ولا الخالة على بنت أختها، ولا تنكح الكبرى على الصغرى، ولا الصغرى على الكبرى».

(١) أي: شخصين، فلذلك جاء بصيغة المذكر من أن المراد به مؤنث.

(٢) رواه مسلم (١٤٥٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٨٩) عن علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٩٠) والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري =

فيكون المعنى: وذواتُ الأزواجِ إلَّا ما ملكَت إيمانُكم بالسَّبيِ؛ فإنَّها تحلُّ بعدَ الاستبراء بحيضةٍ.

وقيل: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: ذواتُ الأزواج، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالشِّرى، وهذا على قولِ مَن قال: بيعُها طلاقُها.

وقيل: ﴿المحصنات﴾: العفائفُ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالنِّكاحِ أو ملكِ اليمين.

ورُويَ أنَّ ابنَ عبّاسٍ سُئِلَ عنها فقال: لا أدري مَنِ المعنيُّ بها(١)، وجعلَ السّابعةَ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾(٢).

قال مجاهدٌ: لو وجدتُ مَن يعرفُها لضربْتُ إليه أكبادَ الإبل(٣).

والصَّحيحُ ما جاء في سببِ النُّزولِ من ذكرِ سبايا أوطاسٍ، وأنَّها السّابعة.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كُتِبَ تحريمُ ذلك كتابَ الله، فيكونُ نصبًا على المصدر.

= في «تفسيره» (٦/ ٥٦٣) عن ابن زيد. وفرَّق الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧١) بين قولي علي وابن مسعود رضي الله عنهما فقال: «عن عبد الله: ذوات الأزواج من المسلمين والمشركين، وقال علي: ذوات الأزواج من المشركين».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٩)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤). وقد استنكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٥) هذين القولين عن ابن عباس ومجاهد، فقال: «ولا أدري كيف نُسب هذا القول إلى ابن عباس! ولا كيف انتهى مجاهد إلى هذا القول!».

وقيل: على الإغراء؛ أي: عليكم كتابَ الله[١].

وأصلُ الإحصانِ: المنعُ، ومنه: الحِصْنُ؛ لمنعِه مَن فيه، والحِصانُ من الفرسِ يمنعُ راكبَه من عَدُوِّه، والإحصانُ: التَّزوُّج؛ لأنَّه يمنعُ من غير الزَّوج، والإحصانُ: التَّعفُّف؛ لحفظِها فرجَها عمَّن[٢] لا تحلُّ له، والإحصانُ: الحرِّيّة؛ لأنَّها تمنعُ من ابتذال الرِّقِّ، والإحصانُ: الإسلام؛ لأنّه يمنعُ الدَّمَ والمالَ ويحظرُهما.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: ما سوى ما تلا عليكم.

وأصلُ (وراء) ظرف المكان، خلاف (قُدّام)، من (وريْتَ)؛ أي: سترْتَ.

وقيل: ما سوى المحرَّماتِ المذكورة ودونَ الخمس[٣].

﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ بدلٌ من ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: تبتغوا بالمهرِ أو الثَّمن[٤]، وهذا دليلٌ على أنَّ المهرَ: ما يقعُ عليه اسمُ المال[٥].

﴿مُّحْصِنِينَ﴾ بالحلالِ ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ بالزِّنى، والمسافِحُ: الذي يصبُّ ماءَه حيث اتَّفق.

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾: (ما) بمعنى: (مَن)؛ أي: مَن تمتَّعتم بهنَّ[٦] من النِّساء،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٠)، واستغربه؛ لأن ما انتصب على الإغراء لا يتقدم على ما ينصبه.

(٢) في (و): «لمنعها وجهًا على من».

(٣) لأن زواج الخامسة حرام، ولو كانت من غير المحرمات المذكورة.

(٤) في (و): «والثمن».

(٥) وهو مذهب أبي حنيفة. انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٤/ ٣٩٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢١٥).

(٦) في (و): «به».

=

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورَهنَّ ﴿فَرِيضَةً﴾: التي فرضتُم لهنَّ على ذلك.

وقيل: هو المهرُ؛ أي: ما توصَّلتُم به إلى الاستمتاعِ بهنَّ، وهو المهرُ، فآتوهنَّ إيّاه كاملًا.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: لا حرجَ عليكم في زيادةِ المهرِ ونقصانِه، وردِّه بعد نقدِه، وإبراءِ ذمَّتِه عن كلِّه أو بعضِه ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: بعدَ التَّحديد.

وقيل: هذا في النَّفقة؛ أي: لا بأسَ أن ترضى هي من النَّفقةِ بدونِ نفقةِ مثلِها؛ لأنَّ بعد إيتاء المهر لا يكونُ بينهما إلَّا قلّة النَّفقة أو كثرتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ذهبَ ابنُ عبّاسٍ وعمرانُ بنُ حُصينٍ إلى أنَّ قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ يريد: المتعةَ، وهي أن ينكحَ الرَّجلُ امرأةً إلى أجلٍ معلومٍ، فإذا انقضى الأجلُ أعطاها أجرها، ثم إن أرادها قال لها: زيديني في الأجلِ أزدْكَ في الأجر، فإن شاءَتْ فعلَتْ فأعطاها الأجر عند الأجل، وإن شاءَتْ مضَتْ لسبيلِها، ولا عِدّةَ عليها، ولا طلاقَ، ولا ميراثَ، ولا شهودَ في العقد(١).

---

(١) أما مذهب ابن عباس في المتعة فمشهور، وقد ذكره أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٧)، وقد نصَّ أبو عبيد أنه لا يُعرف عن أحد من الصحابة أنه كان يترخَّص فيها إلا ابن عباس، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قولًا يوافق الجمهور، وأما أن عمران بن حصين ذهب إلى جواز المتعة فذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٦)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٤٤٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩١)، وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه رواه البخاري (٤٥١٨) ومسلم (١٢٢٦)، لكنه في متعة الحج، لا في متعة النساء، كما دلَّت عليه ترجمة الباب عند البخاري:

وأوَّلَ ابنُ عبّاسٍ قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ على هذا، وقال: إنَّما نزلَت[1]: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجلٍ مسمًّى فآتوهنَّ أجورهنَّ)[2].

وهذا بإجماعٍ من الصَّحابةِ وأئمّةِ المسلمين حرامٌ.

وقال الحسنُ ومجاهدٌ: ما أحلَّ اللهُ المتعةَ قطُّ في كتابِه[3].

وذهبَ آخرون إلى أنَّه كان حلالًا فنُسِخ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١] وبآيةِ المواريث.

وقال الكلبيُّ: كان هذا في أوَّلِ الإسلام، أحلَّها رسولُ الله عليه السَّلام ثلاثةَ أيّامٍ ثم حرَّمَها[4].

= (باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج)، وقد جاء التصريح بذلك في رواية مسلم: «نزلت آية المتعة في كتاب الله؛ يعني: متعة الحج، وأمرنا بها رسول الله ﷺ، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء».

(١) في (و): «نزل».

(٢) روى معناه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٢١) و(١٤٠٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٦) أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما كان عنده مصحف كُتب على قراءة أُبيٍّ، وأن الآية جاءت فيه بتلك الزيادة، ونبَّه الطبري إلى عدم جواز هذه القراءة؛ لمخالفتها رسم المصاحف. وانظر: «المصاحف» لابن أبي داود (ص: ١٦٤).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٥) عن الحسن ومجاهد تفسير الاستمتاع في الآية بالنكاح. وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٤٠) عن معمر والحسن قالا: «ما حلت المتعة قط إلا ثلاثًا في عمرة القضاء، ما حلت قبلها ولا بعدها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٩).

وجاء عن عليٍّ رضي الله عنه إنكارُها على ابنِ عبّاسٍ وقال: إنَّك رجلٌ تائهٌ؛ إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن المتعة[١].

أبو عبيدةَ: نُسِخَتِ المتعةُ بالقرآنِ والسُّنّةِ جميعًا[٢].

وقيل: إنَّ ابنَ عبّاسٍ رجعَ عن قولِه بالمتعةِ في آخرِ عمره[٣].

ورُويَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال عند موتِه: اللَّهمَّ إنِّي أتوبُ إليك من قولي في المتعةِ والصَّرف[٤].

وتأويلُ قولِه: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ﴾ ما سبقَ بيانُه[٥].

* * *

(٢٥) - ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: غنًى[٦].

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٧).

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٨٠).

(٣) رواه الترمذي (١١٢٢)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٢).

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٩٨)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٤١)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٠٢).

(٥) في (و) أعيد هنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٤٦).

أبو عليٍّ في «التَّذكرة»[١]: ﴿طَوْلًا﴾: اعتلاءً، وهو أصلُ الكلمة، ومنه: الطُّولُ، والتَّطاول.

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحرائرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يريد: الإماءَ المؤمنات، والتَّقييدُ ندبٌ؛ لا أنَّه[٢] لا يجوزُ غيرُهنَّ من الكتابيّات[٣].

و﴿طَوْلًا﴾ مفعولُ ﴿لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعولٌ للطَّول، فإنَّه مصدرٌ عمل فيما بعده، هذا كلام أبي عليٍّ في «التَّذكرة»[٤].

ومَن ذهب إلى أنَّه تمييزٌ وتقديرُه: عدم طَولٍ، فسهوٌ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾؛ أي: فاكتفوا بظاهرِ إيمانها؛ فإنَّ الله هو[٥] متولِّي السَّرائر.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: لا تستنكفوا من نكاحِ الإماء؛ فكلُّكم بنو آدم.

---

(١) كتاب التذكرة كتاب كبير في مجلدات، وقيل: إنه بلغ مئة وخمساً وعشرين كراسة، وُصف بأنه من أجلِّ كتب أبي علي، ووُصف بأنه أقدم كتب أبي علي ومسودتها، وهو اليوم مفقود، لكن طُبع مختصره لابن جني باسم: مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها، ولم أقف فيه على ما نقله المصنف. وانظر: «إنباه الرواة» للقفطي (١/ ٣٠٩) و(٣/ ١٥٤)، و«مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها» لابن جني (ص: ١٢ من المقدمة وما بعدها)، و«الدر الثمين» لابن الساعي (ص: ٣٢٠)، و«كشف الظنون» (١/ ٣٨٤).

(٢) في (و): «لأنه».

(٣) وهذا مذهب الحنفية، وذهب مالك والشافعي إلى تخصيص الجواز بالأمة المؤمنة. انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٤/ ٤٥١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٩٢).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٩٤).

(٥) «هو» من (ن).

وقيل: بعضُكم من بعضٍ في الإيمان.

وقيل: فلينكحْ بعضُكم من بعضٍ؛ فيرتفع بفعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه ما قبلَه وما بعدَه.

جابرٌ وعطاءٌ: معنى قوله: ﴿طَوۡلًا﴾: هوًى[١]؛ أي: إذا هويَ أمةً فله أن يتزوَّجَها وإن كان ذا يَسارٍ.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾؛ أي: بإذن مولاها بخلاف الحرائر؛ لأنَّها مملوكةٌ لا تملكُ نفسَها.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورَهنَّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: من غيرِ نقصانٍ ومَطْلٍ ولَيّانٍ.

ويُحتمَلُ أنَّ الفائدةَ في قوله: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نفيُ ما في قوله: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾، وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾؛ لأنَّ مهرَها لسيِّدِها، وإضافتُه إليها إضافةُ سببٍ، والتَّقديرُ: وآتوا سيِّدَهنَّ[٢] أجورَهنَّ.

قوله: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾؛ أي: عفائفَ ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: زواني[٣] علانيةً ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾: زواني سرًّا، وكانت العربُ لا تستنكفُ من ذلك.

والخِدْنُ والخَدِينُ: الصَّديقُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٣) عن جابر، وعن عطاء (٦/ ٥٩٤)، لكن بشرط خوف العنت والسعاية، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٠) عن ربيعة بن عبد الرحمن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٧٢) عن جابر وابن مسعود والشعبي وربيعة وعطاء.

(٢) في (و): «وآتوهن سيدهن».

(٣) كذا في النسخ الخطية، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٢).

ابنُ بحرٍ: ﴿مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: زواني، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: المسافحات(١)؛ فسَّرَها على أصلِه(٢).

﴿فإذا أَحْصَنَّ﴾ ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ: أسلمْنَ(٣).

ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: تزوَّجْنَ(٤).

ومن ضمَّ(٥) فمعناه: زُوِّجْنَ.

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: زنًى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحرائرِ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: من الحدِّ؛ أي: خمسين جلدةً.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: نكاحُ الإماءِ ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾: الزِّنى والوقوعَ في الهلاك، وأصلُه: الشِّدّة.

﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: والصَّبرُ عن نكاحِ الإماءِ أحوطُ لكم؛ كيلا يصيرَ أولادُكم عبيدًا.

وقيل(٦): وأن تصبروا عن الزِّنى خيرٌ لكم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رخَّصَ في النِّكاح ووطءِ الإماء(٧).

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٢) قول ابن بحر، وعدَّه من العجائب، لكن بلفظ: «السواحق»، ولعلَّ الكلمة تصحفت في النسخ الخطية من (المساحقات)، والله أعلم.

(٢) انظر ما تقدم عن ابن بحر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٦٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦١٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٥٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦١١).

(٥) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٦) «وقيل» من (ن).

(٧) «في النكاح ووطئ الإماء» من (ن).

(٢٦) - ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ما يتعبَّدُكم به من الحلال والحرام اللذَين تقدَّما وغيرِهما.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾: يدلَّكم عليها ويأمرَكم بسلوكِها، وهي الطُّرُقُ التي سنَّها لأهلِ الرُّشد.

وقيل: بيَّنَ الرُّشدَ والغيَّ جميعًا؛ لِتَجْتَلبوا(١) الرُّشدَ وتجتنبوا الغيَّ.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾: يغفرَ لكم ذنوبَكم إذا اتَّبعتُم الحقَّ.

وقيل: معناه: يريدُ أن تتوبوا فيَقبَلَ توبتَكم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها(٢) ﴿حَكِيمٌ ﴾ في وصفِها(٣).

قال ابنُ عيسى: للنَّحويِّين في لامِ ﴿لِيُبَيِّنَ ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

الأوَّلُ: معناها: (أنْ)، وإنَّما يجوزُ في (أرَدْتُ) و(أُمِرْتُ)(٤)؛ لأنَّها تطلبُ الاستقبال، فلمّا كانت (أنْ)(٥) في سائرِ الأفعالِ تطلبُ الاستقبالَ استوثقوا له باللّام، وهذا قولُ الكوفيِّين(٦).

---

(١) في (و): «لتحبوا».

(٢) أي: سنن السابقين.

(٣) في (ن): «وضعها».

(٤) من قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]، و﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥]، وما شابهها.

(٥) «أن» من (ن).

(٦) قاله الفراء، ونُقل عن الكسائي، وأنكره الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦١)، وللزجاج =

والثّاني: قولُ سيبويهِ والبصريِّين: وهو أنَّ الفعلَ في هذه وأخواتِها محمولٌ على معنى المصدر؛ أي: الإرادةُ للبيان، وكذلك: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢][١].

والثّالث: على تقدير إضمارٍ؛ أي: يريدُ ما يريدُ ليُبيِّنَ لكم، وردفَ ما ردفَ لكم، وأُمرنا ما أُمرنا لنُسلمَ[٢].

ورجَّحَ[٣] الوجهَ الثّالث، وأنشد:

أُرِيـدُ لِأَنْسـى ذِكْرَهـا فَكَـأَنَّـما ... تَـمَثَّلُ لِـي لَيْلى بِكُلِّ سَـبِيلِ[٤]

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرَّرَ للتَّأكيدِ والمقابلة.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ مجاهدٌ: الزُّناة[٥].

= (٢/ ٤٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٦)، و«الكامل» له أيضاً (٣/ ٧٣)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٤٦٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

(٢) وهذا مذهب الأخفش. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٣) في (ن) زيادة: «سيبويه»، ولعل هذا من تصرُّف الناسخ، ففاعل رجَّح هو ابن عيسى الرماني، أما سيبويه فلم يذكر الوجه الثالث، ولا استشهد بالبيت.

(٤) البيت لكثير عزة، كما في «ديوانه» جمع وشرح: إحسان عباس (ص: ١٠٨)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٧٣)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ١٩٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٦)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٥٧) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ابنُ زيدٍ: كلُّ مُبْطلٍ[١]؛ لأنَّه يتَّبع شهوةَ نفسِه[٢].

وقيل: اليهودُ خاصّةً؛ لأنَّهم يُحلُّون نكاحَ الأختِ من الأب.

وقيل: ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ما[٣] حَرُمَ منها.

﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحقِّ ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾؛ أي: تستحلُّوا ما حرَّمَ الله.

***

(٢٨) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾ فأمرَكم باليُسرِ دونَ العُسرِ في النِّكاح والمواريث وسائر ما تعبَّدَكم به.

مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: في نكاحِ الإماء[٤].

﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾؛ فلا يصبرُ عن الجماع، وأباحَ له أربعَ نسوةٍ، ومِن الإماءِ ما يقدرُ عليها.

والتَّخفيفُ: التَّسهيلُ في التَّكليف[٥]، وأصلُ الكلمةِ من (خفَّةِ الوزن).

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٣).

(٢) في هامش (ن): «قول ابن زيد أظهر؛ لأنه على العموم، والموافق لظاهر اللفظ».

(٣) في (ن): «من».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٥) عن مجاهد وابن زيد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٦) عن مجاهد.

(٥) في (و): «التسهيل والتكليف».

(٢٩) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾: الغصبِ والسَّرقةِ والزِّنى والقِمارِ وسائرِ محرَّماتِ الشَّرع.

وقيل: هو أن يأكلَ مالَ نفسِه في معاصي الله.

الحسنُ وعكرمةُ: حرَّمَ بهذه الآيةِ أكلَ طعامِ الغير، فكانوا لا يَتضايفون إلى أنْ نسَخَ اللهُ بالآية في سورة النُّور: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[١].

﴿إلَّا أَنْ تكونَ تِجارةٌ﴾ الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: إلّا أن تقعَ تجارةٌ، ومَن نصبَ[٢] أرادَ: إلّا[٣] أن تكونَ التِّجارةُ تجارةً؛ أي: إلَّا أن تكونَ الأموالُ أموالَ تجارةٍ.

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ بين البائعِ والمشتري.

ويحتمل أنَّ ذِكْرَ التِّجارة للتَّراضي، فكأنَّه قال: إلّا أن يكونَ انتقالٌ عن تراضٍ يسوغُ في الشَّرع، فيدخلُ[٤] فيه سائرُ الوجوه.

وقيل: (الباطل): الزِّنى، و(التِّجارة): البيع.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتلْ بعضُكم بعضًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٧) عن الحسن وعكرمة. وروى نحوه أبو داود (٣٧٥٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالنصب، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ١٩٣)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٣) «إلا» من (ن).

(٤) في (و): «ليدخل».

وقيل: نهى عن قَتْلِ نفسِه في حالِ غضبٍ أو ضجرٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: القتلَ.

وقيل: ما نهى الله عنه من أوَّلِ السُّورةِ.

﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾؛ أي: عاديًا ظالـمًا.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخلُه.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: التَّعذيبُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: سهلًا لا يُغالَبُ.

* * *

(٣١) ـ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قيل: ﴿مَا﴾ زائدةٌ[1]، وتقديره: كبائرَ تُنهون عنه، وتذكيرُ الضَّميرِ يدفعُه[2].

وقيل: ﴿مَا تُنْهَوْنَ﴾ بدلٌ عن ﴿كَبَآئِرَ﴾، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّه يُبقي ﴿كَبَآئِرَ﴾ لا فائدةَ في ذكرها.

---

(١) في (ن): «زيادة».

(٢) في (ن): «وتذكير الضمير لا يدفعه».

والصَّحيحُ الإضافةُ؛ أي: كبائر الذُّنوب.

قوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: نغفرْ لكم الصَّغائرَ، والكبائرُ[١] يغفرُها الله تعالى بعد التَّوبة.

ابنُ مسعودٍ: الكبائرُ: كلُّ ما نهى عنه من أوَّلِ سورةُ النِّساء، إلى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ﴾[٢].

وعنه أيضًا: الكبائرُ أربعٌ: الإشراكُ بالله، واليأسُ من روح الله، والقنوطُ من رحمة الله، والأمنُ من مكر الله[٣].

ورُويَ عن أبي بكرٍ: كلُّ ما خُتِمَ بنارٍ[٤] أو غضبٍ أو لعنةٍ أو عذابٍ، فهو كبيرةٌ[٥].

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّها سَبْعٌ: الإشراكُ بالله، وقتلُ النَّفسِ التي حرَّمَ الله، وقَذْفُ المحصنة، وأكلُ مالِ اليتيم، وأكلُ الرِّبا، والفرارُ من الزَّحف، وعقوقُ الوالدين[٦].

---

(١) في (ن): «والكبيرة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٤١ ـ ٦٤٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦) وصححه، وقال الذهبي: «على شرطهما، وهو تفسير صحابي»، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٤٨)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٨٤) بلفظ: «أكبر الكبائر»، وذكره.

(٤) في (ن): «أبي بكر الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: يعني: كل ذنب ختمه الله بنار».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلى هذا ذكره عامة المفسرين، ولم أقف على مَن ذكر هذا الأثر عن أبي بكر.

(٦) روى نحوه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما ذكر السحر بدلًا من عقوق الوالدين، وقد عُدَّ عقوق الوالدين من الكبائر في عدة أحاديث، منها ما رواه =

وعن ابنِ عبّاسٍ: لأنْ تكونَ الكبائرُ سبعَمئةٍ أقربُ منها إلى أن تكونَ سبعًا[١].

وقيل: ﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: الشِّرك والكفر، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: ما سوى الشِّرك؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنَّة[٢].

***

(٣٢) ـ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مجاهدٌ قال: قالَت أمُّ سلمةَ: يا رسول الله، يغزو الرِّجالُ ولا نغزو، وإنَّما لنا نصفُ الميراث، فأنزلَ الله هذه الآية[٣].

عكرمةُ: إنَّ النِّساءَ سألْنَ الجهادَ، وقلْنَ: وَدِدْنا أنَّ اللهَ جعل لنا الغزوَ، فنُصيبُ من الأجر ما يصيبُ الرِّجال، فأُنزلَت هذه الآية[٤].

= البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئًا فقال ـ: ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤).

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١) بلفظ: «هي إلى السبعين أقرب».

(٢) «الجنة» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٢٢)، وقال: «حديث مرسل».

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٢٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧٧).

والتَّمنِّي ينقسمُ إلى حسدٍ وغِبطةٍ؛ فالحسدُ أن يتمنَّى أن يكونَ الشَّيءُ له[١] ويزولَ عن صاحبه، أو لم يكن له إذا كان ماضيًا، والغِبطةُ أن يتمنَّى أن يكونَ له مثلُه، والأوَّلُ هو المنهيُّ عنه.

الفرّاءُ: هذا أدبٌ وليس بنهيٍ[٢].

ويحتمل أنَّه نهيٌ عن الحرصِ على الدُّنيا.

وأصلُ التَّمنِّي مِن (مُنِيَ)؛ إذا قُدِّرَ[٣].

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ قيل: من ثوابِ الجهاد.

وقيل: من الميراثِ، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ الميراثَ ليس مِن كسبِ الوارث.

وقيل: من الزِّراعة والتِّجارة.

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ ممّا ينالُها من[٤] الحَبَلِ والولادة.

وقيل: من الميراث.

وقيل: من النَّفقةِ على الأزواج.

وقيل: من نفقةِ الأزواجِ[٥] عليهنَّ.

وقيل: المعنى: لكلٍّ فريقٍ نصيبٌ من نعيمِ الدُّنيا، فَلْيَقْنع به رضًا بما قُسِمَ له.

و(مِن)[٦] للبيان، لا للتَّبعيض.

---

(١) في (و): «يكون له مثله».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٠٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٢٧٦).

(٤) في (و): «في».

(٥) «وقيل من نفقة الأزواج»: ليس في (ن).

(٦) «من» من (ن).

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: لا تتمنَّوا ما للنّاس، واسألوا الله مثلَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾، فالتَّفضيلُ ثبتَ عن علمٍ وتبيانٍ[١].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: ولكلِّ تركةٍ جعلْنا ورثةً.

وقولُه: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ صفةٌ للتَّرِكة؛ أي: ولكلِّ تركةٍ ممّا ترك الوالدان والأقربون جعلنا ورثةً.

وقيل: استئنافٌ؛ أي: يُؤتَون ممّا ترك[٢].

والثّاني: ولكلِّ ميِّتٍ جعلنا ورثةً.

وقولُه: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾؛ أي: ممّا خلَّفَ، فيكون صفةً لـ﴿مَوَٰلِىَ﴾.

وفي القول الأوَّل ضعفٌ؛ لأنَّه حِيْلَ بين الموصوف وصفته بما عَمِلَ في الموصوف، وفي الثّاني ضعفٌ؛ لخروج الأولاد منهم.

ويُحتمَلُ: ولكلِّ وارثٍ جعلنا شركاءَ ممّا خلَّفه الوالدان والأقربون، فأعطهم نصيبَهم ولا تستبدَّ بالتَّركةِ فعلَ الجاهليّةِ في حرمانِ النِّساء والأطفال[٣]، والله أعلم.

---

(١) في (ن): «وبيان».

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤): أن هذا التقدير يجعل القول الأول مستقيماً، أما تقدير الصفة فضعيف، كما سيأتي.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤)، واستغربه.

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ ابنُ عبّاسٍ: بالإخاءِ الذي آخى النَّبيُّ عليه السَّلام بينهم(١).

قتادةُ: كان يقولُ الرَّجلُ لصاحبه: ترثني وأرثك، وتعقلُ عنِّي وأعقلُ عنك، فنسخَها: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥](٢).

وعن ابنِ عبّاسٍ أيضًا: كان الرَّجلُ يُعاهدُ الرَّجلَ أيُّهما ماتَ قبل صاحبِه ورثَه الآخرُ(٣).

سعيدُ بنُ المسيَّبِ: بالحلفِ والتَّبنِّي(٤).

وقيل: نصيبهم من الثُّلث(٥).

وقيل: من العون والنُّصرة.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٩٢) ولفظه بتمامه: «﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾، قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ إلا النصر، والرفادة، والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠١١)، وتتمة الخبر في «المستدرك»: «فنسخ الله ذلك بالأنفال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٨١) في خبرين منفصلين، وروى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٣٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٥٣١) خبر التبني.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] يريدُ: الزَّوجَ والزَّوجة، والمرادُ بالعَقد: عقدُ النِّكاح، قال: واليمينُ: اليدُ[2] تُبذلُ عند العقد[3].

﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قيل: يعودُ إلى الكلِّ، وقيل: إلى الَّذين عقدت.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ تهديدٌ ووعيدٌ.

***

(٣٤) - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ مقاتلٌ: نزلَت في سعدِ[4] بنِ الرَّبيع، وكان من النُّقباء، وامرأتُه حبيبةُ بنتُ زيدِ بنِ أبي زُهيرٍ، وذلك أنَّها نشزَتْ عليه فلطمَها، فانطلقَ أبوها معها إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنَّه شتمَ كريمتي فلطمَها، فقال عليه السَّلام: «لتقتصَّ مِن زوجِها»، فانصرفَت مع أبيها لتقتصَّ منه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ارجِعُوا، هذا جبريلُ أتاني[5]»

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿عاقدت﴾ بألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿عَقَدَتْ﴾ بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٢) «اليد» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٦٩) دون العبارة الأخيرة.

(٤) في (ن): «سعيد».

(٥) في (و): «أتاني جبريلُ».

وأنزلَ الله هذه الآية، فقال ﷺ: «أردنا أمرًا وأرادَ الله أمرًا، والذي أرادَ الله خيرٌ»[١].

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بالتَّأديبِ، والتَّقويمِ، والأمرِ بطاعةِ اللهِ، والأخذِ على أيديهنَّ.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسببِ أنْ فَضَّلَ الرَّجلَ على المرأةِ بالعقل والدِّين.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ أي: عليهنَّ من المهرِ والنَّفقةِ وغيرهما.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعاتٌ للأزواج.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ بحفظهنَّ حقوقَ الأزواجِ في النَّفسِ والمالِ عند غيبتِهم عن الفراش.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بالَّذي حفظَ الله لهنَّ عليهم من المهرِ والنَّفقةِ والقيامِ عليهنَّ والذَّبِّ عنهنَّ.

وقيل: (ما) للمصدر؛ أي: بحفظِ اللهِ إياهنَّ.

وقيل: بما أمرَهنَّ بحفظِ ذلك[٢].

﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عصيانَهنَّ وتَرفُّعَهنَّ عن طاعةِ الأزواجِ؛ أي: علمتُم بظهورِ العلاماتِ[٣].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٠)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥١)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٦٩).

(٢) وهذا على قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع (حفظَ اللهَ) بفتح هاء لفظ الجلالة. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٨)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥).

(٣) هذا تفسير الخوف في الآية.

ابنُ عبّاسٍ: هو أن تَستخفَّ بحقِّ زوجِها، ولا تطيعَ أمرَه[١].

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: ابنُ عبّاسٍ[٢]: وعظُها أنْ يذكِّرَها بالله وبكتابِه وتعظيمِ حقِّه عليها بأمرِها بتقوى الله وطاعتِه[٣].

مجاهدٌ: يقولُ لها: اتَّقي اللهَ وارجعي إلى فراشِك[٤].

﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: هو أن يُوليَها ظهرَه في الفراش ولا يجامعَها ولا يكلِّمَها[٥].

مجاهدٌ وقتادةُ في جماعةٍ[٦]: يهجرُ فراشَها[٧].

وقيل: يجامعُها ويتركُ كلامَها، وذلك ممّا يغضبُها[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤١).

(٢) «هو أن تستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ ابن عباس» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٠) بلفظ: «يعني بالهجران: أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها»، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٣) نحوه.

(٦) «هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يجامعها ولا يكلمها، مجاهد وقتادة في جماعة» من (ن).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧٠) عن الحسن وقتادة بلفظ: «هجر مضجعها»، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦١٩) عن مجاهد بلفظ: «لا تقربوها»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٢) عنه: «لا تضاجعوهن».

(٨) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يهجرها بلسانه، ويغلظ لها بالقول، ولا يدع جماعها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) بلا نسبة، واستغربه.

وأصلُ الهجرِ: التَّركُ عن قلًى[١].

عكرمةُ والحسنُ: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾: قولوا لهنَّ هُجرًا، وهو الإغلاظُ في الكلام[٢].

محمَّدُ بنُ جريرٍ: ليس من (الهجرانِ) ولا من (الهُجْرِ)، بل من (الشَّدِّ بالهِجارِ)، وهو حبلٌ تُشدُّ به رِجلُ البعير؛ أي: اربطوهنَّ بالهجارِ في بيوتِهنَّ[٣]. وأنكرَه ابنُ عيسى[٤]، وقال: هو تعسُّفٌ لا يُحمَلُ عليه، كما لا يُحمَلُ ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ [ص: ٦] على: أكثروا مواشيكم[٥].

قال[٦]: وأصلُ الضَّجعِ: الاستلقاءُ.

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ أي: ثلاثَ ضرباتٍ بمثلِ السِّواكِ ضربًا غيرَ مبرِّحٍ ولا شائنٍ مؤثِّرٍ بحفظ التَّرتيب في الوعظ والهجران والضَّرب.

---

(١) والقلى: البغض. انظر: «العين» مادة (ق ل ي) (٥/ ٢١٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٩١) عن عكرمة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٨٢) عن عكرمة والحسن.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٧٠٤).

(٤) نقل إنكاره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥)، وقد أنكر أبو منصور الثعالبي قول الطبري أيضاً في «فقه اللغة وسر العربية» (ص: ١٧٨)، وعدَّه المصنف من العجائب، ورأى ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨) أن في كلام الطبري هذا نظراً.

(٥) يُقال: قد أمشى الرجل؛ إذا كثرت ماشيته، وقد مشت الماشية؛ إذا كثرت أولادها، وناقة ماشية: كثيرة الأولاد. هذا معنى لغوي صحيح، لكن نبه علي بن عيسى الرماني أنه لا يجوز أن نحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٣١).

(٦) «قال» من (ن).

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ بالمراجعةِ إلى المحبوب، ﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: لا تجنوا عليهنَّ العللَ ولا تظلموهنَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: إن علَت أيديكم عليهنَّ فيدُ الله أعلى، فاجتنبوا ظلمَهنَّ.

* * *

(٣٥) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: خلافًا بينَ المرءِ وزوجِه، ﴿فَٱبْعَثُوا۟﴾ قيل: الخطابُ للقاضي والسُّلطان الّذي يترافعان إليه، وقيل: للرَّجلِ والمرأة، وقيل: للرَّجل وحدَه.

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾: وسيطًا، ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾، وسُمِّيا حَكمين؛ لأنَّ الأمرَ في الإصلاحِ إلى رأيهما، والتَّفريقُ إلى الزَّوج، وقيل: إليهما.

﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا﴾؛ أي: الحكمانِ[1]، ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾: بين الرَّجلِ والمرأة، والكنايتان تحتملُ أربعةَ أوجهٍ[2].

---

(١) في (و): «الحكمين».

(٢) الكنايتان؛ أي: ألف الاثنين في ﴿يُرِيدَآ﴾ وهاء الغائب الدالة على المثنى في ﴿بَيْنَهُمَآ﴾، وقد جاء هذا صريحاً في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) فقد قال المصنِّف: «الضميران يحتملان أربعة أوجه»، لكنه لم يُبيِّن هذه الأوجه، وقد جاء في هامش (ن): «الأوجه الأربعة في ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: أحدها: في حقوق الزوجين، الثاني: في حق الحكمين، الثالث: في حق الزوجين والحكمين، والرابع: في حق الحكمين والزوجين»، وهذا فيه خلل؛ حيث جعل الوجوه الأربعة في ﴿بَيْنَهُمَآ﴾، فكان ما بعد ذلك غير واضح مع أنه مستقيم، وبيان هذا هذه الوجوه: الوجه الأول: إن يُرِدِ الزوجان إصلاحاً =

والتَّوفيقُ: الموافقةُ، وهي المساواةُ في أمرٍ ما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

***

(٣٦) ـ ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدَه ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: صنمًا وغيرَه، ويحتملُ المصدر؛ أي: إشراكًا.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾؛ أي: استوصوا بهما إحسانًا[1].

وقيل: أحسنوا بهما إحسانًا[2] في القولِ والفعلِ والإنفاقِ عليهما عندَ الاحتياج.

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: المشارِكِ في النَّسب.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: الذي[3] يجاورُك بالدّارِ من أقربائِك[4].

وقيل: ﴿الجار ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: المسلمُ.

= يوفق الله بينهما؛ أي: الزوجين. الوجه الثاني: إن يُرِدِ الحكمان إصلاحاً يوفق الله بينهما؛ أي: الحكمين. الوجه الثالث: إن يُرِدِ الزوجان إصلاحاً يوفق الله بين الحكمين. الوجه الرابع: إن يُرِدِ الحكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوجين، والله أعلم.

(١) و(إحساناً) على هذا مفعول به لفعل محذوف.

(٢) و(إحساناً) على هذا مفعول مطلق.

(٣) في (و): «للذي».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٠).

وسمِّي الجارُ جارًا لميلِه إليك، وأصلُه: الميلُ[1].

﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: البعيدُ[2] الذي لا قرابةَ له[3].

و﴿ٱلْجُنُبِ﴾ صفةٌ كـ(أُجُدٍ)[4].

وقيل: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: اليهودُ والنَّصارى.

وأصلُه التَّنحيةُ، من قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والجانبان: النّاحيتان، والجَنْبان؛ لتنحِّي كلِّ واحدٍ عن الآخر.

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الجيرانُ ثلاثةٌ: فجارٌ له ثلاثةُ حقوقٍ؛ حقُّ الجوارِ وحقُّ القَرابةِ وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقّان؛ حقُّ الجوارِ وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقُّ الجوار، وهو المشركُ من أهلِ الكتاب»[5].

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الرَّفيقُ[6].

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٤٩٣).

(٢) في (و): «ابن عباس في جماعة: الرفيق، ابن مسعود الزوجة»

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٨).

(٤) يقال: ناقةٌ أُجُدٌ: صلبة شديدة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٨٣).

(٥) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٤٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١١٣) من حديث عبد الله بن عمرو، وضعَّفه البيهقي، وروى نحوه البزار في «مسنده» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كما في «كشف الأستار» (١٨٩٦)، وفي سنده وضَّاع، كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٤)، وروى أبو نعيم حديث جابر بن عبد الله في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠٧)، وضعَّفه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ص: ٦٧٥)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٧٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٢).

ابنُ مسعودٍ: الزَّوجة[١].

ابنُ زيدٍ: المنقطعُ إليك رجاءَ خيرك، ومعنى الباءُ: اللّاصقُ بك[٢].

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: صاحبُ السَّفر؛ أي: المسافر.

قتادةُ: الضَّيف[٣].

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾؛ أي: مَن ملكَت، وهم العبيدُ والإماءُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا﴾: مُتكبِّرًا يأنفُ عن قراباتِه وجيرانِه لفقرِهم.

﴿فَخُورًا﴾: يُعدِّدُ مناقبَه كِبْرًا وتطاولًا[٤].

* * *

(٣٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ الكلبيُّ: هم اليهودُ، بخلوا أن يصدِّقوا صفةَ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بكتمانِ نعتِه[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٣)، عن علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٣٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥) بلفظ: «الذي يلصقُ بك وهو إلى جنبك، ويكون معك إلى جنبك رجاء خيرك ونفعك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ابن السبيل هو: الضيف الذي ينزل بالمسلمين» ثم قال: «وروي عن سعيد بن جبير وقتادة نحو ذلك».

(٤) في (و): «أو تطاولا».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٢).

مجاهدٌ: هذه الآيات إلى قوله: ﴿عَلِيمًا﴾ نزلَت في اليهود(١).

ابنُ عبّاسٍ وابنُ زيدٍ: نزلَت في جماعةٍ من اليهود، كانوا يقولونَ للأنصار: لا تنفقُوا أموالَكم؛ فإنّا نخشى عليكم الفقرَ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾(٢)؛ أي: بالمالِ وببيانِ صفةِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ وهو منعُ الواجب.

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: يكتمون ما عندهم من العلمِ بصحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: يكتمونَ غناهم، ولا يَعترفون به؛ فيلزمُهم الإفضالُ.

وقيل: يكتمون كتمانَ مُنْكِرٍ.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾: هيّأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

ومحلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ على الصِّفة(٣)، أو الذَّمِّ(٤)، أو رفعٌ على البدلِ من الضَّميرِ في (فخور)(٥)، أو على الاستئناف.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣ ـ ٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه عن ابن زيد، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣١٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٢).

(٣) أي: صفة (مَن)، وقد أجاز هذا أبو حيان وقال: «ولم يذكروا هذا الوجه». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٣٦).

(٤) أي: منصوب بفعل محذوف تقديره: أذمُّ. انظر: «الكتاب» (٢/ ٧٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٠٩).

(٥) أي: بدل من الضمير (هو) المقدر في كلمة (فخور) العائد على (مَن)، وقيل: هو في موضع نصب على البدل من (مَن) نفسها. انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي (٢/ ١٣٢٤)، و«إعراب مشكل =

(٣٨) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الزَّجّاجُ: هم المنافقون[1].

مجاهدٌ: اليهودُ[2].

وقيل: عطفٌ على (الكافرين) ومحلِّه[3].

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: فِعالٌ من (الرُّؤية).

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾: مُقارِنًا لاصقًا، من (قرنْتَ الشَّيء بالشَّيء).

وقيل: في النّار[4].

﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾؛ أي: جُعل مذمومًا.

* * *

(٣٩) - ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

= القرآن» له (١/ ١٩٧).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٣).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وعادة المصنف أن يذكر قولًا أولًا ثم يذكر غيره مبتدئاً بكلمة (وقيل)، ولم يذكر هنا - وفي مواضع ستأتي - إلا وجهاً واحداً، وهذا الوجه ذكره الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢١٤)، ومكي في «الهداية إلى بلوغ النهاية» (٢/ ١٣٢٧).

(٤) هذا يخالف ظاهر الآية، وهو: أن مَن اقترن به الشيطان في الدنيا وقبل منه فساء قريناً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٤).

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾: ما الذي عليهم؛ أي: لا ضررَ عليهم في ذلك.

وقيل: لا عذرَ لهم ﴿لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

ويُحتمَلُ أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾، ثمّ استأنفَ فقال: ﴿لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لكان خيرًا لهم[1]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾، فيجزيهم[2].

***

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ابنُ عيسى: لا يُنقِص، والظَّلامُ: نقصانُ النُّور، والظُّلمُ: وضعُ الشَّيء غيرَ موضعِه لانتقاصِ حقِّه، والظَّلْمُ: الثَّلْجُ لانتقاصِه بالجُمود، يُشبَّهُ به ماءُ الأسنان[3].

و﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مقدارُ ثقلِها.

أبو عبيدةَ: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: زنةُ ذرّةٍ[4].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: رأس ذرّةٍ[5].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٣٩).

(٢) «فيجزيهم» من (ن).

(٣) وهو ما يظهر عند صفاء لون الأسنان من لمعان يشبه الماء، لا الرِّيق. انظر: «العين» (٨/ ١٦٢)، و«شمس العلوم» للحميري (٧/ ٤٢٤١).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٢٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩).

والذَّرّةُ: النَّملةُ الصَّغيرةُ الحمراء، وهي أصغرُ النَّمل، من (ذَرَرتُه مسحوقًا).

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (مثقال نملةٍ)[1].

وقيل: الذَّرّةُ لا وزنَ لها.

والذَّرّةُ: ما ترفعُه الرِّيحُ من التُّراب.

وقيل: أجزاءُ الهواءِ في الكُوّة.

وقيل: الذَّرّةُ: الخَردَلة.

﴿وَإِن تَكُ﴾: تقع[2]، وحُذِفَ نونُه من غير قياسٍ تشبيهًا بحروف العلّة.

﴿حسنةٌ﴾: خيرٌ وطاعة.

﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ أضعافًا.

وقيل: يُنمِّيه على الثَّوابِ إلى ما لا غايةَ له.

واسمُ (كان) فيمن نصبَ[3] عائدٌ إلى ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أو إلى ﴿حَسَنَةً﴾.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾: من غير تحديدٍ ولا تقديرٍ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾.

---

(١) هذه قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما روى ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٤٢): «لعل ذلك على سبيل الشرح للذرة».

(٢) أي: كان تامة، وهذا على قراءة مَن رفع (حسنة).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع برفع (حسنة)، وقرأ الباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ١٦٠).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: فكيف حالُهم يومَ القيامة؛ عن ابنِ عيسى[1].

وقيل: كيف تكونُ حالُهم؟

وقيل: كيف يصنعونَ إذا جئنا؟

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾: أتباعِ نبيٍّ ﴿بِشَهِيدٍ﴾: بنبيِّهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: أمَّتِك ﴿شَهِيدًا﴾: يشهدون عليهم بإقامة الحجَّةِ عليهم.

وقيل: يشهدُ عليهم بأعمالِهم.

* * *

(٤٢) - ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: حينئذٍ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

وقيل: تقديرُه: الذين كفروا والذين عصَوا الرَّسولَ؛ أي: هم فريقان، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تبقى من غير موصولٍ.

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾؛ أي: صُيِّروا ترابًا، كقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ومَن قرأ: ﴿لو تَسَّوّى﴾ و﴿تَسَوَّى﴾[2] فالفعلُ مسندٌ إلى الأرضِ على طريقِ

(١) نقل الواحدي عن صاحب النظم الحسين بن يحيى الجرجاني أن الكلام هنا مرتَّب على ما سبق، وأنه على تأويل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، فكيف يظلمه إذا كان يوم القيامة؟ انظر: «البسيط» (٦/ ٥٢٠).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وحمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين، والباقون بضم التاء وتخفيف السين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

القلب[١]، وهو كثيرٌ؛ لأنَّهم ودُّوا لو يصيرون مثلَ الأرض، لا أن تصيرَ الأرضُ مثلَهم.

الزَّجّاجُ: يودُّون أنَّهم لن يُبعَثوا[٢].

وقيل: إذا رأوا البهائمَ صارَتْ ترابًا تمنَّوا ذلك.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل: في الدُّنيا؛ لأنَّ الله مطَّلعٌ على أسرارِهم، ولا يعتدُّ بكتمانِهم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الآخرةِ بعدَ ما نطقَتْ جوارحُهم[٣].

الحسنُ: يكتمونَ في موطنٍ ويقولون: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، ويعترفونَ في موطنٍ، ويسألونَ الرَّجعةَ إلى الدُّنيا[٤].

وقيل: لم يقصدوا الكتمانَ؛ لأنَّهم أخبروا على ما توهَّموا.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

---

(١) «القلب» من (ن)، وموضعها فارغ في (و).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٤): «يودون أنهم لم يُبعثوا».

(٣) ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: لم نكن مشركين، فيختم الله على أفواههم، فتنطق أيديهم، ولا يكتمون الله حديثًا. علَّقه البخاري قبل حديث (٤٨١٦)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢).

(٤) ذكر نحوه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٤٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ ﴾ سببُ نزولِه: أنَّ عبدَ الرَّحمن ابنَ عوفٍ رضي الله عنه صنعَ طعامًا، فدعا ناسًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فطعموا وشربوا، وحضرَت صلاةُ المغرب، فتقدَّمَ بعضُ القوم ـ قيل: هو عليٌّ رضي الله عنه، وقيل: عبد الرَّحمن ـ فصلَّى بهم المغربَ، فقرأ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ولم يُقِمْها[١]، فقرأ: **أعبدُ ما تعبدون**، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٢]؛ أي: لا تصلُّوا.

﴿وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ﴾ الجمهورُ: من الخمر.

الضَّحّاكُ: من النَّوم[٣].

ورَوت عائشةُ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا نَعَسَ الرَّجلُ وهو يصلِّي فَلْيَنصَرِفْ، لعلَّه[٤] يدعو على نفسِه وهو لا يدري[٥]»[٦].

عَبيدةُ السَّلمانيُّ: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ﴾ قال: هو الحاقنُ[٧]؛ من قولِه ﷺ: «لا يُصلِّينَّ

---

(١) في هامش (ن): «أي: لم يقرأها مستقيمة».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦) من حديث علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢١)، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢/ ١١٨): «لا أعلم أحدًا قال ذلك غيرَ الضحاك».

(٤) في (و): «فلعله».

(٥) في (و): «ولا يدري».

(٦) رواه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٥٣)، واللفظ لفظه.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٤٨).

أحدُكم وهو زَنَاءٌ[(١)]»[(٢)]، وعنه أيضًا: «لا يُصلِّينَّ أحدُكم وهو يُدافعُ الأخبثَيْن»[(٣)].

وأصلُ السُّكْرِ: الشَّدُّ، ومنه (السَّكْرُ)، وهو سَدُّ مجرى الماء، والموضعُ السِّكْرُ[(٤)].

الحسنُ وعطاءٌ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم: ـ مختلفٌ[(٥)] ـ لا تقربوا مواضعَ الصَّلاة[(٦)].

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧): «أي: حاقن، بوزن جبان».

(٢) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ١٨٣) وفيه رجل مبهم، وضعَّفه النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٤٩٠).

وللحديث شواهد تغني عنه منها ما رواه أبو داود (٨٨)، والترمذي (١٤٢) عن عبد الله بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إذا أقيمت الصلاة ووجد أحدكم الخلاء فليبدأ بالخلاء»، قال الترمذي: «حسن صحيح»، وما رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٩٣)، وأبو داود (٩٠)، والترمذي (٣٥٧) عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف»، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وروى نحوه أبو داود (٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»، ولفظ المصنف ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧).

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٨٩).

(٥) الاختلاف عن ابن عباس رضي الله عنه؛ فقد روى عنه هذا الضحاك وابن يسار، وروى عنه أبو مجلز أن المراد المسافر الجنب لا يصلي حتى يتيمم. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٩٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٠٩) عن هؤلاء الثلاثة إضافة لابن مسعود وأنس بن مالك وسعيد بن المسيّب وعكرمة والزهري وعمرو بن دينار وأبي الضحى وأحمد والشافعي وابن قتيبة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٥٥)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧)، وابن عطية في «المحرر الموجيز» (٢/ ٥٧) بلا نسبة.

وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢٣) واللفظ له عن =

﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ من كلامِكم.

وقيل: حتى تعلموا ما تقرؤون فيها.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ عليٌّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ في جماعةٍ: مسافرين(١).

وقيل: مجتازين في المساجد.

﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ تقديره: ولا جنبًا حتى تغتسلوا، إلَّا عابري سبيلٍ ليصل إلى الماء ويكون طريقه عليه، أو ينام في المسجد فيحتلم.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ سببُ نزولِه: ما رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعضِ أسفارِه، حتَّى إذا كنّا بالبيداءِ انقطعَ عِقدٌ لي ـ قيل(٢): كان من جزعِ ظفارٍ(٣) ـ فأقامَ(٤) عليه السَّلام لالتماسِه، وأقامَ النّاسُ

= الحسن: «أنه كان لا يرى بأسًا أن يمر الجنب في المسجد، ولا يقعد فيه، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾». وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٥٨) عن عطاء قال: «﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ قال: الجنب يمر في المسجد». وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: صلاة المساجد». وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٥)، والبيهقي في «السنن الصغرى» (١٥٢)، واللفظ له، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تدخل المسْجد وأنت جنب إلا أن تكون طريقك فيه ولا تجلس».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١) عن علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (و): «قال».

(٣) هذه العبارة وردت في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، كما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٢٢)، وأبو داود (٣٢٠)، والنسائي (٣١٤).

(٤) في (و): «فقام».

معه، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَه على فَخِذي قد نام، فقال: أحبسْتِ رسولَ اللهِ والنّاسَ معه، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، قالت[1]: فعاتبني أبو بكرٍ وقال ما شاءَ الله أن يقولَ، وجعلَ يطعنُ بيده في خاصرتي، فلم يمنعني من التَّحرُّك إلّا[2] مكانُ رسولِ اللهِ عليه السَّلام على فخذي، فنامَ[3] رسولُ الله ﷺ حتَّى أصبحَ على غيرِ ماءٍ، فأنزلَ الله تعالى آيةَ التَّيمُّم، فقالَ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ أحدُ النُّقباء: ما هي بأوَّلِ بركتِكم يا آلَ أبي بكرٍ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: فبَعَثْنا البعيرَ الذي كنْتُ عليه، فوجدْنا العقدَ تحتَه[4].

قال الزُّهريُّ: بلغنا أنَّ أبا بكرٍ قال لعائشةَ رضي الله عنها: إنَّك والله ما علمْتُ لمبارَكةٌ[5].

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ ابنُ مسعودٍ[6] في جماعةٍ: مرضَ الجريحِ والكَسيرِ وصاحبِ القُروح[7].

---

(١) في (و): «قال».

(٢) في (و): «لا».

(٣) في (و): «فقام».

(٤) رواه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

(٥) في (و): «مباركة». رواه الإمام أحمد بلاغًا في «مسنده» (١٨٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٨٨٨) وابن ماجه (٥٦٥) فجعلاه جملة من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٦٣٤١) فجعله جملة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) في (و): «ابن عباس».

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأبي مالك، والسدي، سعيد بن جبير، وإبراهيم، والضحاك، ومجاهد، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الحاكم في «المستدرك» =

الحسنُ وابنُ زيدٍ: المرضَ الذي لا يستطيعُ تناولَ الماءِ إذا لم يكن مَن يناولُه(١).

داودُ(٢): أيَّ مرضٍ كان(٣).

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافةَ ثلاثةِ أيّامٍ ولياليها.

وقيل: يومٍ وليلةٍ.

داودُ: أيِّ سفرٍ كان(٤).

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾: هو كنايةٌ عن إخراجِ ذاتِ البطن، وأصلُ الغائطِ: المطمئنُّ من الأرض.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ عليٌّ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ في جماعةٍ: جامعتموهنَّ(٥).

= (٥٨٦) عنه يرفعه: «إذا كان الرجل الجراحةُ في سبيل الله أو القروح أو الجدري، فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت، فليتيمم».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢) عن ابن زيد.

(٢) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، لُقِّب بالظاهري؛ لأخذه بظاهر الكتاب والسنة وإعراضه عن التأويل والرأي والقياس، ونُسبت إليه الطائفة الظاهرية، ولد في الكوفة سنة ٢٠١هـ، وسكن بغداد، وانتهت رياسة العلم فيها إليه، وفيها توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٥٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٠)، وإليه ذهب ابن حزم أيضاً. انظر: «المحلى» لابن حزم (١/ ٣٤٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٠)، وذكره ابن حزم في «المحلى» (١/ ٣٤٧)، وذهب إليه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٧) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩١) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤١١) =

ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ: هو: اللَّمسُ باليدِ وغيرِها ممّا دونَ الجماع[١].

وقيل: (أو) في قوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم﴾ بمعنى الواو[٢].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: إلَّا عابري سبيلٍ حتى تغتسلوا، أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ، أو لامستم النِّساء، وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ، فلم تجدوا ماءً، فتيمَّموا[٣].

وقولُه: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾؛ أي: ماءً يمكنُكم استعمالُه.

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: تعمَّدوا، والتَّيمُّمُ والتَّأمُّمُ: التَّعمُّدُ.

﴿صَعِيدٗا﴾: وجهَ الأرض، والصَّعيدُ: وجهُ الأرضِ من غيرِ نباتٍ ولا شجرٍ.

﴿طَيِّبٗا﴾: طاهرًا.

ابنُ عمرَ والحسنُ: ضربةٌ للوجهِ وضربةٌ لليدينِ إلى المرفقين[٤].

مكحولٌ: إلى الزِّندين[٥].

= عن علي وابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٩٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٧٣)، و«الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» له أيضاً (ص: ٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨١٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٥) عن الحسن.

(٥) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩) عن مكحول أن المسح لوجهه وكفيه، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٨٥) أن مكحولًا كان يقول: «التيمم ضربة للوجه والكفين إلى الكوع».

الزُّهريُّ: إلى الإبطين(١).

المحدِثُ والجنُبُ فيه سواءٌ.

عمرُ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: ليس للجُنبِ التَّيمُّمُ(٢).

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ المسحُ: إمرارُ اليدِ على الشَّيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فأطيعوه فيما يأمُركم وينهاكم عنه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٩٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨) من العجائب، وقد روى أبو داود (٣١٨)، والنسائي (٣١٤) من طريق الزهري عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «أنه كان يحدث أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله ﷺ بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد، ثم مسحوا وجوههم مسحة واحدة، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط من بطون أيديهم». وقال الخطابي في «معالم السنن» (١/ ٩٩) معلِّقاً على هذا الحديث: «لم يختلف أحد من أهل العلم أنه لا يلزم المتيمم أن يمسح بالتراب ما وراء المرفقين».

(٢) روى البخاري (٣٤٦) ومسلم (٣٦٨) عن شقيق بن سلمة، قال: «كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء؛ كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ: «كان يكفيك...» قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم، فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا؟ قال: نعم». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: هم أحبارُ اليهود.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]: التَّوراةُ.

وقولُه: ﴿نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تحقيرًا لهم؛ أي: لم يعلمُوا منها إلَّا قليلًا.

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: يختارونها على الهدى؛ أي: يبيعونَ دينَ الله بالرُّشا[2]، ويحرِّفون ما في التَّوراة من الأحكامِ وصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ بالتَّحريفِ ﴿أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾: تشكُّوا وتَزيغوا عن الصِّراطِ المستقيم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبرَكم بهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: واليًا يَلِي أمرَكم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: مُعينًا.

والباءُ زائدةٌ.

ابنُ عيسى: لأنَّ الاسمَ في ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ كان يتَّصلُ اتِّصالَ الفاعل، وبدخولِ الباءِ اتَّصل اتِّصالَ المضافِ واتِّصالَ الفاعل؛ لأنَّ الكفايةَ منه ليسَت كالكفايةِ من غيرِه، فضُوعِفَ لفظُها بمضاعفةِ[3] معناها[4].

---

(١) في (و): «وكتاب».

(٢) يُقال: رُشا، ورِشا، وهي جمع رُشْوة ورِشْوة. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكِّيت (ص: ٩١).

(٣) في (و): «بالمضاعفة».

(٤) ذكر علي بن عيسى الرماني في «شرح كتاب سيبويه» (١/ ٣٩٣) نحو ما نقله عنه المصنِّف، والظاهر =

الزَّجّاجُ: اكتَفُوا به[1].

وموضعُه رفعٌ بلا خلافٍ.

***

(٤٦) ـ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بيانٌ للأوَّل، والعاملُ فيه ﴿أُوتُواْ﴾.

أبو عليٍّ: نصيرًا من الذين هادوا؛ كقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩][2].

وقال الكوفيُّون: مِن الذين هادوا مَن يحرِّفون[3]، وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين.

ويجوزُ عندَهم وعندَ البصريِّين أنَّه على إضمارِ نكرةٍ هذهِ الجملةُ صفتُها[4]، والتَّقديرُ[5]: قومٌ يُحرِّفون؛ كقولِ الشّاعر:

= أن المصنِّف إنما نقل عن «التفسير»، وهو مفقود.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٧).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥ ـ ٣٦)، وقد استغربه المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨).

(٣) أجاز الفراء هذا بعد ذكره القول الأول، وقد ذكره المصنِّف، وعدَّه من العجائب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧١)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩).

(٤) نقل الطبري هذا الرأي عن البصريين، وذكر أن الكوفيين لا يجيزون إلا إضمار (مَن) ونحوها. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ١٣٨)، و«تفسير الطبري» (٧/ ١٠٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨).

(٥) «وعند البصريين أنه على إضمار نكرة هذه الجملة صفتها والتقدير» من (ن).

لَـوْ قُلْتَ مـا فِي قَوْمِهـا لَمْ تِيثَـمِ ... يَفْضُلُها في حَسَـبٍ وَمِيسـمِ[(١)]

أي: أحدٌ يفضُلُها.

ومثلُـه ﴿وَمَامِنَّآإِلَّالَهُۥمَقَامٌمَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]؛ أي: مـا منّـا أحـدٌ إلّا لـه مقـامٌ معلومٌ[(٢)].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: يأوِّلونها على غيرِ ما أنزلَ الله له بإزالةِ معانيها وتبديلِها.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا﴾ قولَك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرَك.

قيل: أسرُّوا به، وقيل: حالهم دلَّ على ﴿وَعَصَيۡنَا﴾.

﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ ابـنُ عبّـاسٍ رضـي الله عنهما: اسـمعْ لا سـمعْتَ[(٣)]؛ على الدُّعـاءِ عليه.

وقيل: اسمعْ أصمَّكَ اللهُ.

وقيل: أماتَك الله؛ فإنَّ الميِّتَ لا يسمع[(٤)].

وقيل: ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ من قولك: أسمعْتُه القبيحَ؛ قالوها نفاقًا[(٥)].

---

(١) الرجز لأبي الأسود الحماني، كما في «شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٢٥٤) و«المقاصد النحوية» للعيني (٤/ ١٥٦٢)، وهو لحكيم بن معية الربعي، كما في «خزانة الأدب» (٥/ ٦٤)، وذكره سيبويه بلا نسبة في «الكتاب» (٢/ ٣٤٥).

(٢) هذا ما ذهب إليه الزجاج، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨): «وفيه كلام».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، وعدَّه من العجائب.

الزَّجّاجُ: كانت اليهودُ تقولُ: اسمع، وتقولُ في أنفسِهم[١]: لا أُسْمِعْتَ[٢].

وقيل: غيرَ مُجابٍ إلى ما تدعو إليه[٣].

﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: استهزاءً ومحاكاةً، واللَّيُّ: الفَتْلُ.

وقيل: ليُّهم: إشباعُهم العينَ[٤] في (راعينا)؛ يعنون: راعي مواشينا[٥].

وقيل: هو قلبُ المعنى من وجهِه[٦].

واللِّسانُ: العضوُ الذي يُتكلَّمُ به، وهو أصلُ الباب.

﴿وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ﴾ هو قولُهم: لو كان نبيًّا حقًّا لأخبرَ بما نعتقدُ فيه ونقصدُه به.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرة).

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ من الميلِ[٧].

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلَّا شرذمةً.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨): «أنفسها»، وهو أفضل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨).

(٣) هذا تتمة كلام الزجاج، وهو مروي عن الحسن، وردَّه النحاس. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٨).

(٤) في (و): «لسباعهم الغير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، وعدَّه من العجائب.

(٦) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٦) أنَّ هذه اللفظة في العربية تحتمل أن تكون من (المراعاة)، وكان المسلمون يقولونها للنبي ﷺ على هذا المعنى، وتحتمل أن تكون من (الرُّعونة)، وتحتمل أن تكون من (رعي الإبل)، فكان اليهود يقولونها للنبي ﷺ على هذا المعنى الثاني أو الثالث. وقيل: بل كان سبًّا قبيحا بلغتهم.

(٧) في (و): «الليل».

﴿قَلِيلًا﴾ نصبٌ على الاستثناءِ من النَّفي على الأصل.

ويجوزُ إيمانًا قليلًا، ويُستعمَلُ القليلُ للعدم، قال:

.... قليلٍ بها الأصواتُ إلّا بُغامُها(١)

***

(٤٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ يعني: التَّوراةَ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحو ما فيها من الحواجبِ والأنوفِ والعيونِ والأفواه، فتصيرَ كخفِّ البعير.

والطَّمسُ: إذهابُ الأثر، وكذلك (الطَّسْمُ)، و(طَمَسَ) لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: نحوِّلَها(٢) إلى مكانِ الأقفاء، ونحوِّلَ الأَقفاءَ إلى مكانِ الوجوه.

ابنُ بحرٍ: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ تفسيرٌ للطَّمس؛ أي: نحوِّلَ الوجوهَ إلى مكانِ الأقفاءِ فيمشيَ القَهقرى(٣).

---

(١) عجز بيت لذي الرمة، وصدره:

أُنيخَتْ فأَلقَتْ بَلْدةً فوقَ بَلدةٍ

انظر: «ديوان ذي الرمة» تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (ص: ١٠٠٤)، و«الكتاب» (٢/ ٣٣٢). والبيت من شواهد سيبويه على أن (إلا) صفة بمعنى (غير)، وأن إعرابها نقل إلى ما بعدها، أما ما استشهد عليه المصنِّف من أن القلة تأتي بمعنى العدم فقد ذكره الطبري وغيره، ولم أقف على مَن استشهد عليه بهذا البيت قبل المصنِّف. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٣٣).

(٢) في (و): «نحوها».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٢) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عطية العوفي.

الحسنُ: يجعل وجوهَهم منابتَ الشَّعر، وينقل العيونَ إلى الأقفاء[١].

الزَّجّاجُ: الوجوهُ هاهنا تمثيلٌ لأمرِ الدِّين، والمعنى: من قبلِ أنْ نضلَّهم مجازاةً لهم على معاندتِهم[٢].

وقيل: ﴿قَبۡلِ﴾ هاهنا مجازٌ؛ لأنَّ القَبْلَ والبَعْدَ يُستعملان إذا وُجِدَ الشَّيءُ أو قُدِّرَ وجودُه.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾: نطردَهم فنبعدَهم من رحمتِنا ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾: اليهودَ زمنَ داودَ عليه السَّلام حين جُعلوا قردةً خاسئين.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾؛ أي: إذا أمرَ بإيقاعِ وعدٍ أو وعيدٍ فُعِلَ لا محالةَ.

وقيل: الأمرُ: المأمورُ؛ لأنَّ اللهَ إذا أمرَ ملائكتَه وغيرَهم[٣] بفعلٍ فإنَّ المأمورَ يَفعلُ[٤] المأمورَ به لا محالةَ.

* * *

(٤٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) هذا نحو قول الفراء، وذُكر عن الحسن أن الطمس إذهاب صورة الشيء، وروي عنه ما يوافق قول الزجاج، فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٣) عن الحسن قال: «﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهًا﴾: نطمسها عن الحق، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾: على ضلالتها»، وهو القول المشهور عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٤٦)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٩١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٩٤)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤١٧).

(٢) هذا أحد ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج؛ الأول: نجعل وجوههم كأقفائهم، والثاني: نجعل وجوههم منابت للشعر، وهذا الثالث. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٩).

(٣) في (و): «وغيرها».

(٤) في (و): «فعل».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في الوحشيِّ وأصحابِه[١].

والمعنى: لا يغفرُ الشِّركَ والكفرَ لمن مات عليه.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: ما دونَ الشِّرك لمن يشاء، وليس المشيئةُ متعلِّقةً بالذَّنب، بل هي متعلِّقةٌ بالمذنِب.

وتقييدُه سبحانه بقولِه: (من يشاء) لا يخرجُه عن كونِه عامًّا كما لم يخرجِ الرِّزقَ عن العموم في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: ١٩].

ويحتملُ أنَّ الضَّميرَ في قوله: ﴿يَشَآءُ﴾[٢] يعود إلى (مَن)؛ أي: ويغفر ما دون الشِّركِ لمن يشاءُ أن يُغفَرَ له بأن يتوبَ ويندمَ[٣] على ما فرطَ منه وبالاستغفارِ[٤].

يُقوِّيه ما روى عبد الله بن عَمرٍو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئًا دخلَ الجنّةَ، ولا تَضرُّهُ خَطِيئتُه، كما لو لَقِيه وهو يُشرِكُ به شيئًا[٥] دخلَ النّارَ، ولم تنفعْهُ حَسَنتُه»[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٣) عن الكلبي، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من غير طريق الكلبي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): «رواه الطبراني، وفيه أبين بن سفيان، وهو ضعيف».

(٢) «يشاء» من (ن).

(٣) في (و): «بالتَّوبة والنَّدم».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، واستغربه.

(٥) «شيئًا» من (ن).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٥٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٣): «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي؛ فإنه لم يسم، ورواه الطبراني فجعله =

وعن عليٍّ رضي الله عنه: ما في القرآنِ آيةٌ أحبُّ إليَّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ قيل: كذبَ كذبًا عظيمًا استحقَّ به عذابًا أليمًا.

وقيل: ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾: لا أعظمَ منه.

* * *

(٤٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

= من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو»، وقد نبَّه عبد الله بن الإمام أحمد والحافظان الحسيني وابن حجر إلى أن في الإسناد رجلاً مبهماً، بينما مال إلى تصحيحه الشيخ أحمد شاكر بالاعتماد على أن الضمير يحتمل عوده على مسروق لا على الرجل المبهم، ودعم هذا الاحتمال بنقل الهيثمي عن رواية الطبراني التي ذكر أنه لم يقف عليها، ونظن أنه لو وقف عليها لما استند إليها؛ فالرواية عن يحيى بن اليمان، وهو صدوق تغيَّر حفظه، وقد ذكر الطبراني أن الناس خالفوه في ذلك، وذكر رواية أبي نعيم، كما أن ترجيح رواية أبي نعيم الذي ذكر الشيخ شاكر على جلالته أنه لم يعرف وجهه، يمكن أن يكون أصرح في إسناد القول إلى الرجل المبهم؛ فرواية الزبيري: «نزل رجل على مسروق فقال: سمعت»؛ فاحتمال أن يكون القائل الرجل أو مسروقاً متساو، لكن رواية أبي نعيم: «جاء رجل أو شيخ من أهل المدينة، فنزل على مسروق، فقال: سمعت»؛ وظاهر هذا أن القائل هو الرجل، واحتمال أن يكون القائل مسروقاً بعيد، والله أعلم، لكن الحديث له شواهد صحيحة. انظر: «الإكمال» للحسيني (ص: ٦٠٦)، و«تعجيل المنفعة» لابن حجر (٢/ ٦٣١)، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على «المسند» (٦/ ١٥٩).

(١) رواه الترمذي (٣٠٣٧)، وقال: «حديث حسن غريب»، وقال شيخنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «حسنه الترمذي مع أن فيه ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف، كما قال الحافظ في التقريب». انظر: «جامع الأصول» (٢/ ٩٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ قال الكلبيُّ: نزلَت في رجالٍ من اليهودِ، أتَوا رسولَ الله عليه السَّلام بأطفالِهم، وقالوا: يا محمَّدُ، هل على أطفالِنا هؤلاء من ذنبٍ؟ قال: «لا»، فقالوا: والذي يُحلَفُ به ما نحن إلَّا كهيئتِهم، ما من ذنبٍ نعملُه بالنَّهارِ إلَّا كُفِّرَ عنّا باللَّيلِ، وما من ذنبٍ نعملُه باللَّيلِ إلَّا كُفِّرَ عنّا بالنَّهار(١).

ومعنى ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: ينسبونَها إلى الطَّهارة.

﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: يُطهِّرُ من الذُّنوبِ مَن يشاء.

وقيل: يحكمُ بالطَّهارةِ لمن يشاء.

وقيل: يُطهِّرُه من الذُّنوبِ بتوفيقِه.

وقيل: هي تزكيةُ بعضِهم لبعضٍ؛ لينالَ حالًا من مالِ الدُّنيا.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: يُضرَبُ به المثلُ في الحقارة، وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ الفتيلَ والنَّقيرَ والقِطْميرَ من النَّواة؛ فالفتيلُ: ما في بطنها، والنَّقيرُ: ما في ظهرها، والقِطميرُ: قشرُها.

وقيل: الفتيلُ: ما فتلْتَه بأصبعيك من الوسخِ الذي يخرجُ من بينهما.

ابنُ عبّاسٍ: النَّقير: النُّقطةُ التي على ظهرِ النَّواة، منها تنبتُ النَّخلة(٢).

الضَّحّاكُ: البياضُ الذي في وسطِها(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٥)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٨٤)، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٨)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٢٤) نحوه عن الضحاك والسدي.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤١).

(٣) قول الضحاك هذا في النقير، كما ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١١)، وأبو حيان في «البحر =

(٥٠) ـ ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾: يختلقون، ويقطعون[1] على كذبٍ يُخبرون به.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالافتراء، وقيل: بالكذب.

﴿إِثْمًا مُّبِينًا ﴾: ظاهرًا، والمعنى: هو النِّهايةُ في اكتسابِ الآثام.

***

(٥١) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: اليهودَ.

قتادةُ: نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ وحييِّ بنِ أخطب؛ رجلين من اليهود من بني النَّضير، لقيا قريشًا بالموسم، فقال لهما المشركون: أنحن أهدى أم محمَّدٌ وأصحابُه؛ فإنّا أهلُ السِّدانةِ والسِّقايةِ وأهلُ الحرم؟ فقالا: بل أنتم أهدى من محمَّدٍ، وهما يعلمان أنَّهما كاذبان، إنَّما حمَلَهما على ذلك حسدُ محمَّدٍ وأصحابِه، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

وذكر المفسِّرون: أنَّ أحبارَ اليهودِ؛ لِفَرطِ عداوتِهم للنَّبيِّ عليه السَّلام، وشدَّةِ حرصِهم على إبطالِ أمرِه، وأن يُصوِّروا عند العرب أنَّه كاذبٌ فيما يدَّعيه، آمنوا بالجبتِ والطّاغوت، وكانوا يقولون للعربِ وأهلِ المدينة: إنَّ عبادةَ الأصنامِ أرضى عندَ الله ممّا يدعو إليه محمَّدٌ عليه السَّلام.

= المحيط» (٣/ ٦٦٦)، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٢) عن الضحاك نحوه، وروى عنه أيضاً (٧/ ١٥٠) أنه قال: «النقرة التي تكون في ظهر النواة».

(١) في (و): «ويقتطعون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧).

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الجبتُ: الأصنامُ، والطّاغوتُ: تراجمةُ الأصنام[١].

مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: الجبتُ: السِّحرُ، والطّاغوتُ: الشَّيطان[٢].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الجبتُ: السّاحرُ، والطّاغوتُ: الكاهن[٣].

الضَّحّاكُ: الجبتُ: حييُّ بنُ أخطب، والطّاغوتُ: كعبُ بنُ الأشرف[٤].

الزَّجّاجُ: كلُّ ما عُبِدَ مِن دون الله جبتٌ وطاغوتٌ[٥].

وعن قُطربٍ: الجبتُ: الجِبْسُ[٦]، وهو الذي لا خيرَ عندَه، قُلِبَتِ السِّين تاءً[٧]؛ وإنَّما قال هذا لأنَّ الجبتَ مهملٌ.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: فيهم ولأجلهم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: عبدةُ الأصنامِ ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾: أقومُ دِينًا وأرشدُ طريقةً.

* * *

---

(١) ذكر هذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٤) والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٥) عن ابن عباس، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٦) عن مجاهد بلفظ: «الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٥).

(٥) لم يذكره الزجاج قولًا له، وإنما نقله عن أهل اللغة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦١).

(٦) في هامش (ن): «أي: الخبيث».

(٧) ذكره أبو بكر الأنباري في «المذكر والمؤنث» (١/ ٢٨٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٧١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٠)، واستغربه.

(٥٢) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدَهم من رحمتِه، ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾: معينًا يمنعُه، ولا شفيعًا يشفعُ له.

* * *

(٥٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾: هي المنقطعةُ[(١)]؛ أي: بل أَلَهُمْ؛ استفهامُ جَحْدٍ، والمعنيُّ بهم اليهود، وهو ما تدَّعيه أنَّ الملكَ يصيرُ إليهم في آخرِ الزَّمان.

﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ قيل: هم العربُ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلام وأصحابُه.

الزَّجّاجُ: هو منعُهم العُشْرَ والزَّكاة[(٢)].

المفضَّلُ: أي: ليس لهم نصيبٌ، فَلِمَ تتَّبعونَهم[(٣)]؟

ويحتمل: لا يُؤتون مُستحِقًّا شيئًا.

ومعنى (إذًا): لو كان الأمر على هذا، و(إذًا) إذا توسَّطَ[(٤)] لم يعمل، ومع تقديمِ الفاءِ والواوِ جازَ الوجهان؛ الإعمالُ والإلغاء[(٥)].

---

(١) (أم) المنقطعة هي التي تكون على نية الإضراب عن الكلام السابق، ومعناها معنى (بل)، وتدخل على الخبر والاستفهام. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٢)، و«المقتضب» للمبرد (٣/ ٢٩٤)، و«الأصول» لابن السراج (٢/ ٥٨).

(٢) لم أقف على قوله هذا، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦٢): «وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى: لضنوا بالقليل».

(٣) ذكر السمعاني هذا القول في «تفسيره» (١/ ٤٣٧) بلا نسبة.

(٤) في (و): «توسيط».

(٥) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢ ـ ١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦٣).

﴿نَقِيرًا﴾ ذهبَ تفسيرُه.

أبو العالية: هو نقرُ الرَّجلِ بأصبعِه كما تنقرُ الدَّرهمَ(١). وفيه ضعفٌ(٢)؛ لأنَّ نقر الدِّرهمِ ليس بشيءٍ يمكن أن يُؤتى النّاس، وإنَّما يُضرَبُ المثلُ بما يُمكن.

* * *

(٥٤) ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾؛ أي: اليهود.

﴿ٱلنَّاسَ﴾: العرب.

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بأن جعلَ النَّبيَّ عليه السَّلام المبعوثَ منهم(٣) والنُّبوّةَ فيهم.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسَ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام(٤).

والفضلُ: النُّبوّة.

وقيل: الفضلُ: نكاحُ تسعِ نسوةٍ؛ فإنَّ اليهودَ قالوا: انظروا إلى هذا النَّبيِّ، والله ما يشبعُ من الطَّعام، وما له همٌّ إلَّا النِّساء، ولو كان نبيًّا لشغلَه أمرُ النُّبوّةِ عن النِّساء، فحسدُوه بكثرةِ نسائِه وعابوه، فأكذبَهم الله فقال:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٥١) عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظ ابن المنذر: «هذا النقير، ووضع طرف الإبهام على باطن السبابة ثم نقرها».

(٢) في (و): «ضعيف».

(٣) «منهم» من (ن).

(٤) في (ن) زيادة: «وأصحابه».

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(١)]: التَّوراةَ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: المواعظَ والفقهَ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني: مُلكَ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلام، وكان لداودَ مئةُ امرأةٍ، ولسليمانَ ألفٌ؛ ثلاثُ[(٢)] مئةِ حرّةٍ وسبعُ مئةِ سريّةٍ[(٣)]؛ أي: لا منافاةَ بين النُّبوّةِ وبين المملكةِ العظيمة، فكيف تكونُ المنافاةُ بينها وبين التَّزويجِ بتسعِ نسوةٍ.

وسُمِّيَ عظيمًا لأنَّه كان محروسًا بالملائكةِ والجنود.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

﴿فَمِنْهُم﴾؛ أي: من اليهودِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ عليه السَّلام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرضَ.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٧٩)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١٣) عن أبي حمزة الثمالي، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٤)، وضعَّف إسناده ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٨٩).

(٢) في (و): «وثلاث مئة».

(٣) ذُكرت مثل هذه الأرقام في كتب التفسير والتاريخ، ولم نقف لها على مستند صحيح، فنكل علمها إلى الله سبحانه، ونسلِّم بما ثبت عن الصادق المصدوق ﷺ؛ فقد روى البخاري (٢٨١٩) ـ واللفظ له ـ ومسلم (١٦٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مئة امرأة ـ أو تسع وتسعين ـ كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون». وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٢٩)، و«تفسير الماتريدي» (٣/ ٢١٠)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٣١٠)، و«تفسير ابن زمنين» (١/ ٣٨١)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٤١٤).

السُّدِّيُّ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: من آلِ إبراهيمَ مَن آمنَ بإبراهيم(١).

الفرّاءُ: ﴿فَمِنْهُم﴾: من اليهودِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾ بحديثِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلام، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾(٢).

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: نارًا مسعورةً.

***

(٥٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾: ندخلُهم ﴿نَارًا﴾: نُحرقُهم بها.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾: تهرَّتْ واحترقَتْ وزالَ ثباتها.

﴿بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قيل: تبديلُ وصفٍ لا تبديلُ عينٍ، كما نجعلُ الكُوزَ من الصُّفْرِ قَصعةً والقَصعةَ كوزًا.

وقيل: جازَ تبديلُ الجلودِ جلودًا غيرَها ما أذنبَت؛ لأنَّ الذي ينالُ الألَمَ هو صاحبُ الجلدِ لا الجلدُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

وقيل: الجلدُ هاهنا: السَّرابيلُ، وجازَ تسميةُ السَّرابيلِ جلودًا للمجاورة، يُقال: هو جلدةُ ما بينَ عينيه؛ لـمَن لازمَ غيرَه، قال:

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨١)، ولفظ ابن المنذر: «زرع إبراهيم خليل الرحمن، وزرع الناس في تلك السنة، فهلك زرع الناس، وزكا زرع إبراهيم خليل الرحمن، واحتاج الناس إليه، فكان الناس يأتون إبراهيم فيسألونه منه، فقال لهم: من آمن بربه أعطيته، ومن أبى منعته، فمنهم مَن آمن به فأعطاه من الزرع، ومنهم مَن أبى فلم يأخذ منه، فذلك قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٥).

كَسا اللُّؤْمُ تَيْمًا خُضرةً في جُلُودِها(١) فَوَيْـلاً لِتَيْمٍ مِنْ سَرابِيلِها(٢) الخُضْرِ(٣)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ في وعدِه ووعيدِه.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطّاعاتِ.

﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: مياهُ الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من الأدناسِ والحيضِ والنِّفاس.

﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾: دائمًا لا تنسخُه الشَّمسُ.

وقيل: لا حرَّ ولا بردَ فيه، ولا ريحَ ولا سَمومَ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ مجاهدٌ: نزلَت في عثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ، كان سادنَ الكعبة، قبضَ رسولُ الله ﷺ مفتاحَ الكعبةِ، فدخلَ الكعبةَ يومَ الفتح، فخرجَ وهو يقرأُ هذه الآية، فدعا عثمانَ ودفعَ إليه المفتاحَ، وقال:

---

(١) في (ن): «جلودهم».

(٢) في (ن): «سرابيله».

(٣) البيت لجرير، كما في «ديوانه» شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (٢/ ٥٩٦)، و«الفاخر» للمفضل (ص: ٢٨٦)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٨٢). ويُروى: «فيا خزي تيم».

«خذوهـا يا بنـي[١] طلحةَ بأمانـةِ الله خالـدةً تالـدةً، لا يأخذُها منكـم إلّا ظالمٌ»[٢].

فبنو طلحةَ هم الذين يَلونَ سِدانةَ الكعبة.

وقولُه: ﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾؛ أي: ما ائتُمنتُم عليه.

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: إلى مَنِ ائتمَنكم.

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: قضيتُم.

﴿أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾: بالإنصافِ والسَّويّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾؛ أي: نِعْمَ شيئًا يعظُكم به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾: يسمعُ ما تقولونَ في الأمانةِ ﴿بَصِيرًا﴾: بما تعملونَ فيها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ باذانُ عـن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام بعثَ خالدَ بنَ الوليدِ في سريّةٍ[٣] إلى حيٍّ من أحياءِ العرب، وكان معه عمّارُ بنُ ياسرٍ، فسارَ خالدٌ حتَّى إذا دنا من القومِ عرَّسَ كي يُصَبِّحَهم، فأتاهم النَّذيرُ فهربوا غيرَ رجلٍ منهم كان قد أسلمَ، فأمرَ أهلَه

---

(١) في (و): «بني أبي طلحة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٦)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٦٥)، ورواه من طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٨)، وروى المرفوع منه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٥): «فيه عبد الله بن المؤمل، وثّقه ابن حبان وقال: يخطئ، ووثّقه ابن معين في رواية، وضعَّفه جماعة»، وانظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٢١).

(٣) في (و): «سيرته».

أن يتهيَّؤوا للمسير، ثم انطلقَ حتى أتى عسكرَ خالدٍ، فدخلَ على عمّارٍ فقال: يا أبا اليقظان، إنِّي مسلمٌ[١]، وإنَّ قومي لـمّا سمعوا بكم هربوا وأقمْتُ أنا لإسلامي، أَفَنافعي ذلك أم أهربُ كما هربَ قومي؟ فقال: أقم؛ إنَّ ذلك نافعُك. وانصرفَ إلى أهلِه وأمرَهم بالمقام، وأصبحَ خالدٌ وأغارَ على القومِ، ولم يجد غيرَ ذلك الرَّجلِ، فأخذَه وأخذَ مالَه، فأتاه عمّارٌ فقال: خلِّ سبيلَ الرَّجلِ؛ فإنَّه مسلمٌ، وقد كنتُ آمنتُه وأمرتُه بالمقام. فقال خالدٌ: أنت تجيرُ عليَّ وأنا الأميرُ؟ فقال: نعم، أنا أجيرُ عليك وأنتَ الأمير. وكان في ذلك بينهما كلامٌ، فانصرفوا إلى رسولِ الله عليه السَّلام، فأخبرَه خبرَ الرَّجل، فأمَّنَه النَّبيُّ عليه السَّلام، وأجازَ أمانَ عمّارٍ، ونهاه أن يُجيرَ بعد ذلك على أميرٍ بغيرِ إذنِه، فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ حُذافة، بعثَه النَّبيُّ عليه السَّلام في سريّةٍ[٣].

والمعنى: أطيعوا الله في فرائضِه، وأطيعوا الرَّسولَ في سُننِه.

وقيل: أطيعوا الله فيما أمرَ مُجمَلًا، وأطيعوا الرَّسولَ فيما أمرَ مُفصَّلًا.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ أبو هريرةَ والسُّدِّيُّ في جماعةٍ: أمراءُ السَّرايا الذين[٤] يؤمِّرُهم رسولُ الله عليه السَّلام وخلفاؤُه بعدَه[٥].

---

(١) «إني مسلم» من (ن).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٩)، و«البسيط» (٦/ ٥٤٠)، وذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٠٤) أن ابن مردويه رواه عن ابن عباس. وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٢) دون نسبة، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٨) عن السدي.

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤).

(٤) «الذين» من (ن).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٦)، والطحاوي في =

مجاهدٌ وعطاءٌ في جماعةٍ: هم العلماءُ[1].

وكلا القولين عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[2].

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾: إن اختلفتُم في شيءٍ من أمرِ الدِّين، وادَّعى كلُّ واحدٍ الحقَّ بيدِه.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ حالَ حياتِه، وإلى كتابِ اللهِ وسُنّةِ نبيِّه وإجماعِ المسلمينَ مِن بعده.

والهاءُ في (ردُّوه) قيل: يعودُ إلى الشَّيء.

وقيل: إلى الحُكم، فيكون تقديره: في حُكمِ الشَّيء[3].

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾؛ أي: فإنَّ الإيمانَ يُوجبُ ذلك.

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: عاجلًا وآجلًا ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾: عاقبةً، من (آلَ يؤولُ).

وقيل: أحسنُ مِن تأويلِكم.

وقيل: ﴿تَأۡوِيلًا﴾: جزاءً.

وقيل: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: إلى القياسِ والاستنباطِ من الكتابِ والسُّنّة.

= «شرح مشكل الآثار» (٤/ ١٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٤٠) عن السدي.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦١٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٣٤) عن مجاهد. ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٦) عن عطاء.

(٢) ذكر القول الأول عنه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٣٩)، وروى القول الثاني عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٣).

(٣) «الشيء» من (ن).

(٦٠) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى الطَّٰغُوتِ﴾ عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: نزلَت في قومٍ من بني أسلمَ تحاكموا إلى أبي بردةَ[١] الأسلميِّ؛ كاهنٍ يقضي بين اليهودِ في تنافرِهم[٢].

الشَّعبيُّ: نزلَت في يهوديٍّ ومنافقٍ اختصما، وكان اليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ عليه السَّلام لعلمِه أنَّه لا يقبلُ الرِّشا، والمنافقُ يدعوه إلى حُكّامِ اليهود؛ لقبولِهم الرِّشا، ثم أجمعا على أن يُحكِّما كاهنًا في جهينةَ، فأنزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقَ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ يعني[٣]: اليهوديَّ[٤].

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في رجلٍ من المنافقين كان بينه وبين يهوديٍّ خصومةٌ، فقال اليهوديُّ: انطلقْ إلى محمَّدٍ، وقال المنافقُ: بل

---

(١) في (ن): «برزة»، وكذا هو في «المعجم الكبير»، و«المختارة»، وهو خطأ؛ فإن أبا برزة نضلة بن عبيد صحابي جليل؛ نبَّه على هذا الخطأ الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على خبر آخر في «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٤٥)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ١١٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

(٣) في (و): «أي».

(٤) رواه المروزي في «الصلاة» (٢/ ٦٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٠)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٧) إلى تفسير إسحاق بن راهويه، وصحَّح إسناده.

نأتي كعبَ بنَ الأشرفِ، وهو الذي سمّاه الله الطّاغوتَ، فاختصما إلى رسولِ الله عليه السَّلام فقضى لليهوديِّ[١]، فلمّا خرجا من عنده لزمَه المنافقُ وقال: انطلقْ إلى عمرَ، فأتيا إليه فقال اليهوديُّ: اختصمْتُ أنا وهذا إلى محمَّدٍ رسول الله عليه السَّلام، فقضى لي عليه، فلم يرضَ بقضائِه، فزعمَ أنَّه مخاصمٌ[٢] إليك، فتعلَّقَ بي، فجئْتُ معه، فقالَ عمرُ للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويدكما حتى أخرجَ إليكما، فدخلَ عمرُ البيتَ وأخذَ سيفَه، ثم خرجَ إليهما، فضربَ به المنافق حتى بردَ، وقال: كذا[٣] أقضي بين مَن لم يرضَ بقضاءِ اللهِ وقضاءِ رسولِه، وهربَ اليهوديُّ، ونزلَت هذه الآية، فقالَ جبريلُ عليه السَّلام: إنَّ عمرَ فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، فسُمِّيَ الفاروق[٤].

السُّدِّيُّ: الطّاغوتُ أبو بُردةَ[٥] الأسلميُّ، ثمَّ إنَّه[٦] قد جاءَ وأسلمَ، فأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلام مناديًا فنادى: ألا إنَّ كاهنَ أسلمَ أسلمَ[٧].

قوله: ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: يكذبون في إيمانِهم؛ لأنَّ الزَّعمَ أكثرُ استعمالِه في الكذبِ والباطل.

---

(١) «فقضى لليهودي» من (ن).

(٢) في (ن): «يخاصم».

(٣) في (ن): «أهكذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٢)، ومعلوم ضعف طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٥) في (ن): «برزة».

(٦) «ثمَّ إنَّه» من (ن).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٣)، وانظر: «تفسير الطبري» (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٩١).

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾: يترافعُوا في الحُكمِ إلى الطّاغوت.

﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: أُمِرَ المسلمون[1] أن لا يُصدِّقوا الكُهّانَ، ولا يأخذوا منهم.

وقيل: أُمِرُوا أن لا يوالوا مَن ليس على دينِهم.

وقيل: هو[2] حييُّ بنُ أخطب.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ عن الحقِّ ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾.

﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾؛ أي: فكيفَ صُنعُهم؟ وقيل: كيفَ يصنعون؟

والمصيبةُ: قيل: قَتْلُ عمرَ رضي الله عنه المنافقَ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ حينَ لم يرضَ بقضاءِ النَّبيِّ عليه السَّلام، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾؛ أي: أصحابُ القتيلِ من المنافقين ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾: ما أردنا بمطالبةِ دمِ صاحبنا ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا﴾ إلينا، ﴿وَتَوۡفِيقًا﴾ يوافقُ الحقَّ في أمرِنا.

وقيل: المصيبةُ: النَّقمةُ من الله ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: باعتقادِهم الخبيثِ

---

(١) في (و): «أمروا المسلمين».

(٢) أي: الطاغوت.

ونفاقِهم، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ بالتَّقريبِ في الحُكم، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بينَ الخصومِ دونَ الحُكم(١).

الحسنُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم﴾ اعتراضٌ بين الكلام، والتَّقديرُ: يصدُّون عنك صدودًا ثم جاءوك يحلفون بالله(٢).

* * *

(٦٣) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: من النِّفاق، فلا يُغني عنهم كتمانُه من العذاب.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: عن عقابِهم.

وقيل: عن قَبولِ عُذرِهم.

وقيل: لا تُؤاخذْهم بما أطلعتُكَ عليه من بواطنِهم.

﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانِكَ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: ازجرْهم بأبلغِ الزَّجر.

وقيل: خوِّفْهم بمكارهَ تنزلُ بهم(٣) إن عادوا لمِثلِ هذا.

---

(١) في (ن): «مر الحكم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٢) بلفظ: «﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: عقوبة لهم بنفاقهم، وكرهوا حكم الله، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾»؛ فقوله: «وكرهوا حكم الله» يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، وانظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ٣٨٣).

(٣) «بهم» من (ن).

الحسنُ: قل لهم: إن أظهرتُم ما في قلوبِكم قتلْتُكم، فهذا يبلغُ من نفوسِهم كلَّ مَبلغٍ[1].

والقولُ البليغُ: ما يُفهَمُ منه غايةُ المقصود.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾: لِيُقبَل قولُه فيما يَأمرُ ويَنهى بأمرِ الله الذي دلَّ على وجوبِ طاعةِ الرَّسول.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ﴾؛ أي: أولياءَ المقتول.

وقيل: الذين والَوا الكفّارَ.

﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بنفاقِهم وتعصُّبِهم لقتيلِهم[2].

﴿جَآءُوكَ ﴾؛ أي: تائبين مخلصين.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾: طلبوا مغفرتَه.

﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ بالشَّفاعةِ بعدَ علمِه إخلاصَهم.

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمٗا﴾ بهم.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٠٣)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٥٨).

(٢) في (و): «لقتلهم».

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ مجاهدٌ والشَّعبيُّ: هو متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: الذين احتكَما إلى الطَّاغوت[١].

وروى عَمرو بن دينارٍ، عن أبي سلمةَ[٢]، عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها: أنَّ الزُّبيرَ بنَ العوّامِ خاصمَ رجلًا ـ قيل: هو حاطبُ بن أبي بَلتعةَ، وقيل: ثعلبةُ[٣] بنُ حاطبٍ[٤] ـ في ماءٍ، فقضى رسولُ الله عليه السَّلام للزُّبير، فقال الرَّجلُ: قضى له لأنَّه ابنُ عمَّتِه[٥]، فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]؛ أي: الإيمانَ المرضيَّ عند الله ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾: يأتوكَ راضينَ بطيبةِ النَّفس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٦) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٠) عن عامر الشعبي.

(٢) كذا في النسخ الخطية، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥)، وفي بعض مصادر التخريج: أنه سلمة، وهو رجلٌ من ولد أمِّ سلمة رضي الله عنها.

(٣) في النسخ الخطية: «بلتعة»، وهو تصحيف، فليس في الصحابة بلتعة بن حاطب، وإنما هو ثعلبة بن حاطب، كما في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٤٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٣)، وهو معروف من الأنصار، شهد بدراً وأحداً. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٦٠)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢١٠)، و«الكواكب الدراري» (١٠/ ١٧٥)، و«مصابيح الجامع» (٥/ ٢٥٩)، وغيرها.

(٤) لم يذكر اسمه في هذه الرواية، وقد جاءت التسمية في «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٦)، وفي رواية عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٤) أنه: حاطب بن أبي بلتعة، وأنكره التوربشتي في «مصابيح الجامع» (٥/ ٢٥٩)، وذكر السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣١٤): أنه ثعلبة بن حاطب، وقد توسَّع ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٥ ـ ٣٦) في ذكر الخلاف في تسميته والمرويات في ذلك.

(٥) في (و): «عمه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٦). وأصل الحديث رواه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) من طريق الزهري عن عروة عن عبد الله بن الزبير.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: في خصوماتِهم، وشَجَرَ: اختلطَ واختلَفَ، وأصلُه: الشَّجرُ.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضيقًا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: انقادوا لك طوعًا؛ سرًّا وجهرًا.

* * *

(٦٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: تعرَّضوا للقتلِ بالجهاد.

وقيل: كما كُتِبَ على بني إسرائيلَ.

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ بالهجرةِ.

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ لنفاقِهم[1].

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم المخلصون.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ أي: ما يُوصَونَ ويُؤمَرونَ به من الإخلاصِ والتَّسليم له.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ في دينِهم.

* * *

(٦٧ - ٦٨) - ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿وَإِذًا﴾: جوابٌ وجزاءٌ ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا﴾: عندِنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثوابًا دائمًا.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أرشدناهم.

وقيل: ثبَّتناهم عليه.

---

(١) «لنفاقهم» من (ن).

وقيل: طريق الجنّة(١).

***

(٦٩) ـ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في ثوبانَ مولى رسولِ الله عليه السَّلام، وكان شديدَ الحبِّ لرسولِ الله عليه السَّلام، فأتى ذاتَ يومٍ وقد تغيَّرَ لونُه ونَحَلَ جسمُه، يُعرَفُ في وجهه الحزنُ، فقال له: «يا ثوبانُ، ما غيَّرَ لونَك؟» فقال: يا رسولَ الله، ما بي مرضٌ ولا وجعٌ، غيرَ أنِّي إذا لم أرَكَ اشتقْتُ إليك واستوحشْتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك، ثم ذكرْتُ الآخرةَ، فأخافُ أنْ لا أراكَ هنالك؛ لأنِّي أعرفُ أنَّك تُرفَعُ مع النَّبيِّين، وأنِّي إنْ كنْتُ أدخلُ الجنَّةَ كنْتُ في منزلٍ أدنى من منزلِكَ، وإنْ لم أدخلِ الجنَّةَ فذلك حينَ لا أراكَ أبدًا، فأنزلَ الله هذه الآية(٢).

---

(١) أي: أرشدناهم إلى طريق الجنة في المعاد، وقد أنكر الطبري هذا المعنى في تفسير الفاتحة. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٩٨).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٥) عن الكلبي، وذكره في «البسيط» (٦/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤) من غير سند ولا نسبة، وذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) أنها نزلت في عبد الله بن زيد الأنصاري، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٤): «روي نحوه عن جماعة من الصحابة»، وأكثر ما جاءت الروايات بلا تسمية، ومنها ما رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٢)، و«الأوسط» (٤٧٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا =

وقولُه: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: يستمتعُ برؤيتِهم[(١)].

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الصِّدِّيقُ: الذي يكثُرُ منه الصِّدق، وسُمِّي أبو بكرٍ صِدِّيقًا لأنَّه أوَّلُ من صدَّقَ النَّبيَّ عليه السَّلام وآمَنَ به.

وقيل: هو المداومُ على الصِّدق.

وقيل: الذي يُصدِّقُ قولَه بفعلِه.

وقيل: فِعِّيلٌ من (الصَّدَقة)[(٢)].

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: جمعُ شهيدٍ، وهو الذي قُتِلَ في سبيل الله، أو ألحقَه[(٣)] النَّبيُّ عليه السَّلام في الثَّوابِ والدَّرجةِ بهم.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: المؤمنين.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: صاحبًا، وُحِّدَ لكونِه تمييزًا[(٤)].

وقيل: وحَسُنَ كلُّ واحدٍ رفيقًا، فيكونُ حالًا[(٥)].

***

= أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾. هذا لفظ الطبراني في «الأوسط»، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٤): «رجاله موثقون».

(١) في (و): «لرؤيتهم».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٣).

(٣) في (و): «ألحقهم».

(٤) فـ(حسن) محمول على هذا القول على (نعم)، والأكثر في هذا الباب أن يتقدم التمييز على المعرفة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٨)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ١٥٠) و(٣/ ٣٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ١١٧).

(٥) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٠١).

(٧٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الثَّواب، وقيل: الطّاعة، وقيل: المرافقة.

﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾: الزِّيادةُ على المُستحَقِّ من اللهِ بفضلٍ منه[1].

وقيل: لأنَّه بتوفيقِه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ الباء زائدةٌ، وقد سبقَ[2].

***

(٧١) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾؛ أي: تيقَّظوا، ولا تَهِنُوا عن الاستعدادِ للأعداء.

والحِذرُ: السِّلاحُ، وقيل: الحزمُ، وقيل: ابدؤوهم بالنُّفورِ إليهم.

﴿فَٱنفِرُواْ ﴾: اخرجُوا إلى الجهاد.

وأصلُه: الفزَع، تقول: (نفَرَ إليه)؛ إذا فزعَ إليه؛ أي: طلبَ إزالةَ الفزَع، والنَّفيرُ: النّافرون، والنَّفَرُ: جماعةٌ يُفزَعُ إليها[3].

﴿ثُبَاتٍ ﴾: جماعةً جماعةً؛ إلى كلِّ وجهةٍ جماعةٌ.

وقيل: هم السَّرايا.

وقيل: على قياسِ العدوِّ[4].

---

(١) «منه» من (ن).

(٢) في تفسير قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٠١).

(٤) أي: إنما يجب خروج جماعة تكفي لمواجهة العدوِّ.

وهـي جمـع (ثُبةٍ)، والثُّبةُ: الجماعةُ، مشـتقَّةٌ مـن (ثَبَّيْتُ على الرَّجلِ تثبيـةً)؛ إذا[١] جمعْتَ محاسـنَه في الثَّناءِ عليه.

ابنُ عيسى: الثُّبةُ: وسطُ[٢] الحوضِ؛ لأنَّ الماءَ يثوبُ إليه[٣].

وزنُ هذه (فُلةٌ)، والأولى (فُعةٌ)[٤].

وقد يُجمَعُ على (ثِبينٍ) جبرًا[٥]، وقُرِئَ: (ثباتًا)[٦] للجبرِ أيضًا، فإذا صَغَّرتَ هذه وأخواتِها رجعَت لامُ الفعل، فلم يُجمَع إذًا جبرًا.

---

(١) في (ن): «ثبيت الرجل علي إذا».

(٢) في (و): «وسيط».

(٣) ذكر علماء اللغة قبل ابن عيسى أنَّ (الثبة) وسط الحوض، وذهبوا في اشتقاقها مذهبين؛ أحدهما: أنَّها من (ثاب)؛ لأنَّ الماءَ يثوبُ إلى وسط الحوض، وثانيهما: أنَّها من (ثَبَّيْتُ)؛ لأنَّ الماء يجتمع فيها، وما ذهب إليه ابن عيسى هو مذهب الزجاج وابن جني، ووصفه ابن بري بأنه مذهب المحققين. انظر: «العين» (٨/ ٢٤٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٧٥)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٢٤٩)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٩١)، و«تاج العروس» (٣٧/ ٢٦٤).

(٤) فالأولى من (ث و ب)، فحُذفت الواو من وسطها، وعُوِّض عنها بتاء مربوطة في آخرها، والثانية من (ث ب ي)، فحُذفت الياء، وزيد في آخرها تاء مربوطة.

(٥) أي: جُمعت (ثبة) جمعَ المذكر السالم مع أنها غير دالة على الذكور العقلاء تعويضاً عن منعها من جمع التكسير بسبب ما أصابها من حذف، ولكنَّ ثاءها تُكسر عند جمعه جمعَ المذكر السالم، ومن العرب من ضمَّها، والضَّمةُ في (ثُبون) غيرُها في: (ثُبةٍ) عند المحقِّقين. انظر: «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٤/ ٣٢٧)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٢٥٤)، و«شرح التعريف» لابن إياز (ص: ١٨٢).

(٦) لم أقف على هذه القراءة، وقد ذكر الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٣) أن بعض العرب توهَّم في بعض الأشعار في كلمة (ثبات)؛ فنصبها بالفتحة مع أنها ينبغي أن تُنصب بالكسرة؛ لأنها جمع مؤنث، وقد ذكر تلميذ المصنِّف شمس القراء محمد الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ١٣٧) أنَّها لغة لبعض العرب، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٠٣): «لم يُقرأ (ثُباتٍ) فيما علمناه إلا بكسر التاء».

﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ قيل: مع النَّبيِّ عليه السَّلام[1].

وقيل: إذا كثُرَتِ الأعداءُ.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾؛ أي: من عِدادِكم.

وقيل: منكم في الحُكم.

وقيل: فيكم.

﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ وأصحابِه[2].

وبطَّأَ[3]: تأخَّرَ، فيكونُ لازمًا؛ أي: تثاقلَ مرّةً بعدَ أخرى.

والتَّبطئةُ[4] والإبطاءُ: إطالةُ مدّةِ العمل.

ويأتي (بطَّأَ)[5] متعدِّيًا، تقولُ: بَطُؤَ وبطَّأَ[6] غيرَه، فيكونُ المفعولُ من الآية محذوفًا.

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: هزيمةٌ.

---

(١) أي: إنما يجب خروج جماعة المسلمين كافة إذا دعاهم النبي ﷺ للخروج.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٠٤)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٨٨) عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٣٨٨).

(٣) في (و): «وأبطأ».

(٤) «والتبطئة» من (ن).

(٥) في (و): «وأبطأ».

(٦) في (و): «وأبطأ».

﴿قَالَ﴾؛ أي: المبطِّئُ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾، فيصبني[1] مثلَ ما أصابَهم.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: ظفرٌ وغنيمةٌ.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المبطِّئ متلهِّفًا على ما فاتَه من الغنيمةِ[2]، وحسدًا على المؤمنين، لا طلبًا للمَثوبةِ، ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: أنالَ ما نالوا.

وفي قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه اعتراضٌ، وحقُّه التَّقديمُ، تقديرُه: قد أنعمَ الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيدًا كأن لم تكن بينكم وبينه مودّةٌ؛ أي: كأن[3] لم يعاهدكم.

والثّاني: اعتراضٌ، وحقُّه التَّأخيرُ؛ تقديرُه[4]: فأفوز فوزًا عظيمًا كأن لم تكن بينكم وبينه مودّةٌ؛ أي: تمنَّى ذلك كأنَّه لم يدخلْ في جملتِكم وإن لم يكن بينكم محبّةٌ.

والثّالث: أنَّه في موضعِه، وهو حالٌ؛ أي: يقولُها في حالةٍ كأنْ لم يكن بينكم وبينه مودّةٌ.

والقولُ في هذه الوجوه: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ﴾.

---

(١) في (و): «أفيصيبني».

(٢) «من الغنيمة» من (ن).

(٣) في (و): «كأنه».

(٤) «تقديره» من (ن).

والرّابع: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ﴾ من جملةِ القول؛ أي: يقولُ المبطِّئُ لمن تخلَّفَ عن الغزو من المنافقين وضَعَفةِ المؤمنين ومَن تخلَّفَ بإذنٍ(١): كأن لم يكن بينكم وبينه مودّةٌ فيخرجَكم إلى الجهاد، فتفوزوا بما فازوا، يا ليتني كنتُ معهم، فأفوزَ معهم فوزًا عظيمًا.

وأصلُ ﴿كَأَن﴾: كأنّه، فلمّا خُفِّفَ حُذِفَ الاسمُ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾: يبيعون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالدّارِ الآخرةِ ونعيمِها.

﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مجتهدًا صابرًا، ﴿فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ قُتِلَ واستُشهِدَ(٢) أو غَلَبَ فظفرَ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في حالِ ترككِم القتالَ وقد ظهرَتْ دواعيه.

و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: حالٌ، والمعنى: لِمَ لا تُقاتلون؟

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأعمالُ التي تُؤدِّي إلى رضاه.

﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾؛ أي: وفي المستضعفين(٣)؛ أي: عنهم.

---

(١) في (و): «بإذن الله».

(٢) في (و): «أو استشهد».

(٣) «أي وفي المستضعفين» من (ن).

وقيل: في سبيلِ الله وسبيلِ المستضعفين؛ أي: في إعزازِهم وتنجيتِهم من الكفّار.

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ كانوا بمكّةَ يلقَون من المشركين أذًى كثيرًا.

و(الوِلْدانُ): جمعُ وَلَدٍ؛ كـ(بَرَقٍ) و(خَرَبٍ)[1].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: يتضرَّعون في طلبِ التَّخليصِ إلى الله.

قولُه: ﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من مكّةَ.

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفرِ.

الفعلُ للأهلِ، والصِّفةُ لـلقرية.

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يستنقذُنا من أعدائِنا.

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرُنا عليهم.

فاستجابَ اللهُ دعاءَهم، وبعثَ رسولُ الله عليه السَّلام عتّابَ بنَ أَسِيدٍ[2] فأنقذَهم، فصاروا أعزَّ مَن بها[3].

---

(١) ويجمعان على خِرْبان وبِرْقان، وجمعُ (فَعَل) على (فِعْلان) هنا سماعي؛ لأنه صحيح العين، وإنما يكون هذا الجمع قياسياً عندما يكون (فَعَل) اسماً لا صفة، ويكون معتل العين، ويكون اعتلاله بالواو لا بالياء، ويكون مذكّراً لا مؤنّثاً، كما في «شرح ألفية ابن مالك» للشاطبي (٧/ ١٥٠ ـ ١٥٤). والخَرَبُ: ذكر الحبارى، كما في «جمهرة اللغة» مادة: (خ ر ب) (١/ ٢٨٨)، والبَرَقُ برم الحبل بقوة سوداء وقوة بيضاء، كما في «العين» (٥/ ١٥٥).

(٢) هو أبو عبد الرحمن عتّاب بن أَسِيد بن أبي العيص القرشي الأموي، كان صالحًا فاضلاً، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح، فلم يزل عتاب أميرًا على مكة حتى قبض رسول الله ﷺ، وأقره أبو بكر عليها، فلم يزل إلى أن مات، وقيل: مات يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ورجح ابن حجر أنه عاش إلى آخر خلافة عمر رضي الله عنه، وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٠٢٣ ـ ١٠٢٤)، و«أبنية الأسماء والأفعال والمصادر» لابن القطاع (ص: ١٤٢)، و«الإصابة» (٤/ ٣٥٦)، و«تبصير المنتبه» لابن حجر (١/ ٤٤).

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤) بلا نسبة، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٥٧) =

(٧٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ اللهِ وطاعتِه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشَّيطانِ.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: وساوسَه.

والكيدُ: السَّعيُ في فسادِ الحالِ على جهةِ الاحتيال.

﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ لأنَّه غرورٌ لا يَؤولُ إلى محصولٍ، فلا تأثيرَ له إذا جاءَ نصرُ الله وعونُه.

* * *

(٧٧) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ الكلبيُّ: نزلَت الآيةُ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلام؛ منهم: عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، والمقدادُ بنُ الأسود، وقدامةُ بنُ مظعونٍ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، كانوا يلقون من المشركين أذًى كثيرًا، ويقولون للنَّبيِّ ﷺ: ائذنْ لنا في قتالِ هؤلاء، ويقولُ لهم: «كفُّوا أيديَكم»[1]؛ أي[2]: عن القتالِ.

= عن الكلبي بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٦) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٩) بلا نسبة، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «أي»: ليست في (ن).

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يخافون أن يقاتلَهم الكفّارُ كما يخافون أن يُنزِّلَ اللهُ عليهم بأسَه[1].

وقيل: يخافون القتلَ كما يخافون الموت.

﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾: بل أشدَّ خشيةً.

وقيل: الإبهامُ على المخاطب.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ﴾: هلّا ﴿أَخَّرۡتَنَآ﴾: أمهلتنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾؛ أي: الموت.

﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾: سريعُ الانقضاءِ.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ لدوامِها ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّركَ والمعصيةَ.

﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قليلًا ولا كثيرًا.

وقيل: الآيةُ نزلَت في المنافقين[2]؛ لأنَّ الزَّكاةَ لم تكن فُرِضَت بمكّةَ، وأنَّ المنافقَ لا يخشى الله.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾.

---

(١) ذكر مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٣٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٦٠٦) أن الذي كره القتال هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٦).

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـمّا استُشهدَ(١) مَن استُشهدَ يومَ أحدٍ قال المنافقون الذين تخلَّفوا عن الجهاد: لو كان إخوانُنا الذين قُتلوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، فأنزلَ الله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا ﴾(٢)؛ أي: في أيِّ مكانٍ كنتُم ﴿يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾: يَنلْكُم.

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ ﴾: حصونٍ، وقيل: قصورٍ، وقيل: البيوتِ التي فوقَ الحصون.

السُّدِّيُّ والرَّبيعُ: هي قصورٌ في السَّماءِ بأعيانِها(٣).

وأصلُه من الظُّهورِ، من (تبرَّجَتِ المرأةُ)؛ إذا ظهرَتْ(٤).

وقيل: من العظمةِ، وهذا أولى؛ لاطِّرادِ الأصلِ عليه كيفَ(٥) دارَ(٦).

---

(١) في (و): «استشهد الله من المسلمين».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٣٤)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٩)، وذكر ابن حجر أنها من طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٠٨) عن السدي بلفظ: «هي قصور بيض في سماء الدنيا مبنية»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧) عن الربيع بلفظ: «ولو كنتم في قصور في السَّماء»، وما ذكره المصنِّف هو لفظ الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦١١).

(٤) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤)، والعسكري في «تلخيص أسماء الأشياء» (ص: ١٧٥ و٢٥٤)، وجعل ابن فارس الباء والراء والجيم على أصلين؛ أحدهما: الظهور، والآخر: الملجأ، وذكر أنَّ بروج السَّماء من الثاني. انظر: «مقاييس اللغة» مادة: (ب ر ج) (١/ ٢٣٨).

(٥) في (ن): «كيف ما».

(٦) أشار إلى ذلك ابن جني في «المنصف» (ص: ٣٩) فقال: «ونظيرُ هذا قولهم: جبرت الشيء؛ إذا قويته ومكَّنته، ثم قالوا: بُرْج، والبروجُ الحصونُ، وهي تمنع مَن فيها وتُعِزُّه، وقالوا: (الـمُرَجَّب) للمعظم، وتعظيمُكَ الشَّيءَ ومنعُك منه وجبرُك إياه قريبٌ بعضُه من بعض في المعنى، وليس (جبرت) على تأليف (برج) ولا على تأليف (المرجب)؛ لأجل التقديم والتأخير؛ فالحروف واحدة، واللفظ متفق، والنظم مختلف، وهذا باب واسع يعمُّ أكثر اللغة، ويحتاج الناظر فيه والباحث عنه إلى أن يكون لطيف النظر».

﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: رفيعةٍ مطوَّلةٍ، تقولُ: شادَ البناءَ؛ رفعَه، وشيَّدَه؛ بالغَ في الشَّيْدِ[١].

وقيل: ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مزيَّنةٍ بالشِّيْدِ، وهو: الكِلْسُ والجصُّ[٢].

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾: خصبٌ وسعةٌ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدبٌ وسَنةٌ وفقرٌ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾: من محمَّدٍ.

وذلك أنَّ المنافقين واليهودَ كانوا إذا أصابَهم خيرٌ حمدوا الله، وإذا أصابَهم مكروهٌ نسبوه إلى شؤمِ محمَّدٍ، وكذَّبهم الله فقال: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾.

الحسنُ وابنُ زيدٍ: الحسنةُ: الظَّفرُ كيوم بدرٍ، والسَّيِّئةُ: الهزيمةُ كيومِ أُحدٍ[٣].

أي: كلُّ ما ذكرتم من المكارهِ والمحابِّ والظَّفرِ والهزيمةِ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؛ أي: القرآن؛ أي: لو تدبَّروا لبصَّرَهم في الدِّينِ وأورثَهم اليقين.

ابنُ بحرٍ: لامَهم على تركِ التَّفقُّهِ بما علَّمَهم وأدَّبَهم به في كتابِه[٤].

وقيل: مالهم لا يعرفونَ قولًا إلّا الكذبَ؟!

* * *

(٧٩) ـ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ قيل: هذا متَّصلٌ بالأوَّلِ على الحكايةِ؛ أي: لا يكادون يفقهونَ حديثًا يقولونَ: ما أصابَك...

---

(١) انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٥٠٥).

(٢) انظر: «تاج العروس» مادة: (ش ي د) (٨/ ٢٦٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٠٩) عن الحسن وابن زيد.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧١٨).

وقيل: حديثًا: قولًا: ما أصابَك... فيكون في موضع مفعولِ الحديث؛ أي: لا يفقهون بطلانَ قولِهم هذا.

وقيل: هو استئنافٌ، والمعنى: ما أصابَك من حسنةٍ أيُّها الإنسانُ، وقيل: يا محمَّدُ.

﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: مِن تفضُّلِه.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: هزيمةٍ وجَدْبٍ.

﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: فبما كسبَت يداك[1]؛ أي: جزاءً لذلك.

الدِّمياطيُّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ فتحٍ وغنيمةٍ يومَ بدرٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وما أصابَك يومَ أُحدٍ من المكروه فبذنبِك باختلافِ قومِك وعصيانِهم، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام والمرادُ به الأمّة[2].

وقيل: المرادُ بالحسنة: الطّاعةُ، وبالسَّيِّئةِ: المعصيةُ، وفيه بُعدٌ[3].

وما رُوِيَ في الشَّواذِّ: (فمَن نفسُك)[4]..

---

(١) في (و): «أيديكم».

(٢) ذكر الزجاج أنَّ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٩).

(٣) قال الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦١٧): «ولا تعلق للقدرية بهذه الآية؛ لأن الحسنة والسيئة المذكورتين هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية وأكساب العباد بحالٍ، ولا يجوز ذلك، قال ابن الأنباري: لأن الحسنة التي يُراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتني، إنما يقال: أصبتها، وليس في كلام العرب: (أصابت فلانًا حسنةٌ) على معنى: عمل خيراً، وكذلك (أصابته سيئة) على معنى: عملَ معصية غيرُ موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئةً؛ إذا عملها واكتسبها، واللغة تُروى، ولا تُعمل عملًا، فانفساخ قول القدرية واضح بين». وانظر: «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية» (٢/ ٥٢٦)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٥١٦).

(٤) نُسبت هذه القراءة لابن عمير كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٨).

و(مَنُّ اللهِ)[١]، و(أفمِن نفسِك وأنا قدَّرتها عليك)[٢]، فلا تعرِّجْ عليه؛ لشذوذِه ولمخالفةِ الإمام.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ فليس عليك إلّا البلاغُ.

الزَّجّاجُ: ذكرُ (الرَّسولِ) توكيدٌ[٣]؛ لأنَّ ﴿أرسلناك﴾ يدلُّ على أنَّه رسولٌ[٤].

ويحتمل أنَّه توكيدٌ حيث يُستعمَلُ الإرسالُ في الأشياء[٥].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتِك بتأييدِه إيّاك بالمعجزات.

* * *

(٨٠) ـ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنَّه يدعو إلى طاعتِه، وهي الموافقةُ لإرادته[٦].

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرضَ عن طاعةِ الرَّسولِ.

---

(١) نُسبت هذه القراءة لرويس عن يعقوب كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٨)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٣٥).

(٢) نُسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما كما روى ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٥٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٠٠)، ونُسبت إليهما وإلى علي بن الحسين وجعفر بن محمد وزيد بن علي كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٩)، ونُسبت لابن عباس رضي الله عنهما كما روى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٠٠)، لكنَّها بلفظ: (وأنا كتبتها عليك). وقد ذُكرت القراءة في هذه المصادر بلا همزة الاستفهام، وانظر: «الهداية» لمكي (٢/ ١٣٩٤)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٣٥).

(٣) في (و): «ذكرَ الرسولَ توكيداً».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٠).

(٥) في (و): «أشياء»، وفي العبارة شيء.

(٦) «إيّاك بالمعجزات لأنه يدعو إلى طاعته وهي الموافقة» من (ن).

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾؛ أي: لـم نرسـلْكَ حافظًا لأعمالِهـم فتخافَ أن لا تقـومَ بها[1].

وقيل: عن التَّولِّي.

وقيل: حافظًا عن المعاصي حتى لا تقعَ.

وقيل: حافظًا حاسبًا مجازيًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي منسوخةٌ[2].

وقيل: محكمةٌ.

***

(٨١) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ ﴾ الحسنُ: هم المنافقون[3].

وقيل: هم الذين يخشونَ النّاس؛ أي: إذا حضروا أطاعوك، وتقديرُه: منّا طاعةٌ، وأمرُنا طاعةٌ.

---

(١) في (و): «به».

(٢) ذهب ابن سلامة المقري في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٦) إلى أن الآية منسوخة، وإلى ذلك ذهب ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٤)، وقال ابن الجوزي في «المصفى» (ص: ٢٥): «زعم قوم أنها نسخت بآية السيف، وليس بصحيح؛ لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيرها: ما أرسلناك عليهم رقيبًا تؤخذ بهم، فعلى هذا لا نسخ»، وكلام الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٨٥) يُوهم أن ذلك مروي عن ابن عباس، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين، فإنه نسخ ذلك قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦٢١) عن الحسن والسدي والضحاك وأكثر المفسرين.

﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾: خرجُوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآيِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قَصَدَتْ.

وأجمع المفسِّرون على أنَّ التَّبييتَ يُقالُ لكلِّ ما قُدِّرَ ليلًا.

وزاد ابنُ عيسى معنى الإخفاءِ في النَّفس، قال[1]: ولذلك لم يَجُزْ وصفُ الله به.

والمعنى: أضمروا خلافَ ما أظهروا.

وقراءةُ أبي عَمرٍو وحمزةَ: ﴿بَيَّت طّائفةٌ﴾[2] يجوزُ أن تكون من (التَّبييت)، ويحتمل أنَّه من (بَيَّى يُبَيِّي)؛ إذا قصدَ[3]؛ لأنَّ بعضَ القرّاءِ يروي لهما بالإدغامِ في الصَّغير والكبير[4]، قال:

لـمّا تَبَيَّيْـنا أَخـا تَمِيْـمِ
أَعْطَى عَطاءَ اللَّحِزِ اللَّئيمِ[5]

وكذلك: (حيّاه وبيّاه) عندَ بعضِهم.

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الطاء، وباقي السبعة بفتح التاء من غير إدغام. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) في (و): «قصده».

(٤) يُقصد بالإدغام الكبير: ما كان الأول من الحرفين متحركًا، سواء أكانا متماثلين أم متجانسين أم متقاربين، واشتهر به أبو عمرو بن العلاء، ويقصد بالصغير: ما كان الأول منهما ساكنًا. انظر: «النشر» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧).

(٥) الرجز بلا نسبة في «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٢٥)، و«الألفاظ» له أيضاً (ص: ٤٣٤)، و«الفاخر» للمفضل (ص: ٣)، و«جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٥٤)، و«الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٦٣)، و«الإتباع» لأبي الطيب اللغوي (ص: ٢٤)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٢٦)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٨٩)، ويروى: «الماجد الكريم» بدل «اللحز اللئيم».

وقيل: التَّبييتُ: التَّبديلُ بلغةِ طيِّءٍ[١]، قال شاعرُهم[٢]:

بَيَّتَ قَولِي عندَ المليكِ قاتَلَكَ اللهُ عبدًا كَفُورا[٣]

وقولُه: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ يجوزُ أن يكون الفعلُ لمن له تقولون، فأنَّثَ للجماعة، ويجوزُ للطّائفة، ويجوز أن يكون للنَّبيِّ عليه السَّلام.

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يكتبُه، وينزلُه عليكَ في القرآن.

وقيل: يكتبُه في اللَّوحِ؛ ليجازيَ عليه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تهتكْ أستارَهم إلى أن يَأمرَ الله فيهم.

وقيل: معناه: لا تبالِ بهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كِلْ أمورَكَ إليه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: اكتفِ به وكيلًا.

والوكيلُ: القائمُ بما فُوِّضَ إليه من التَّدبير.

* * *

(٨٢) ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: يتأمَّلون[٤] في معانيه ومبانيه.

والتَّدبُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في العواقب.

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٤٤٤).

(٢) «شاعرهم» من (ن).

(٣) البيت لأسود بن عامر بن جوين الطائي، كما ذكره الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٧٢)، وفيه: «كنودا» بدل «كفورا».

(٤) في (ن): «لا يتأملون».

والتَّفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في الدَّلائل.

وهـذا قاطـعٌ لقول مَـن زعم مـنَ الرّافضـةِ أنَّ القـرآنَ لا يُفهَم معناه إلّا بتفسـيرِ الرَّسولِ له[1].

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كـما زعـمَ الكـفّارُ ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ يـريـد: اختلافَ التناقُضِ، وهو ما يدَّعيه بعضُ الزَّنادقةِ من نحوِ قولِه سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ثم فصَّلَ في (السَّجدة) فكان ثمانية أيّامٍ[2]، ونظائرُه التي حكاها عنهم الجاحظُ والقتبيُّ[3] وغيرُهما، وسيأتي في مواضعِه مبيَّنًا بحمدِ اللهِ لا تناقُضَ فيه ولا تبايُنَ، بل ذلك من جهلِهم بتأويلِ القرآنِ وسوءِ مُعتقَدِهم.

وأمّا اختلافُ المعاني من الأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيد، والنّاسخِ والمنسوخِ، وغيرِ ذلك ممّا اشتملَ عليه القرآنُ، فليس ذلك باختلافِ تناقضٍ، وكذلك اختلافُ القراءاتِ والطُّرُقِ والرِّوايات، والسُّور والآياتِ في الطُّول والقِصَر.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

---

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٢٦).

(٢) ليست هذا التفصيل في سورة (السجدة)، بل في سورة (فصلت) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]، وانظر في بيان ذلك: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٦٠١).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٤) وما بعدها.

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ الضَّحّاكُ في جماعةٍ: المنافقين[(١)].

الحسنُ والزَّجّاجُ: ضعفةَ المؤمنين[(٢)].

وقولُه: ﴿أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾؛ أي: ما يُوجِبُ الأمنَ من العدوِّ أو الخوفَ منهم.

﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أفشَوه، والإذاعةُ: الإفشاءُ والتَّفريق، يُقالُ: أذاعَه وأذاعَ به.

والهاءُ تعودُ إلى الأمرِ، ويجوز أن تعودَ إلى الأمنِ أو الخوفِ فوحَّدَ؛ لأن (أو) تقتضي أحدَهما[(٣)].

وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام كان يبعثُ السَّرايا، فإذا غَلَبوا أو غُلِبوا بادرَ المنافقون أو الضَّعفةُ بالاستخبارِ عن حال السَّرايا، فيفشونه ويحدِّثون به قبلَ أن يحدِّثَ به رسولُ الله عليه السَّلام[(٤)].

وقيل: هو ما كان ينزلُ من الوحي بالوعدِ بالظَّفر، أو بتخويفٍ من جهةِ الكفّار، وكان يخبرُهم النَّبيُّ عليه السَّلام بذلك، ويشيرُ إليهم، فيُذيعون ويُفشونه، وكان في ذلك مضرّةٌ على المسلمين[(٥)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠١٤) عن الضحاك، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥١١)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٦٣٤).

(٣) «والهاء تعود إلى الأمر ويجوز أن يعود إلى الأمن أو الخوف فوحَّد لأن أو تقتضي أحدهما» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٩٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٩)، وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٧/ ٢٥٣) عن ابن جريج.

(٥) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٣٩): «وفي المراد بالأمن أربعة أقوال؛ أحدها: فوز السرية =

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ الهاءُ تعودُ إلى ما يعودُ إليه الأوَّل.

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يُرَدُّ إلى رأيِه، وقد يُستعمَلُ الرَّدُّ ابتداءً كما يُقالُ: هذا يُرَدُّ إلى رأي القاضي.

﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: الأمراءُ والولاةُ، وقيل: أمراءُ السَّرايا.

والحسنُ في جماعةٍ والزَّجّاجُ: أهلُ العلمِ والفقهِ[1].

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾: يَستخبرون ويَتحسَّسون، وأصلُه من (النَّبَطِ)، وهو: الماءُ يخرجُ من البئرِ أوَّلَ ما تُحفَرُ، ومنه (النَّبَطُ)[2]؛ لاستنباطِهم العيونَ.

﴿مِنْهُمْ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الرَّسول وأولي الأمر.

ويجوزُ أن يعودَ إلى المنافقين والضَّعفة، والمعنى: لو سكتوا عنه حتَّى يكونَ الرَّسولُ هو الذي يُفشي لعلمَه الذين يطلبون علمَ ذلك.

= بالظفر والغنيمة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله ﷺ من الموادعة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مخرجًا من حديث عمر.

وفي الخوف ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه النكبة التي تصيب السرية، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجمعون للنبي ﷺ فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨١) عن الحسن، لكن في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩]، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦) عن قتادة وابن جريج، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٨٣).

(٢) وهم جيل يسكنون العراق، ويُعرفون بالأنباط أيضاً. انظر: «تاج العروس» مادة: (ن ب ط) (٢٠/ ١٣١).

ولو قيل: لو أظهروا[١] له هذا الخبر حتى يكونَ هو المفشي له.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾: لطفُه ومِنّتُه.

وقيل: محمَّدٌ والقرآنُ.

﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[٢]:

أحدها: إلَّا اتِّباعًا قليلًا.

والثّاني: إلّا قليلًا[٣] ممَّن هُديَ إلى[٤] الإسلامِ قبلَ محمَّدٍ عليه السَّلام والقرآنِ من طلّابِ الدِّين؛ كزيدِ بنِ عَمرو بن نُفيلٍ، وورقةَ بنِ نوفلٍ وغيرِهما.

والثّالث: أذاعوا به[٥] إلّا قليلًا.

والرّابع: لعلمَه الذين يستنبطونَه إلَّا قليلًا.

وعلى هذين القولين تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾[٦].

ويُحتمَلُ أن يكونَ الاستثناءُ من كلٍّ واحدٍ من الضَّميرِ الذي تقدَّمَ في الآية، نحو: ولـمّا جاءهم إلّا قليلًا لم يجئهم حيث لم يقصدوا بالإخبار، وكذلك أذاعوا به إلّا قليلًا، وكذلك سائرُها[٧].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «ظهروا».

(٢) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ١٧٤)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥١١).

(٣) «إلا قليلاً» من (ن).

(٤) «إلى» من (ن).

(٥) في (و): «إذ أغواه».

(٦) ذكر أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ١٣١) القولين، وذكر أن الوقف على ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ غير تام.

(٧) ذكره النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٨٤) ـ ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾؛ أي: فِعْلَ نفسِكَ.

﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ﴾: يمنعَ ﴿بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بطشَهم وشدَّتَهم.

أجمعُوا على أنَّ (عسى) من الله واجبٌ[1]، فهذا بشارةٌ للمؤمنين بالظَّفرِ والنُّصرةِ وإبطالِ كيدِ الكفرة.

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾: عقوبةً.

وقيل: الشُّهرةُ بالأمورِ الفاضحةِ.

وأصلُه النُّكولُ، وهو الامتناعُ خوفًا.

***

(٨٥) ـ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾.

﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ أصلُ الشَّفاعةِ من (الشَّفع)؛ لأنَّ الواحدَ الفردَ إذا استعانَ بغيرِه صارَ معه شَفعًا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٩٠٥) عن ابن عباس، وذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٠٢)، والخليل في «العين» (٢/ ٢٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٧)، وتتابع على ذكره المفسرون، وقد ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦) قولاً آخر، وهو: أنَّ (عسى) من الله واجب إلا في هذه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾.

والمعنى: مَن يشفعْ في صاحبِه أن ينالَه خيرٌ بمسألتِه، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ من ثوابِ الشَّفاعة، أو منَ الحسنةِ.

﴿يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: فكذلك إذا سأَلَ أن ينالَه مكروهٌ.

وقيل: الشَّفاعةُ الحسنةُ: الدُّعاء للمؤمنين، والشَّفاعةُ السَّيِّئةُ: الدُّعاء عليهم.

وقيل: الشَّفاعةُ: المظاهرةُ والمعونةُ.

والكِفلُ: النَّصيبُ الوافرُ.

ابنُ عيسى: أصلُه: الكفلُ، وهو: المركبُ الذي يُهيَّأ كالسَّرجِ للبعيرِ[١].

الحسنُ وقتادةُ: الكِفلُ: الوِزرُ والإثمُ[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ الكسائيُّ وابنُ زيدٍ والسُّدِّيُّ: مقتدرًا[٣]، وأنشد:

وذي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ الضِّغْنَ عنهُ ... وكُـنْـتُ على مَسـاءَتِه مُقِيتا[٤]

---

(١) ذكر في «العين» (٥/ ٣٧٣) أنَّ الكِفْل النصيب، وأنَّه شيء يوضع على سنام البعير، وذكر أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٤٧٥) نحو كلام ابن عيسى عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٠) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠١٩) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٢) عن الحسن وقتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عن ابن زيد، والسدي، وذكره ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٨٣) عن الكسائي، وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٠).

(٤) البيت مختلف في نسبته؛ فهو للزبير بن عبد المطلب في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٧٢)، و«تفسير ابن المنذر» (٢/ ٨١٥)، و«النكت والعيون» (١/ ٥١٤)، ولأحيحة بن الجلاح في «إيضاح الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٨٠)، ولامرئ القيس في «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٥٩٧)، ولأبي قيس بن الرفاعة في «شمس العلوم» (٨/ ٥٦٧٧)، وللزبير أو لأبي قيس أو لثعلبة بن محيصة الأنصاري في «تاج العروس» مادة: (ق و ت) (٥/ ٥١)، ويُروى: «كففت النفس» بدل «كففت الضغن».

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حافظًا[1]، وإليه ذهبَ الزَّجّاج[2].

مجاهدٌ: المقيتُ: الشَّهيد[3].

وقيل: الحسيبُ، وقيل: المجازي، وقيل: المواظِبُ، وقيل: المحيط، حكاها أقضى القضاة[4].

ابنُ عيسى: أصلُه من (القُوتِ)، أقاتَ: اقتدَرَ على القُوت.

وقولُه عليه السَّلام: «كَفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُضيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[5]، ويُروى: «مَنْ يُقِيْتُ»[6]، رواه الفرّاء؛ يُحتمَلُ أن يكونَ (مَن يقوتُ[7]) عيالَه، ويُحتمَلُ أن يكون (مَن يقوتُ[8]) هو اللهُ سبحانه، على تقديرِ: أمْرَ مَن[9] يَقُوتُ.

***

(٨٦) ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٤).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٥١٣)، وفيه ذكر الأقوال الخمسة الأولى، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٣٥): «حافظًا محيطًا».

(٥) رواه أبو داود (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ورواه مسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قوته».

(٦) قال الفراء: «يقيت ويقوت». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨٠).

(٧) في (ن): «يقيت».

(٨) في (ن): «يقيت».

(٩) «من» من (ن).

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّها السَّلام، والسَّلامُ سُنَّةٌ، والجوابُ فرضٌ.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ هو أن يزيدَ في الجواب: (ورحمةُ الله)، فإن ذكرَهما المسلِّمُ زادَ في الجواب: (وبركاتُه)، وهي النِّهايةُ[1].

﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ قيل: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ إنْ كان مسلمًا، ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ إن كان ذمِّيًّا.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ مجاهدٌ: حافظًا[2]؛ أي: يُحصي الأعمالَ إحصاءَ الحافظِ.

وقيل: مُحاسبًا؛ أي: مُجازيًا.

الزَّجّاجُ: مِن (أَحْسَبَني)؛ أي: كفاني[3]، و(على) تدفعُه[4].

* * *

(١) يقال: لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام كلمة «وبركاته». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢١)، ولكن بلفظ: «حفيظًا».

(٣) ما ذكره المصنف هو كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٣٥)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٧)، وردَّ هذا الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٩)، وذكر الزجاج نحوه في هذه الآية فقال: «أي: يعطي كل شي من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه؛ أي: يكفيه، تقول: حسبك بهذا؛ أي: اكتفِ بهذا»، وذكر لفظ المصنف في موضع آخر، وقد عدَّه المصنف من العجائب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٧) و(٥/ ٢٧٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٠١).

(٤) في (ن): «وأبو علي يدفعه»، ولعل الصواب ما في (و)؛ لأنه كذلك في «غرائب التفسير»، ولأنني لم أقف على كلام لأبي علي حول هذا فيما بين يديَّ من كتبه، والمعنى: استخدام (على) مع (حسيب) في مثل قولنا: الله حسيبٌ على خلقِه؛ يدفع أن يكون المراد: كافياً، ولو كان هذا المراد لقلنا: الله حسيبٌ خلقَه. وانظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٧٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ١٥١).

(٨٧) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾؛ أي: والله ليجمعنَّكم ويحشرُكم ويسوقُكم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

ويحتملُ: ليجمعنَّكم في القبورِ إلى يومِ القيامة.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ في اليومِ.

ويحتملُ: في الجمع.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا ترتابوا فيه.

وقيل: لا ريبَ فيه[1] لمن تأمَّلَ حقَّ التَّأمُّل.

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: قولًا في إخبارِه ووعدِه ووعيدِه، استفهامُ نفيٍ؛ أي: لا أحدَ أصدقُ منه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾.

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ في سببِ نزولِه خمسةُ أقوالٍ:

ـ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في قومٍ بمكّة، أظهروا الإسلامَ، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين[2]، تُقوِّيه الآيةُ الأخرى.

---

(١) «لا ترتابوا فيه وقيل لا ريب فيه» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٣)، ولفظ الطبري: «وذلك أن قوماً كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد عليه الصَّلاة والسلام فليس علينا =

ـ زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: نزلَت في الذين تخلَّفوا يومَ أحدٍ وقالوا: لو نعلمُ قتالًا لاتَّبعناكم(١).

ـ الحسنُ ومجاهدٌ: نزلَت في قومٍ قدمُوا المدينةَ، وأظهروا الإسلامَ، ثم رجعُوا إلى مكّةَ، وأظهروا الشِّرك(٢).

ـ ابنُ زيدٍ: نزلَت في أهلِ الإفك؛ أي: قصّة عائشةَ رضي الله عنها(٣).

ـ السُّدِّيُّ: نزلَت في قومٍ من أهلِ المدينة، أرادوا الخروجَ منها نفاقًا(٤).

= منهم بأس. وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الخبثاء فاقتلوهم؛ فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم. وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله ـ أو كما قالوا ـ أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم لذلك؟ فكانوا كذلك فئتين، والرسول عليه الصَّلاة والسلام عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء؛ فنزلَت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾.

(١) رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦)، ولفظ البخاري: «لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢٠) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٤) عن الحسن ومجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٥)، والأقوال الخمسة ذكرها الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٣)، وزاد عن الضحاك: أن قوماً أعلنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وباء بالمدينة وحماها، فخرجوا فاستقبلهم نفر من المسلمين، فقالوا: ما لكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتويناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية.

قوله: ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ نصبُه على الحالِ عند البصريِّين(١).

الكوفيُّون: على معنى خبرِ (كان)(٢).

﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: ردَّهم(٣).

قال أُميّةُ:

فَـأُرْكِـسوا فـي حَـمـيـمِ الـنّـارِ إنَّهُمُ كـانوا عُصاةً وقالُوا الإفْكَ والزُّورا(٤)

قتادة: ﴿أَرۡكَسَهُم﴾: أهلكَهم(٥).

الزَّجّاجُ: ﴿أَرۡكَسَهُم﴾: نكَّسَهم بما كسبُوا بكفرِهم؛ أي: ردَّهم إلى أحكامِ الكفّارِ؛ فردُّوهم أيضًا، ولا تختلفُوا في كفرِهم(٦).

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أتنسبون إلى الهدايةِ مَن حَكَمَ الله بكفرِه؟!

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ إلى الهدايةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٦٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢١).

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت، كما في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٨١)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٢٨)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٨٩)، و«تفسير الرازي» (١٠/ ١٦٩)، أما في «ديوان أمية بن أبي الصلت» تحقيق: عبد الحفيظ السطلي (ص: ٤٠٨) فلفظ البيت:

أركسوا في جهنم أنهم كا نوا عتاة تقول إفكًا وزورا

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٨)، وفيه: «وتأويل ﴿أَرۡكَسَهُم﴾ في اللغة: نكسهم وردهم، يقال: أركسه وركسه. ومعنى ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾؛ أي: ردهم إلى حكم الكفار».

(٨٩) ـ ﴿وَدُّوا۟ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡا۟ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿وَدُّوا۟ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾؛ أي: يتمنَّون أن تكفرُوا فتصيرُوا مثلَهم، والفاءُ للعطفِ لا للجواب.

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُوالوهم حتى يُؤمنوا، فيهاجروا في سبيلِ الله إلى[1] المدينة.

قيل: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ما أمرَ بسُلوكِه مِن طاعتِه.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡا۟﴾ عن الإيمانِ ولم يهاجروا، ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ من حِلٍّ وحرمٍ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾: لا تُوالوهم ولا تَستنصرُوهم.

* * *

(٩٠) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُوا۟ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡا۟ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يَنتسبونَ[2]، وأنشدَ الأعشى:

إذا اتَّصلَتْ قالَتْ: أَبَكْرَ بنَ وائلٍ وبكْرٌ سَبَتْها والأنوفُ رَواغِمُ[3]

---

(١) «إلى» من (ن).

(٢) وقد ردَّ الطبري هذا التأويل للآية في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، وبيَّن أن انتساب مَن لا عهد له إلى ذي العهد لا يوجب أن يكون له عهد.

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» تحقيق: محمد حسين (ص: ٨١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٣٦)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٩٨)، و«تفسير الطبري» (٧/ ٢٩٤).

وقيل: ﴿يَصِلُونَ﴾ من الوصول.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عكرمةُ: هم قومُ هلالِ بنِ عُويمرٍ الأسلميِّ، وادَعَ رسولَ الله عليه السَّلام أن لا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومَن لجأ إليهم فله مثلُ ما لهلالٍ[1].

ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الذين بينكم وبينهم بنو بكرِ بنِ زيدِ بن مناة[2].

والجمهورُ على أنَّه خزاعةُ وذووهم[3].

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ﴾: ضاقَت ﴿صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾؛ أي: عن قتالِكم، هم بنو مُدلجٍ، اتَّصلوا بقريشٍ.

و﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: حالٌ؛ أي: قد حصرَت.

وقيل: دعاءٌ عليهم، وزيَّفه أبو عليٍّ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣) مختصرًا عن عكرمة بلفظ: «نزلَت في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن عبد مناف». وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٧) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٩) دون نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٥).

(٣) في (و): «فذووهم».

(٤) قال أبو علي الفارسي في «الإيضاح العضدي» (ص: ٢٧٧): «وما كان صفة للنكرة جاز أن يكون حالًا للمعرفة إلا الفعل الماضي؛ فإنه لا يكون حالاً حتى يكون معه (قد) مضمرة أو مظهرة، أو تجعل الماضي وصفاً لمحذوف، كقوله عز وجل: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: جاءوكم قومًا حصرت صدورهم، فحذف الموصوف المنتصب على الحال، وأقام صفته مقامه، ولا يجوز أن يكون «حصرت» دعاء».

وقيل: بدلٌ من ﴿جَآءُوكُمۡ﴾.

وقيل: صفةٌ لنكرةٍ؛ أي: قومًا حصرَت صدورهم.

والمعنى: لا تقتلوا مَن بينكم وبينَهم عهدٌ(١)، ولا مَنِ اتَّصلَ بهم، ولا مَن جاؤوكم حصرَت صدورُهم.

وقيل: ولا(٢) مَن اتَّصلَ بهم، أو جاؤوكم حصرَت.

﴿أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ معكم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ فقوَّى قلوبَهم، وأزالَ الحصرَ عن صدورِهم.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ والإسلامَ والاستسلامَ، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ بقتلٍ أو قتالٍ، ثم نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ.

* * *

(٩١) ـ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ: هم أسدٌ وغَطفانُ(٣).

الضَّحّاكُ: بنو عبد الدّار، أسلمُوا، ثم رجعُوا إلى ديارِهم، وأظهروا الكفرَ، وخالفُوا الإسلام(٤).

---

(١) في (ن): «عقد».

(٢) في (و): «بدلاً» بدل «ولا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٦) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥١٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٦) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾؛ أي: كلَّما دُعوا إلى الكفرِ عادُوا إليه.

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ، ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالِكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرتُم بهم[1].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ بالقتلِ والنَّهبِ[2] والسَّبي، والسُّلطانِ والحجَّةِ، والمبينُ: المظهِرُ للحقِّ.

* * *

(٩٢) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ في نزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

١ ـ مجاهدٌ وعكرمةُ قالا: نزلَت في حارثِ بنِ زيدٍ، كان قد أسلمَ ولم يشعر به عيّاشُ بنُ أبي ربيعة، فلقيَه في الطَّريق، فحملَ عليه وقتلَه[3].

٢ ـ قال الدِّمياطيُّ: نزلَت في أبي حذيفةَ وأبي الدَّرداء، كانا في قتالِ المشركين، فقتلَهما المسلمون ظنًّا أنَّهما من الكفّارِ لـمّا اختلطَ الفريقان[4].

---

(١) «بهم» من (ن).

(٢) في (و): «والنهي».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) عن عكرمة ومجاهد، إلا أن تسمية المقتول جاءت في رواية عكرمة، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٣٠) عن مجاهد.

(٤) ذكر أبي الدرداء هنا مشكل، وهذه القصة معروفة عن اليمان والد حذيفة، ذكرها المفسرون، وروى =

٣ ـ قال ابنُ زيدٍ: نزلَت في أبي الدَّرداءِ حين قتلَ الرّاعي[١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ نفى جوازَ قتلِ المؤمن، ومعناه النَّهيُ، وأفادَ دخولُ (كان) أنَّ هذا لم يزلْ حُكمَ الله، وليسَ بحادثٍ.

﴿إِلَّا خَطَئًا﴾ الجمهورُ على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن إنْ قتلَه خطأً، فجزاؤُه ما يُذكَر.

والخطأُ: فعلٌ لا يضامُّه القصدُ إليه بعينِه، بخلافِ العمد.

قال صاحبُ النَّظم: تقديرُه: وما كان مؤمنٌ ليقتلَ مؤمنًا، فهو نفيٌ[٢] غيرُ حظرٍ، قال: والاستثناءُ من النَّفي إثباتٌ، فيكونُ ﴿إِلَّا خَطَئًا﴾ إثباتَ خبرٍ لا إطلاقًا[٣].

وقيل: معناه: ليس القتلُ للمؤمنِ بمتروكٍ لا يُقتصُّ إلّا أن يكونَ خطأً.

وقيل: الخطأُ في المقتول؛ هل هو مؤمنٌ أم مشركٌ[٤]؟ لا في نفسِ القتل.

السُّدِّيُّ: قتلُ المؤمنِ للمؤمنِ يخرجُه عن كونِه مؤمنًا إلّا أن يكونَ خطأً[٥].

= أصلها البخاري (٣٢٩٠) عن عائشة رضي الله عنها، لكن دون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وانظر: «الهداية» لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٤١٨)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٢٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٩٢)

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٠): «وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء»؛ يعني: أسامة بن زيد، وحديثه رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، وسيذكره المصنف قريبًا.

(٢) في (و): «نهي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢)، واستغربه، وذكر مكي نحوه في «الهداية» (٢/ ١٤١٧) دون نسبة.

(٤) في (ن): «كافر».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «وهذا =

فيكون الاستثناءُ صحيحًا، وليس هذا معتقدَ أهلِ السُّنّةِ والجماعة[١].

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾؛ أي: بغيرِ سيفٍ وما يجري مجراه، أو قصدَ غيرَه من المباحِ فأصابَه؛ سواءٌ ضربَه بالسَّيفِ أو غيرِه.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقبةٍ مؤمنةٍ؛ عبدٍ أو أمةٍ، بالغةٍ؛ يصومُ ويصلِّي؛ عن الحسن[٢].

غيرُه: إذا وُلِدَ من مسلمَين جازَ وإن كان طفلًا[٣].

﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾: أهلِ المقتولِ، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾؛ أي: يَتصدَّقوا ويعفوا عنه.

والدِّيةُ: مئةُ إبلٍ، أو ألفُ[٤] دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ[٥]، تُوزَّعُ على عاقلتِه، فتُؤدَّى في ثلاثِ سنين.

= ضعيف، وليس بالمذهب»، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٠/ ١٧٥) بلا نسبة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ١٩) عن السدي.

(١) وإنما هو معتقد الخوارج على مذهبهم في مرتكب الكبيرة، وهو مذهب المعتزلة، وقال به من رؤسائهم أبو هاشم الجبائي. انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص: ٢١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٥١)، و«تفسير الرازي» (١٠/ ١٧٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٥٢٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٨)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مَن عقل الإيمان وصام وصلى»، ثم قال: «وروي عن سعيد بن جبير والحسن وإبراهيم والحكم نحو ذلك».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٨)، وقال: «هذا قول عطاء والشافعي».

(٤) في (و): «وألف».

(٥) هذا قول مالك والشافعي في القديم، أما الحنفية فيرون أنه عشرة آلاف درهم. انظر: «الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (٤/ ٢٥٨)، و«مختصر المزني» (٧/ ٣٥١)، و«المبسوط» للسرخسي (٢٦/ ٧٧)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٦/ ١٢٧).

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: وإن كان المقتولُ خطأً من قومٍ كفرةٍ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، ولا ديةَ له.

وقيل في معناه: في أيِّ قومٍ كفّارٍ، سواءٌ كانَ ورثتُه مسلمين أو كفّاراً.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾: بين المسلمين ﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهدٌ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أهلُ الكتاب[1].

الحسنُ: أهلُ عهدِ رسول الله عليه السَّلام من العربِ خاصّةً[2].

وقيل: عامٌّ في أهلِ الكتابِ والعهدِ[3].

﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ولم يذكر هاهنا (إلّا أن يصّدّقوا)، والعلّةُ أن يُقالَ: لـمّا عبَّر عن العفوِ بالصَّدقة، والمقصودُ هاهنا بالأهل: الكفّارُ من أهل الكتاب، لم يقل: (يصَّدَّقوا)؛ لأنَّ صدقةَ الكفّارِ لا تحلُّ للمؤمنين، والله أعلم[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٩)، وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٤) عنه أنه قال: «هو الرجل يكون معاهدًا ويكون قومه أهل عهد، فيسلم إليهم الدية، ويعتق الذي أصابه رقبة». وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣١٨) عنه قال: «إذا كان كافرًا في ذمتكم فقُتل، فعلى قاتله الدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة، أو صيام شهرين متتابعين»، وروى عنه (٧/ ٣٢٢) أيضاً أنه قال: «﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٩).

(٣) ذكر الماوردي الأقوال الثلاثة، ونسب هذا القول الثالث إلى الشافعي. انظر: «النكت والعيون» (١/ ٥١٩).

(٤) «والعلة أن يقال: لما عبر عن العفو بالصدقة، والمقصود ههنا بالأهل الكفار من أهل الكتاب لم يقل يصدقوا؛ لأن صدقة الكفار لا تحل للمؤمنين والله أعلم» من (ن).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾؛ أي: مَن لم يجدِ الرَّقبةَ، فعليه الصِّيامُ شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

وقيل: هي كفَّارةٌ عن الرَّقبةِ والدِّيةِ إذا لم يجدهما.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: فليتُبْ توبةً، فهي نصبٌ على المصدر.

وقيل: يصومُ توبةً؛ أي: للتَّوبة.

ابنُ عيسى: اعملوا بما أوجبَه الله للتَّوبةِ من الله[1]، فصارَ مفعولًا له[2].

ويحتملُ: تابَ اللهُ عليكم بالدِّيةِ وتحريرِ الرَّقبةِ توبةً[3]، بدليلِ قولِه: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ فيما أمرَ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدَّرَ.

* * *

(٩٣) - ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ اختلفَ المفسِّرون في هذه الآية:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا توبةَ لمن قَتلَ مؤمنًا متعمِّدًا، قال: وهذه آيةٌ مدنيَّةٌ نسخَتْ آيةً مكِّيَّةً[4]؛ يعني: ما في (الفرقان)[5] من قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ...﴾ [٧٠] الآية.

---

(١) ذكر الواحدي قول ابن عيسى بحروفه في «الوسيط» (٢/ ٩٥) بلا نسبة.

(٢) «له» من (ن).

(٣) «توبة» من (ن).

(٤) روى نحوه البخاري (٤٧٦٥)، ومسلم (٣٠٢٣)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٦٦).

(٥) في (و): «قلبه».

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما في جماعةٍ: له توبةٌ[(١)]؛ لأنَّ هذا ممّا لا يقعُ فيه ناسخٌ ولا منسوخٌ؛ لأنَّه خبرٌ ووعيدٌ[(٢)]، وقد جاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكذلك قولُه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ...﴾ [طه: ٨٢] الآية[(٣)].

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه: أنَّ التي في (الفرقان) نزلَت بعدَ هذه[(٤)].

عكرمةُ: معناه: ومَن يقتل مؤمنًا مُتعمِّدًا مُستحلًّا لقتلِه[(٥)].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٦٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورُوي عنه أيضاً أنه قال: «لا توبة لقاتل العمد»، كما روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٣٠)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٧)، والسمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٣٢٧).

(٢) والخبر لا يدخله نسخ، والوعيد في إخلافه مكرمة، ورُوي أنه اجتمع أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد، فقال عمرو: إن الله وعد وعدًا وأوعد إيعادًا وإنه منجز وعده ووعيده. فقال له أبو عمرو: أنت أعجم! لا أقول: إنّك أعجم اللسان، ولكنك أعجم القلب؛ أما تعلم ـ ويحك ـ أنَّ العرب تعدُّ إنجاز الوعد مكرمة، وترك إيقاع الوعيد مكرمة؟ ثم أنشده:

وإنـي وإن أوعدتـه أو وعدتـه ... لمخلـف إيعـادي ومنجـز موعدي

انظر: «عيون الأخبار» (٢/ ١٥٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٤) مختصرًا عن أبي عمرو، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٦ و٣٤٤).

(٤) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٤٩)، والمشهور عن زيد بن ثابت رضي الله عنه خلاف هذا، وأن آية النساء نسخَت آية الفرقان، وقد رواه أبو داود (٤٢٧٢)، والنسائي (٤٠٠٦)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٦٧)، و«تفسير الطبري» (٧/ ٣٤٨)، وقد ذهب ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥) إلى أن آية النساء منسوخة بآية الفرقان، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣): «قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ قيل: منسوخ بآية الفرقان، وقيل: ذلك منسوخ بهذا، والصحيح أنهما ثابتان؛ لأن النسخ لا يدخل الخبر».

(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الطبري في =

وقيـل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ لإيمانِـه، كمـا قـال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النـور: ٢]؛ أي: لزنـاه، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾ [المائـدة: ٣٨]؛ أي: لسـرقتِه[1].

وقال أبو مِـجلزٍ: ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ إن[2] جازاه[3].

وقيل: أمرُه إلى الله تابَ أو لم يتب؛ إن شاءَ عفا عنه وإن شاءَ عذَّبه، وهذا مذهبُ الفقهاء، والمرويُّ عن أبي حنيفةَ رضي الله عنه[4].

وفي سبب النُّزول عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهم: أنَّ مِقْيَسَ بنَ صُبابةَ وجدَ أخاه هشامَ بنَ صبابةَ قتيلًا في بني النَّجّار، وكان مسلمًا، فأتى رسولَ الله عليه السَّلام فذكر له ذلك، فأرسلَ رسول الله عليه السَّلام معه رسولًا[5] من بني فِهرٍ وقال له: «ائتِ بني النَّجّارِ فأقْرِئهم السَّلامَ، وقل لهم: إنَّ رسولَ اللهِ يَأمُرُكم إنْ علمْتُم قاتِلَ هشامِ بنِ صبابةَ أن تدفعُوه إلى أخيه فَيقتَصَّ منه، وإن لم تعلمُوا له قاتلًا أن تدفعُوا إليه دِيَتَه»، فأبلغَهم الفِهريُّ ذلك عن رسولِ اللهِ عليه السَّلام فقالوا: سمعًا لرسولِ الله وطاعةً، واللهِ ما نعلمُ له قاتلًا، ولكنّا نؤدِّي إليه دِيتَه، فأعطوه مئةً من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحوَ المدينةِ، وبينهما وبين المدينة قريبٌ، فأتى الشَّيطانُ مِقْيَسًا

= «تفسيره» (٧/ ٣٤١)، وذكر بعده خبرًا عن عكرمة يشير إليه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «أي».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٤٠).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٦٦)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٥٩). وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٩).

(٥) «رسولاً» من (ن).

فوسوس إليه وقال: أيَّ شيءٍ صنعْتَ؟! تقبلُ ديةَ أخيك، فتكونُ عليك سُبّةً؟ اقتلِ الذي[١] معك فيكونُ مكانَ أخيك وفضلُ الدِّيةِ[٢]، ففعل ذلك مِقْيسٌ، فرمَى الفِهريَّ بصخرةٍ فشَدَخَ رأسَه، ثم ركبَ بعيرًا منها، وساقَ بقيَّتَها راجعًا إلى مكّةَ كافرًا، وجعلَ يقولُ في شعرِه:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَراةَ بَنِي النَّجّارِ أَرْبابَ فارِعِ
وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي واضْطَجَعْتُ مُوَسَّدًا ... وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثانِ أَوَّلَ راجِعِ

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، ثم أهدرَ رسولُ الله عليه السَّلام دمَه يومَ فتحِ مكّة، فأدركَه النّاسُ فقتلُوه[٣].

***

(٩٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ سعيدُ بنُ جُبيرٍ قال: خرجَ المقدادُ بنُ الأسودِ في سريّةٍ، فمرّوا برجلٍ في غُنَيمةٍ وأرادوا قتلَه، فقال: لا إله إلّا الله،

---

(١) في (و): «الذين».

(٢) الظاهر أن (كان) تامة؛ أي: فيكون الفهري مكان أخيك، وتكون نفس مكان نفس، والدية فضل، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٤١) عن عكرمة، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٧) عن سعيد بن جبير، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٧٧) عن أنس رضي الله عنه.

فقتلَه المقدادُ، فقيل له: أقتلتَه وقد قالَ: لا إله إلّا الله؟ فقال: ودَّ لو فرَّ[1] بأهلِه ومالِه، فلـمّا قدمُوا على رسولِ الله ﷺ ذكرُوا ذلك له، فنزلَت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ﴾ الآية[2].

وقيل: هو أسامةُ بنُ زيدٍ، فأنكرَ النَّبيُّ عليه السَّلام ذلك فقال: «هلّا شَقَقْتَ عن قَلبِه»[3]، وحلفَ بهذا السَّبب ألّا يقاتلَ مَن يقول: لا إلهَ إلّا الله، ولهذا قعدَ عن نُصرةِ عليٍّ رضي الله عنه؛ فلم يكن معه ولا عليه[4].

قال ابنُ زيدٍ: القاتلُ أبو الدَّرداء[5].

وقيل: القاتلُ مُحَلِّمُ[6] بنُ جثّامةَ بنِ قيسٍ[7].

---

(١) في (و): «أفوز».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٤٠)، والبزار في «مسنده» (٥١٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٧٩). وروى البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥) عن المقداد رضي الله عنه، ولفظ مسلم: أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال: رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال».

(٣) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وليس في الرواية تصريح أنه سبب نزول الآية، ولكن صرح السدي بأن هذه الحادثة سبب نزول الآية فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٥٧).

(٤) روى البخاري (٧١١٠) عن حرملة مولى أسامة قال: «أرسلني أسامة إلى عليٍّ وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره»، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٣٩٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وقد تقدم.

(٦) في (و): «محكم».

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨٨١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٩/ ٢٤٨). قال =

قولُه: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: للغزوِ وقتالِ الكفّار، ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾: ارفقوا في الأمور، ولا تعجلوا[1].

والتَّثبُّتُ والتَّبيُّنُ قريبٌ؛ لقوله: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]، ولقوله صلَّى الله عليه: «التَّبيُّنُ من اللهِ، والعجلةُ من الشَّيطانِ»[2].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾؛ أي: لا تقولوا لمن قال: «لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسول الله»: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

وقيل: ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾: استسلمَ وأعطى المَقادةَ، و﴿ٱلسَّلَـٰمَ﴾: التَّحيَّةُ؛ أي: لا تقولوا لمن حيّاكم هذه التَّحيّةَ: إنَّما قالها متعوِّذًا.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تطلبونَ غُنَيمته ومالَه.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فاطلبوها من عنده، فسيمكِّنكم[3] منها.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كفرةً، وقيل: تكتمونَ إيمانَكم زمانًا[4].

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨): «رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات».

(١) «ولا تعجلوا» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥٢) عن قتادة مرسلاً بهذا اللفظ، ورواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٦٨٧) عن الحسن مرسلًا، ورواه الترمذي (٢٠١٢) بلفظ: «الأناة» عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وقال: «حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعَّفه من قبل حفظه»، وللحديث شواهد منها ما رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٢٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «فإنه سيمكنكم».

(٤) علَّق البخاري (٦٨٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «إذا كان رجلٌ مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفّار، فأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكّة من قبلُ».

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمانِ وإعزازِ الدِّين وكفِّ أيدي المشركين.

وقيل: منَّ عليكم بقَبولِ توبتِكم مِن قَتْلِ المسلم.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أعاد تأكيدًا وتشديدًا.

* * *

(٩٥) ـ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه قال: كنْتُ عند النَّبيِّ عليه السَّلام حين نزلَت هذه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولم يذكر (أولي الضَّرر)، فقال ابنُ أمِّ مكتومٍ: وكيف وأنا أعمى لا أبصرُ؟ قال زيدٌ: فتغشَّى النَّبيَّ عليه السَّلام في مجلسِه الوحيُ، فاتَّكأَ على فخذي، فوالذي نفسي بيدِه لقد ثَقُلَ عليَّ حتى خشيْتُ أنْ يرضَّها، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾[(١)].

والمعنى: لا مساواةَ بين القاعدين من غير علَّةٍ أو ضعفٍ وبين المجاهدين ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: بعُذرٍ[(٢)] ﴿دَرَجَةًۚ وَكُلًّا﴾: القاعدَ والمجاهدَ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّةَ، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: بغيرِ عُذرٍ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

* * *

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٥) بهذا اللفظ، وروى نحوه البخاري (٢٨٣٢).

(٢) «أي بعذر» من (ن).

(٩٦) ـ ﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾.

وقيل: وحَّد الأولى لأنَّها في الدُّنيا من الغنيمة، وجمعَ الثّانيةَ لأنَّها في الآخرة، وهي الجنّةُ ومنازلُها.

وقيل: الدَّرجةُ الأولى: ارتفاعُ المنزلةِ عند الله، والثّانيةُ: منازلُ الجنّة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾.

* * *

(٩٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ قال: كان قومٌ من المسلمين بمكّةَ خرجوا في قومٍ من المشركين في قتالٍ، فقُتِلُوا معهم[١].

وقيل: هم المنافقون.

الحسنُ: هم المشركون[٢]، والأوَّلُ أظهر.

ومعنى ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تقبضُ أرواحَهم.

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بتركِ الهجرةِ أو إبطانِ الشِّركِ أو الكفرِ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٦)، وروى البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس: «أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤١).

(٣) في (و): «وإبطان الشِّرك والكفر».

﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ أي: قالَت الملائكةُ توبيخًا لهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أيِّ شيءٍ وأيِّ حالٍ كنتم؟

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: ضعفةً عاجزين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بمكّةَ، فأخرجونا كارهين.

﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: الملائكةُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ إلى المدينةِ وغيرِها.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾[1].

وقيل: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ أي: قالوا لهم[2].

***

(٩٨ ـ ٩٩) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ في الحقيقةِ ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، وذكرَ الولدانَ معهم لأنَّ الواجبَ إخراجُهم إذا لحقَهم حُكمُ الإسلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا يقدرون على حيلةٍ ولا نفقةٍ للخروج منها.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ مجاهدٌ: لا يعرفونَ طريقَ المدينة[3].

وقيل: لا يعرفون طريقًا إلى الخروج منها.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٣٤١).

(٢) ودخلت الفاء في خبر (إن) تشبيهاً لاسمها باسم الشرط، وقيل: خبر (إن) محذوف، والتقدير: إنّ الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم هلكوا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٤)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٨٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٨).

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كنت أنا وأمِّي[١] من الذين لا يَستطيعونَ حيلةً ولا يهتدون سبيلًا، وكنت غلامًا صغيرًا[٢].

﴿فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾: يتجاوزُ عنهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ لعبادِه قبل أن يخلقَهم.

***

(١٠٠) ـ ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يفارقْ عشيرتَه ووطنَه لطلبِ دينِ الله، ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ: مُتحوَّلًا[٣].

السُّدِّيُّ: مطلبًا للمعيشة[٤].

ابنُ زيدٍ: مُهاجَرًا[٥].

ابنُ عيسى: أصله من (الرَّغْمِ)، وهو الذُّلُّ، والرَّغام: التُّراب؛ لأنَّه ذليلٌ، وراغمَ

---

(١) في (و): «وأبي».

(٢) ذكر هذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦)، ورواه البخاري (١٣٥٧) بلفظ: «كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩)، بلفظ: «مبتغًا للمعيشة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠١). قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٣٤): «(المراغم) و(المهاجر) واحد، تقول: راغمت وهاجرت قومي، وأصله أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغمًا لهم؛ أي: مغاضبًا، ومهاجرًا؛ أي: مقاطعًا، من (الهجران)».

فلانٌ قومَه؛ إذا نابذَهم مُعتزِلًا عنهم؛ لِما في المنابذة من رَومِ الإذلال، والـمُراغَمُ: موضعُ الـمُراغَمةِ، كالـمُقاتَلِ؛ موضعُ المقاتَلة(١).

﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾(٢) ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الرِّزق(٣).

قتادةُ: في إظهارِ الدِّين والخلاصِ من تضييق المشركين(٤).

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بإيجابه ذلك عليه.

ابنُ عبّاسٍ: نزلَت في حبيبِ بنِ ضمرةَ، حملَه بنوه على سريرٍ مُتوجِّهًا نحوَ المدينة، فلـمّا بلغ التَّنعيمَ أشرفَ على الموت، فصفَّقَ يمينَه على شمالِه وقال: اللَّهمَّ هذه لك وهذه لرسولك، أبايعُك على ما بايعَ ربَّه رسولُ الله، فمات(٥).

---

(١) والمراغَم أيضاً: المذهَب والمهرَب والسَّعة والمضطَرب والحِصن. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ر غ م) (٨/ ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٠١)، و«باهر البرهان» لنجم الدين النيسابوري (١/ ٣٨٦)، و«تاج العروس» (٣٢/ ٢٧١).

(٢) في (و): «وسعة في».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٥٠).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩) عن قتادة: «أي والله من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى»، وعبارة المصنِّف ذكر نحوها الماوردي والواحدي بعد قول قتادة، ونسبه الواحدي لأصحاب المعاني. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥٢٢)، و«الوسيط» للواحدي (٢/ ١٠٧).

(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٨)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (ضمرة بن جندب)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (ضمرة من بني بكر)، ورواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٧/ ٣٩٦) عن عكرمة، وفيه: (جندب بن ضمرة).

وقيل: اسمُه ضمضمُ بنُ عمرٍو، وقيل: ضمرةُ[١]، والصَّحيحُ الأوَّل.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؛ أي: إذا[٢] سافرتُم فيها فليس عليكم[٣] حرجٌ ﴿أَن تَقْصُرُوا۟﴾: في أن تقصروا ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قَصَرَ وأقْصَرَ وقَصَّرَ: نقَصَ.

ابنُ عبّاسٍ: قصرُ أركانِها في المُسايَفةِ؛ يُصلِّي كيف ما أمكنَه[٤]؛ قائمًا أو قاعدًا أو مُومِئًا، مع استيفاء عددِها؛ كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩][٥].

سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه: هو قصرُ أعدادِها من أربعٍ إلى ركعتين، مشروطٌ بالخوف[٦].

---

(١) ذكر ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٦١٨ ـ ٦١٩) الأقوال الثلاثة، وقيل في اسمه أيضاً: جندع، وجندب.

(٢) «أي: إذا سافرتُم فيها فليس عليكم» من (ن).

(٣) في (و): «عليكم جناح».

(٤) في (و): «يصلي كيف كان».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢١).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣). وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨) عن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان يتم الصَّلاة في السَّفر؟ قال: عائشة وسعد بن أبي وقاص»؛ يعني: أنهما يشترطان الخوف زيادة على السَّفر لقصر الصَّلاة.

الحسنُ ومجاهدٌ: في الحضرِ أربعًا، وفي السَّفرِ ركعتين، وفي الخوفِ ركعةً[١].

عمرُ وعائشةُ رضي الله عنهما: صلاةُ المسافرِ ركعتان، تمامٌ غيرُ قصرٍ[٢].

والجمهورُ على أنَّ قصرَ الصَّلاةِ لا يُشترَطُ فيه الخوفُ، وأوَّلوا قولَه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ على وجوهٍ:

منها: أنَّه على[٣] الغالب في ذلك الوقت.

والثَّاني: أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ وبينَهما حولٌ، ثم قال[٤]: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾؛ أي: بالخوفِ[٥] في موضعِه[٦].

والثَّالث: أنَّ قولَه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ يتَّصلُ بقولِه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٩٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض الله الصَّلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعًا، وفي السَّفر ركعتين، وفي الخوف ركعة». وهذه صلاة شدة الخوف، وقد اختلف أهل العلم فيها؛ فقيل: يصلى ركعة يومئ، فإن لم يقدر كبر تكبيرتين حيث كان وجهه، وذهب عامة فقهاء الأمصار إلى وجوب صلاة ركعتين. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٢/ ٢٢٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٢٩٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٧٨)، والنسائي (١٥٦٦) عن عمر رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٣٥٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «فرض الله الصَّلاة حين فرضها، ركعتين ركعتين، في الحضر والسَّفر، فأقرت صلاة السَّفر، وزيد في صلاة الحضر».

(٣) في (و): «أن الغالب».

(٤) «قال» من (ن).

(٥) في (ن): «فالخوف».

(٦) ذكر السمعاني في «تفسيره» (١/ ٤٧٢) والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٨٩) أن هذا مروي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

والرّابع: أنَّه شرطٌ لا اعتبارَ له؛ كقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، وكقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣].

قتادةُ: إنَّ قَصْرَ الصَّلاة في حالِ الأمنِ نصُّ القرآنِ؛ من قوله: ﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧](١)، ويأتي في موضعِه.

قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن يصيبوكم بمكروهٍ من قتلٍ أو جرحٍ أو سلبٍ. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾، (عدوٌّ): تصلحُ للواحدِ والجمع.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ مجاهدٌ قال: حدَّثنا أبو عيّاشٍ(٢) رضي الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٦) من طريق قتادة عن أبي العالية، ولفظه: «سافرت إلى مكة، فكنت أصلي ركعتين، فلقيني قراء من أهل هذه الناحية، فقالوا: كيف تصلي؟ قلت: ركعتين، قالوا: أسنة أو قرآن؟ قلت: كل ذلك سنة وقرآن، قلت: صلى رسول الله ﷺ ركعتين، قالوا: إنه كان في حرب. قلت: قال الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾».

(٢) في النسختين: «ابن عباس»، والتصويب من مصادر التخريج، وقد ذكر الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠) خبراً بعده عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الخوف، وأبو عياش هو زيد بن الصامت الزرقي الأنصاري رضي الله عنه، شهد أحدًا وما بعدها، وفي اسمه خلاف، يقال: إنه عاش إلى خلافة معاوية. انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٢٤)، و«الإصابة» (٧/ ٢٤٥).

عنه قال: صلَّينا مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ، فقال المشركون: قد كانوا على حالٍ لو كنّا أصبنا منهم غِرّةً، فقالوا: تأتي عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من آبائهم، قال: وهي العصرُ، قال: فنزلَ جبريلُ عليه السَّلام بهذه الآيات بين الأولى والعصرِ وهم بعُسفانَ، وعلى المشركين خالدُ بنُ الوليد[1]، وهم بينَنا وبينَ القِبلة[2].

وبلغَ ذلك خالدَ بنَ الوليد، وكان سببَ إسلامِه[3].

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: مع المؤمنين في قتال الكافرين.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: صلَّيت بهم.

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ للصَّلاة، وتقومُ طائفةٌ تُجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أي: الذين[4] تُجاهَ العدوِّ[5].

وقيل: المصلُّون يأخذون السَّيفَ والسِّكِّينَ وغيرَ ذلك.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾؛ أي: ليرجعوا إلى مكانِهم يحمونكم من العدوِّ.

---

(١) في هامش (ن): «أي: أميرهم».

(٢) رواه أبو داود (١٢٣٦)، والنسائي (١٥٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٤٥): «سنده جيد».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٤)، وقد ذكر الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٧٤٦) عن خالد رضي الله عنه أنه قال بعد ذكر حادثة صلاة الخوف: «فوقع ذلك مني موقعًا وقلت: الرجل ممنوع». وقد ذُكر في سبب إسلام خالد رضي الله عنه غير ذلك من الرؤيا التي رآها، وكتاب أخيه الوليد إليه، وسؤال رسول الله ﷺ عنه، ولعلها أسباب متفرقة تجمعت فصح عزمه رضي الله عنه إلى الإسلام.

(٤) في (و): «الذي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٦٢).

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾: يصلِّي بكلِّ طائفةٍ ركعةً[(١)].

الحسنُ: يصلِّي مرَّتين؛ بكلِّ طائفةٍ مرَّةً[(٢)].

﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: المصلُّون، وقيل: الجميعُ.

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: تمنَّوا أن ينالوا منكم غِرَّةً في صلاتِكم.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ يفسدُ[(٣)] السِّلاحَ، ﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ لا تطيقون حملَها، ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: حَزمَكم، ولا تتركوا الحذرَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ في الدُّنيا بالغَلَبةِ عليهم، وفي الآخرةِ بالمصيرِ إلى النّار.

***

(١) انظر في صلاة الخوف: «الموطأ» للإمام مالك (١/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«الأصل» لمحمد بن الحسن (١/ ٣٢٨)، و«الأم» للشافعي (١/ ٢٤٣)، و«المغني» لابن قدامة (٢/ ٢٩٨)، و«منهاج الطالبين» للنووي (ص: ٥٠).

(٢) ذكره أبو داود بعد حديث (١٢٤٨) من طريق الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه، ولفظه: «صلى النبي ﷺ في خوف الظهر، فصف بعضهم خلفه، وبعضهم بإزاء العدو، فصلى بهم ركعتين، ثم سلم، فانطلق الذين صلوا معه، فوقفوا موقف أصحابهم، ثم جاء أولئك فصلوا خلفه، فصلى بهم ركعتين، ثم سلم، فكانت لرسول الله ﷺ أربعًا، ولأصحابه ركعتين ركعتين، وبذلك كان يفتي الحسن»، قال أبو داود: «وكذلك في المغرب يكون للإمام ست ركعات، وللقوم ثلاث ثلاث». وروى نحوه الإمام الشافعي في «مسنده» (٥٠٦)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٨٢٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٥٣)، من طريق الحسن عن جابر رضي الله عنه، ورواه البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣) من طريق أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه، وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ١٧٨).

(٣) في (و): «مفسد».

(١٠٣) ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: فرغْتُم منها.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: دومُوا على ذكرِ الله في جميعِ الأحوالِ[١].

وقيل: أراد به التَّكبيرَ في وجوهِ الكفّار؛ ليعلموا أنَّكم مستعدُّون لهم.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه الصَّلاةُ؛ يصلِّي كيفَما أمكنَه[٢].

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾؛ أي: سكنَتْ قلوبُكم من الخوفِ والسَّفر.

الحسنُ: رجعتُم إلى أوطانِكم[٣].

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها جزاءً معلوماً ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السَّفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٤٩) عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وقتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٥٦).

(٣) في (ن): «الوطن». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٦٣).

والطُّمأنينةُ: السُّكونُ، والهمزةُ أصلٌ[١]، يُقالُ: طَمْأَنْتُه وطأمَنْتُه؛ أي: سكَّنته، وجاء (اطبأنَّ) بالباء أيضًا[٢].

ويُقالُ: الهمزة زيادةٌ، وهي من قولِهم للأرضِ المنخفضة: طَمْنٌ؛ وهذا دليلٌ إنْ صحَّ[٣].

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتمُّوها بركوعِها وسجودِها وأعدادِها.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾: محدودةَ الأوقات.

مجاهدٌ: مفروضًا[٤].

* * *

(١٠٤) - ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: لا تضعُفوا ﴿فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾: في طلبِ القومِ للمحاربةِ حتَّى يدخلُوا في الإسلام.

﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ﴾: يدرككم ألَمٌ، ﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ﴾؛ أي: هم أمثالُكم لحمٌ ودمٌ، يوجعُهم ما يوجعُكم.

عكرمةُ: ذلك يوم أحدٍ[٥].

---

(١) في (و): «أصلي». وبقاء الهمزة في اللغات الثلاث (طمأن) و(طأمن) و(اطبأنَّ) دليل أصالة، ومذهب سيبويه أن (طمأن) مقلوب، وأصله (طأمن). انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٧) و(٤/ ٣٨١).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٩٩)، والجوهري في «الصحاح» مادة (ط ب ن) (٦/ ٢١٥٧).

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٤٢٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٥٧٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٥٧)، والنحاس في «معاني القرآن» (٢/ ١٨٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٥).

﴿وَتَرْجُونَ﴾ من[1] النَّصرِ في العاجلِ والنَّعيم في الآجل[2] ﴿مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقيل: معنى ﴿ترجون﴾: تخافون، وذلك مع النَّفي[3].

***

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّ هذه الآياتِ نزلَت في طُعْمةَ بنِ[4] أُبَيْرِقٍ أحدِ بني ظَفَرِ بنِ الحارث[5]، إلَّا ابنَ بحرٍ؛ فإنَّه قال: نزلَت في المنافقين، وهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[6].

---

(١) في (و): «وتنصرون» بدل «وترجون من».

(٢) في (و) زيادة: «وترجون».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٦)، واستغربه، وقال «أنكره الفراء: وقال: إنما ذلك في النفي»، وقال الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٦): «قال بعض المفسرين: معنى ترجون: تخافون. ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد، فإذا كان كذلك، كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك».

(٤) في (و): «بنت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٨ ـ ٤٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وعكرمة.

(٦) ذكر الواحدي إجماع المفسرين على سبب نزول الآية في «البسيط» (٧/ ٦٩)، ونقل الراغب في «تفسيره» كلام ابن بحر، ونقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٥) كلام المصنف بحروفه، ونسبه إليه.

وذلك أنَّ طُعْمَةَ بنَ[١] أُبَيْرِقٍ سرقَ درعًا من جارٍ له يُقالُ له: قتادةُ بنُ النُّعمان، وكانت الدِّرعُ في جِرابٍ فيه دقيقٌ، فجعلَ الدَّقيقُ ينتثرُ من خَرقٍ في الجراب، حتى انتهى إلى الدّار وفيها أثرُ الدَّقيق، ثم خبَّأها عند رجلٍ من اليهود يُقالُ له: زيدُ بنُ السَّمين، فالتُمِسَتِ الدِّرع عند طعمةَ فلم تُوجَد عنده، وحلفَ لهم: والله ما أخذَها وما له بها من علمٍ، فقال أصحابُ الدِّرع: بلى والله، لقد أدلجَ علينا فأخذها، وطلبنا أثرَه حتى دخلَ داره، فرأينا أثرَ الدَّقيق، فلـمّا أن حلف تركوه، واتَّبعوا أثرَ الدَّقيق حتى انتهوا إلى منزلِ اليهوديِّ، فأخذوه، فقال: دفعَها إليَّ طُعْمةُ، فشهدَ له ناسٌ من اليهودِ على ذلك، فقال[٢] بنو ظَفَرٍ، وهم قومُ طُعْمَةَ: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلِّموه في ذلك، وسألوه أن يُجادلَ عن[٣] صاحبِهم وقالوا: إنَّك إن لم تفعل هلَكَ صاحبُنا وافتُضِحَ، وبرئَ اليهوديُّ، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل، وكان هواه معهم وأن يعاقبَ اليهوديَّ، حتَّى أنزلَ اللهُ الآيات[٤].

السُّدِّيُّ والضَّحّاكُ: كانت وديعةً عنده فجحدَها، ولم يكن عليه بيِّنةٌ[٥].

قولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بأن تضعَ الشَّيءَ موضعَه، والباءُ للحال؛ أي: محقًّا.

﴿لِتَحۡكُمَ﴾: لتفصلَ وتمنعَ الظّالمَ من المظلوم.

---

(١) في (و): «بنت».

(٢) في (ن): «فقالت».

(٣) في (و): «غير».

(٤) هذا لفظ الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨١)، وقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد وابن زيد والسدي والضحاك.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٦ ـ ٤٧٠) عن السدي والضحاك.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: بما علَّمَك وعرَّفَك.

في «الحجّة»: هو من الرَّأي الذي هو الاعتقاد؛ لأنَّ الذي بمعنى العلمِ يستدعي ثلاثةَ مفاعيلِ[١].

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾؛ أي: لا تذبَّ عنهم، وأعْلِمْ أنَّه الخائنُ.

الخصيمُ: المبالِغُ في الخِصام.

***

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الزَّجّاجُ[٢]: استغفر ممّا هممْتَ به؛ من الذَّبِّ عن الخائنِ بظنِّك أنَّه بريءُ السّاحةِ[٣].

وقيل: من مَيْلِكَ إلى أقرباءِ الخائن.

وقيل: معناه: سبِّحِ اللهَ.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾؛ فإنَّ الوبالَ عادَ عليها[٤]. و(خان) و(اختانَ) بمعنًى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: مُبالِغًا في الخيانة مُصِرًّا عليها.

﴿أَثِيمًا﴾: مُبالِغًا في إثمِه لا يُقلعُ عنه.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٥٨).

(٢) «الزجاج» ليس في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠١)، وفيه: «وأمره بالاستغفار مما همَّ به، وأن يحكم بما أنزل الله في كتابه».

(٤) كذا في النسختين، ولو قال: عائد عليها، لكان أظهر، والضمير يعود على الأنفس.

(١٠٨) - ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾.

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: يخفون فعلَهم.

وقيل: يخفون أشخاصَهم عند السَّرقةِ وعند التَّبييت.

وجمعَ لأنَّ المرادَ طُعْمةُ ومَن فعلَ فعلَه. وقيل: هو وأقرباؤُه الذين دبَّروا ليلًا أن[1] يُبرِّئوا طُعْمةَ، وينسبوا الخيانةَ إلى اليهوديِّ.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: مطَّلعٌ على أشخاصِهم وأسرارِهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرفُ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾.

﴿يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يريدُ: رميَ اليهوديِّ وشهادةَ الزُّور.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: عَلِمَ عِلْمَ إحاطةٍ.

* * *

(١٠٩ - ١١٠) - ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالسَّعي في تبرئةِ طُعمةَ[2].

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: استفهامٌ معناه النَّفي.

﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: يدفعُ عنهم عذابَ الله.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾: ذنبًا بالذَّبِّ عن الخائنِ ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالخيانةِ.

---

(١) «أن» من (ن).

(٢) في (و): «تبرئة اليهودي».

وقيل: معناه: مَن ظلمَ غيرَه أو ظلمَ نفسَه.

وقيل: ﴿يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾: صغيرةً، ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ يريدُ: الكبيرةَ.

﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾: يسألُ مغفرتَه.

وقيل: الاستغفارُ: التَّوبةُ.

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ له.

* * *

(١١١ ـ ١١٢) ـ ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا﴾: اجترحَ سيِّئةً ﴿فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ فإنَّ وبالَ ذلك عليها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً﴾ بغيرِ تعمُّدٍ ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾ تعمُّدًا، ﴿ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾ يريدُ: اليهوديَّ، ووحَّدَ لمكانِ (أو)[1].

﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا﴾: كذبًا عظيمًا.

﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾: ذنبًا ظاهرًا.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾.

---

(١) أي: قال: به، ولم يقل: بهما؛ لأن المراد التخيير بينهما.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بإعلامِه إيّاك بالوحيِ ما هم عليه، ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾: من قومِ طُعْمةَ ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: يدعوكَ إلى ما ليسَ بحقٍّ.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: لا يلحقُكَ مع عصمةِ الله إيّاكَ ضررٌ منهم.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: وقد أنزلَ ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآنَ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: مواعظَ القرآنِ وأحكامَه، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ من النُّبوّة، ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾.

***

(١١٤ ـ ١١٥) ـ ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾: أسرارِهم.

وقيل: من مُتناجيهم؛ كقوله: ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] جمعُ نجيٍّ.

ابنُ عيسى: أصلُه: الارتفاعُ، والنَّجوى: الأسرارُ؛ لأنَّه رفعُ السِّترِ عنك[1] بإظهارِه لغيرِك[2].

﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾: عملِ البرِّ.

---

(١) في (ن): «لأنك رفعت الستر عنه».

(٢) ذكر نحوه العسكري في «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٣٣) فقال: «النجوى: اسم للكلام الخفي الذي تُناجي به صاحبك كأنك ترفعه عن غيره، وذلك أن أصل الكلمة الرفعة، ومنه النجوة من الأرض، وسمي تكليم الله تعالى موسى عليه السلام مناجاة لأنه كان كلامًا أخفاه عن غيره».

﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: إصلاحِ ذاتِ البَينِ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: طلبَ رضا الله، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: الجنّةَ والخلودَ فيها.

ويجوزُ في موضعِ ﴿مَنْ﴾ الرَّفعُ والنَّصبُ والجرُّ[1].

ثم حكمَ رسولُ الله عليه السَّلامُ على طُعْمةَ بالقَطْعِ، فخافَ الفضيحةَ وهربَ إلى مكّةَ، ولحقَ بالمشركين، وهو قولُه:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: يخالفُ النَّبيَّ عليه السَّلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾: بانَ وظهَرَ بإطلاعِ اللهِ نبيَّه على سرِّه.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: غيرَ دينِ الموحِّدين[2].

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ الزَّجّاجُ: ندعْه وما اختارَه[3].

ابنُ عيسى: نَكِلْه إلى ما اتَّكلَ عليه[4].

---

(١) الكلام على (من) الموصولية في ﴿مَنْ أَمَرَ﴾، وليس الشرطية في ﴿وَمَن يَفْعَلْ﴾، والرفع فيها على أنها مبتدأ خبره محذوف، والاستثناء منقطع؛ لأن (النجوى) مصدر، والتَّقدير: لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير، والنَّصبُ على الاستثناء المنقطع على اعتبار (نجوى) مصدراً، أو على الاستثناء المتصل على اعتبار (نجوى) جمع نجيٍّ، والتَّقدير: لا خير في متناجيهم إلا متناجياً أمر بصدقة، والجرُّ على البدل من (كثير)، أو من (نجواهم) على تقدير مضاف محذوف؛ أي: إلا في نجوى مَن أمر بصدقة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٨)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٨٩).

(٢) «غير دين الموحدين» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٩٢) دون نسبة.

وقيل: نُخلِّي بينه وبين ذلك.

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾: ندخلْه فيها.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنَّم.

* * *

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ سبقَ تفسيرُه.

وذكرَ في الآية الأولى ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾ [النِّساء: ٤٨] لأنَّه في أهلِ الكتاب، وفي الأخرى ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ [النِّساء: ١١٦] لأنَّه في الكُفَّار[١].

* * *

(١١٧) ـ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: ما يعبدونَ مِن دونِ الله.

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: جمعُ أُنثى، كـ(رُبَّى) و(رِبابٍ)[٢]؛ أي: أشياءَ؛ كاللّاتِ وهي حجارةٌ، والعُزَّى وهي شجرةٌ، ومَناةَ وهي[٣] صنمٌ.

---

(١) انظر: «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص: ٤٠٤ ـ ٤٠٨)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٩٦).

(٢) جاء في هامش (ن): «الرُّبَّى: الغنم الذي تُعلَف في البيت وتُربَّى لتُذبح»، وذكر ابن الأثير أنها تُربَّى لأجل اللبن، وقيل غير ذلك في معناها، وجمعُها: رُباب، ورِباب، ذكر الأولى سيبويه، وذكر الثانية اللحياني، وهي لغة قليلة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٠٩)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٢٣٦)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٨٠)، و«لسان العرب» (١/ ٤٠٤).

(٣) «وهي» من (ن).

وقال الحسنُ: الجماداتُ، والإخبارُ عنها بلفظِ التَّأنيث[١].

الضَّحّاكُ: الملائكةُ؛ لأنَّهم زعموا أنَّها بناتُ الله[٢].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: المواتُ[٣].

ويحتمل أنَّ هذا مَثَلٌ للخساسةِ والضَّعة؛ فإنَّ الأنثى من كلِّ شيءٍ خسيسٌ وضيعٌ[٤].

﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾: إبليس.

وليس بين الدُّعاءينِ منافاةٌ؛ لأنَّ الأوَّلَ عبادةٌ، وهي للأوثان، والثّانيَ طاعةٌ، وهي لإبليسَ[٥]؛ لأنَّه أمرَهم وحملَهم عليها.

وقيل: ما يدعون بدعائِهم الإناثَ إلَّا شيطانًا.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧) عن الحسن: «والإناث: كل شيء ميت ليس فيه روح؛ خشبة يابسة، أو حجر يابس»، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٨) عنه: «كان لكل حي من أحياء العرب صنم يسمونها أنثى بني فلان، فأنزل الله: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧).

(٤) قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٠): «فحسب هؤلاء الذين أشركوا بالله وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأوثان والأنداد حجةً عليهم في ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل أنَّهم يعبدون إناثاً، ويدعونها آلهة وأرباباً، والإناث من كل شيء أخسه؛ فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته، ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء، وبيده الخلق والأمر».

(٥) «إبليس وليس بين الدعاءين منافاة لأن الأول عبادة وهي للأوثان والثاني طاعة وهي لإبليس» من (ن).

ابنُ عيسى: هو كقولِه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧](١).

وقيل: كان الشَّيطانُ يدخلُ أجوافَ الأصنامِ فيكلِّمُ داعيها.

﴿مَّرِيدًا﴾: ماردًا شديدًا في كفرِه.

ابنُ عيسى: أصلُه: التَّمليسُ(٢)، ومنه: شجرةٌ مرداءُ؛ تناثَرَ أوراقُها، وغلامٌ أمردُ(٣).

* * *

(١١٨) ـ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أن يكونَ إخبارًا، ويجوزُ أن يكونَ دعاءً.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: معلومًا مقدارُه.

وقيل: حظًّا محدودًا.

الزَّجّاجُ: مؤقَّتًا(٤).

وأصلُ الفرضِ: الحزُّ والتَّأثيرُ، ومنه الفَرْضُ في سِيةِ(٥) القَوسِ(٦).

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٧٠)، وقال: «يعني: أن نسبة دعائهم الأصنام هو على سبيل المجاز، وأما في الحقيقة فهم يدعون الشيطان».

(٢) في (ن): «التملس».

(٣) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: (م ر د) (٥/ ٣١٧): «الميم والراء والدال أصل صحيح يدلُّ على تجريد الشيء من قشره، أو ما يعلوه من شعره، والأمردُ: الشابُّ لم تبد لحيته... ومنه شجرة مرداء...».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٨).

(٥) في (و): «تسمية».

(٦) سية القوس: ما عُطِفَ من طرفيها، وفي السيةِ فُرضةٌ يقع فيها الوتر، وتُسمَّى الحُرثة والكُرضة والكُظر والـمَحزَّ والفَرض، وطرفا القوس ظفراها، وحزّاها فُرضتاها، وعطفاها سيتاها، وبعدَ =

والنَّصيبُ المفروضُ: تُبّاعُه[1]، وذُكر في الأحاديثِ: «من كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعٌ وتسعون، وواحدٌ لله»[2].

***

(١١٩) - ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الإيمانِ بدعائي إيّاهم وإقبالِهم عليَّ.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قيل: طولُ الحياةِ ونَيلُ[3] الأماني.

وقيل: تأخيرُ التَّوبة.

وقيل: أنْ لا جنّةَ ولا نارَ ولا بَعْثَ ولا حسابَ.

= السيتين الطائفان، وبعد الطائفين الأبهران، وما بين الأبهرين كبدها. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (س ي ا) (١٣/ ٩٦)، و«تاج العروس» (٥/ ٢١٦) و(١٤/ ٤٦) و(١٥/ ١١٠) و(١٨/ ٤٧٦) و(١٩/ ٤١) و(٢٩/ ٤٣).

(١) ذكر نحوه في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٩).

(٢) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٩) عن مقاتل قال: «﴿مَّفْرُوضًا﴾ قال: هذا إبليس مفروضًا، يقول: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة». وروى ابن المنذر عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ قال: «من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين»، انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٦٨٨).

وروى البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين...».

(٣) في (و): «وقيل».

ويحتمل: تمنَّى كلُّ واحدٍ ما يليقُ به، ثم هو كما قال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّساء: ١٢٠][1].

﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الجمهورُ: هي البَحِيرةُ والسّائبةُ والوَصيلةُ والحام.

والبَتْكُ: القَطْعُ، والتَّبْتيكُ: التَّقْطيعُ، وسيفٌ باتِكٌ: قاطعٌ.

﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: دينَ الله[2]؛ بأن يحلَّ حرامَه ويحرِّمَ حلالَه.

أنسٌ وعكرمةُ: الخِصاءُ[3].

الحسنُ[4]: الوشمُ[5].

وقيل: عبادةُ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجوم؛ فإنَّها خُلِقَت للاعتبارِ والانتفاع.

ويحتملُ اللِّواطَ والسَّحقَ[6] وغيرَهما ممّا يطولُ تعدادُها ممّا[7] غيَّره النّاس عمّا وُضِعَ له إلى غيرِ محلِّه[8].

---

(١) «﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٤٤٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٨١) عن أنس رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٥) عن عكرمة.

(٤) «الخصاء، الحسن» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٠).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٩)، وعدَّه من العجائب.

(٧) في (ن): «عما».

(٨) في (ن): «حله».

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يُجيبُه إلى ما يدعوه إليه ويأمرُه به، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بفواتِ الجنّةِ والحصولِ على النّار.

والخُسرانُ: ذهابُ رأسِ المال.

* * *

(١٢٠ ـ ١٢٢) ـ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا يُنجزُ، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو إيهامُ نفعٍ فيما فيه ضررٌ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: مَعدِلًا، تقول: حاصَ عن الشّيءِ يَحيصُ؛ أي: عَدَلَ، والـمَحيصُ: المصدرُ والمكانُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يطيعوا الشَّيطانَ فيما[1] دعاهم إليه واستغواهم به ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: وعدَ وعدًا حقًّا.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾؛ أي: لا أحدَ أصدقُ منه.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

---

(١) في (و): «فما».

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مسروقٌ وقتادةُ قالا: احتجَّ المسلمون وأهلُ الكتاب، فقال أهلُ الكتاب(١): نحن أهدى منكم، نبيُّنا قبل نبيِّكم، وكتابُنا قبلَ كتابِكم، ونحنُ أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أهدى وأولى، نبيُّنا خاتمُ الأنبياء، وكتابُنا يقضي على الكُتبِ المتقدِّمةِ(٢) التي قبلَه، فأنزلَ الله هذه الآية، ثمَّ أفلجَ اللهُ حجّةَ المسلمين على مَن ناوأهم بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الآيتين(٣).

مجاهدٌ وابن زيدٍ: نزلَت في الكفّار(٤).

والتَّقدير: ليس الثَّوابُ أو الدِّينُ بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهلِ الكتاب.

وأمانيُّ الكفّارِ قولُهم: لا جنّةَ ولا نارَ، وأمانيُّ أهلِ الكتاب قولُهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، و﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾...

ثمَّ استأنفَ فقال:

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ الحسنُ وابنُ زيدٍ: هم الكفّارُ يُجازَونَ على الصَّغيرِ والكبيرِ(٥).

---

(١) «أهل الكتاب» ليست في (ن).

(٢) «المتقدمة» من (ن).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٤/ ١٣٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٧) عن مسروق، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٨) عن قتادة، وانظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ١٢٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٩٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١٢) عن مجاهد قال: «قالت قريش: لن نبعث ولن نعذب، فأنزل الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾»، وعن ابن زيد قال: «جاء حيي بن أخطب إلى المشركين، فقالوا له: يا حيي، إنكم أصحاب كتب، فنحن خير أم محمد وأصحابه؟ فقال: أنتم خير منه. فذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾».

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١٧) عن ابن زيد: «وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم =

وظاهرُ الآيةِ العمومُ، والمؤمنون يُجازَونَ بأيسرِ الجزاء، فقد جاءَ عن النَّبيِّ عليه السَّلام: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه سألَه عند نزولِ الآيةِ فقال: مَن يرجو النَّجاةَ؟ فقال: «أما تَحزَنُ؟ أما تَمرَضُ؟ أما تُصيبُكَ آفاتُ الدُّنيا؟» فقال: بلى، فقال: «فهو ذاك»(1).

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾ عطفٌ على ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

***

(١٢٤ ـ ١٢٥) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلصَ عملَه لله.

= يعد أولئك؛ يعني: المشركين»، وعن الحسن: «يعني بذلك الكفار، لا يعني بذلك أهل الصَّلاة»، وروى سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٩٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٤٨) عن الحسن: «ذاك لمن أراد الله هَوانه، فأما من أراد الله كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة، ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]»، وانظر: «البسيط» للواحدي (٧/ ١٠٨).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، وروى نحوه الترمذي (٣٠٣٩) وقال: «وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح». وروى مسلم (٢٥٧٤) عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا، وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها».

وقيل: دينَه، وبذلَ وجهَه في السُّجود[١].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مقرٌّ باللِّسانِ معتقدٌ بالقلب.

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ خُصَّ بالذِّكرِ لاتِّفاقِ الأممِ عليه، ولأنَّ دينَه دينُ محمَّدٍ عليهما السَّلام.

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ عن ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، أو عن الملَّةِ، أو مِن الضَّميرِ في ﴿وَاتَّبَعَ﴾، ومعناه: مائلًا عن جميعِ[٢] الأديانِ، وقد سبقَ.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ قيل: هو الفقيرُ، من (الخَلَّة)[٣]، قال:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْألةٍ يقولُ: لا غائبٌ مالي ولا حَرَمُ[٤]

وقيل: الخليلُ: المصطفى المخصَّصُ الذي أدخلَه في خِلالِ الأمورِ وأسرارِ العلوم.

والجمهورُ على أنَّ (الخليلَ) من (الخُلَّة)، وهي المودَّةُ التي ليسَ فيها خَلَلٌ[٥].

واللهُ خليلُ إبراهيمَ، وإبراهيمُ خليلُه، وعن عبدِ الله بنِ عَمرو[٦] رضي الله عنهما

---

(١) في (و): «للسجود».

(٢) «جميع» من (ن).

(٣) في (و): «الخلو»، والخَلة: الحاجة، وهي بفتح الخاء، وقد أنكر صحة هذا ابن قتيبة؛ لأن العباد جميعاً فقراء إلى الله، فلا فضلَ في وصف إبراهيم عليه السلام به. انظر: «تأويل مشكل الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٢٢).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوان زهير» تحقيق: حمدو طماس (ص: ٦٠)، و«العين» (٤/ ١٤١)، و«الكتاب» لسيبويه (٣/ ٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٤٩٤).

(٦) في (و): «عمر».

قال: قال رسولُ الله عليه السَّلام: يا جبريلُ، لِمَ اتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلًا؟ قال: «لإطعامِه الطَّعامَ يا محمَّدُ»[١].

الكلبيُّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أصابَ النّاسَ سَنةٌ، فجهِدوا فيها، فحُشِروا إلى بابِ إبراهيمَ عليه السَّلام يطلبونَ الطَّعام، وكانَت له المِيرةُ كلَّ سنةٍ من صديقٍ له بمصرَ، فبعثَ غِلمانَه بالإبلِ إلى خليلِه بمصرَ يسألُه المِيرةَ، فقال خليلُه: لو كان إبراهيمُ إنَّما يريدُه لنفسِه احتملنا ذلك له، وقد دخلَ علينا ما دخلَ على النّاس من الشِّدّة، فرجعَ رُسُلُ إبراهيمَ فمرُّوا برملٍ فقالوا: لو أنّا احتملنا من هذه البطحاءِ لنريَ النّاسَ أنّا قد جئنا بميرةٍ، إنّا لنستحيي أنْ نمرَّ بهم وإبلُنا فارغةٌ، فملؤوا تلك الغرائر، ثم إنَّهم أتَوا إبراهيمَ وسارةُ نائمةٌ فأعلموه ذلك، فاهتمَّ إبراهيمُ لمكان النّاس، فغلبَتْه عيناه فنام، واستيقظَتْ سارةُ، فقامَتْ إلى تلك الغرائرِ ففتحَتْها فإذا هي أجودُ حُوّارَي[٢] يكونُ، فأمرَتِ الخبّازين فخبزوا وأطعموا النّاس، واستيقظَ إبراهيمُ عليه السَّلام، فوجدَ ريحَ الطَّعام، فقال: يا سارةُ، مِن أينَ هذا الطَّعام؟ قالت: من عند خليلِكَ المصريِّ، فقال: هذا من عند خليلي الله، لا من عند خليلي المصريِّ، فيومَئذٍ اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلًا[٣].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ١٢٢)، و«أسباب النزول» (ص: ١٨٢)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢١٦)، وفي «أسباب النزول»: عبد الله عن عمر.

(٢) الحواري: أجود الدقيق، سمي به لأنه يُنقَّى من لباب البر، وهو بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وتسكين الياء. انظر: «العين» (٣/ ٢٨٨)، و«تهذيب اللغة» مادة: (ح ور) (٥/ ١٤٨)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٣)، وذكره بلا نسبة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٢٩)، والزجاج في =

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السَّلام: «اتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلًا، وموسى نَجِيًّا، واتّخذني حبيبًا»، ثم قال: «وعزَّتي لأوثرنَّ حبيبي على خليلي ونجيِّي»(١).

وقال عليه السَّلام: «لو كنْتُ متَّخذًا أحدًا(٢) خليلًا لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ خليلًا، وإنَّ صاحبَكم خليلُ اللهِ»(٣)؛ يعني: نفسَه.

***

(١٢٦ ـ ١٢٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يختارُ منها ما يشاءُ ومَن يشاءُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ إحاطةَ علمٍ وقدرةٍ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: يسألونك الإفتاءَ في مِيراثِ النِّساءِ، والإفتاءُ: تبيينُ المبهمِ.

= «معاني القرآن» (٢/ ١١٣). قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٧٤): «وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبراً إسرائيليًّا لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وإنما سُمِّي خليل الله لشدة محبة ربه عز وجل له؛ لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها».

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٤)، وضعَّفه البيهقي.

(٢) «أحدًا» من (ن).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآنِ؛ أي: الآيـة التي أُنزلَـت في توريـث النِّسـاءِ والأطفال.

وذلك أنَّ العربَ كانت لا تُورِّثُ النِّساءَ والأطفال، لا البنينَ ولا البنات، حتى شكَتْ أمُّ كُجَّة[1] فأنزلَ الله بيانَ ميراثِهنَّ، وقد سبقَ، وهو قولُه: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ أي: فُرِضَ لهنَّ من الميراثِ.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: عن أن تنكحوهنَّ؛ لدمامتهنَّ.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: وفـي المستضعفين مـن الوُلـدانِ الذيـن لا تُورِّثونهم.

﴿و﴾ في ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ في ميراثِهم ومالِهم ونكاحِهم.

وذهبَ ابنُ عبّاسٍ وعائشةُ رضي الله عنهم في قولِه: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: الصَّداقَ، قالا: والمعنى: لا تُؤتون صداقهنَّ، وترغبون في نكاحِهنَّ لجمالِهنَّ[2] ومالِهنَّ[3].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المستضعفين هم العبيدُ والإماءُ؛ أي: أحسنُوا إليهم، ولا تُكلِّفوهم ما لا يُطيقون.

---

(١) ذكر ابن حجر أنها بضم الكاف وتشديد الجيم، وحُكي عن المستغفريِّ أنه قال فيها: أمُّ كَحْلَةَ. انظر: «الإصابة» (٨/ ٤٥٧).

(٢) في (و): «بجمالهن».

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٣٩)، ومسلم (٣٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها. ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الاحتمالين في ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فقال: «فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجل أبدًا حتى تموت فإذا ماتت ورثها...».

قولُه: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ رفعٌ بالعطفِ على المبتدأ، و﴿المستضعفين﴾ جرٌّ بالعطف على ﴿يَتَـٰمَى﴾.

وكذلك ﴿أن تقوموا﴾، ويُحتمَلُ أن يرتفعَ ﴿وَأَن تَقُومُوا﴾ بالابتداء، وخبرُه محذوفٌ؛ أي: وأن تقوموا خيرٌ لكم.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾.

***

(١٢٨) ـ ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: نزلَت في المرأة تكونُ عند الرَّجل ولا يستكثرُ منها ويريدُ فراقَها، ولعلَّها تكونُ لها صحبةٌ أو يكونُ لها ولدٌ، فتكرهُ فراقَه، فتقولُ له: لا تطلِّقني وأمسكني وأنتَ في حلٍّ من شأني، فأنزلَ الله هذه الآية(١).

السُّدِّيُّ: نزلَت في رسول الله عليه السَّلام حين همَّ بطلاقِ سودةَ بنتِ زمعةَ، فجَعلَت يومَها لعائشةَ على أن لا يطلِّقَها(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (٣٠٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٣) بلفظ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النِّساء: ١٢٨] قال: «تطلع نفسها إلى زوجها وإلى نفقته. قال: وزعم أنها نزلَت في رسول الله ﷺ وفي سودة بنت زمعة، كانت قد كبرت، فأراد رسول الله ﷺ أن يطلقها، فاصطلحا على أن يمسكها ويجعل يومها لعائشة، فشحت بمكانها من رسول الله ﷺ»، وروى نحوه أبو داود (٢١٣٥) عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «قالت عائشة: يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من =

جُويبرٌ: نزلَت في رافعِ بنِ خديجٍ تزوَّجَ شابّةً على كبيرةٍ، فمالَ منها إلى الشّابّة(١).

وقولُه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾؛ أي: فإنْ خافَتِ امرأةٌ ﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾: زوجِها، من قولهم: استبعلَ أمرُه؛ إذا عَظُمَ.

﴿نُشُوزًا﴾: ارتفاعًا وتعاليًا عن صحبتِها؛ كراهةً لها وبُغضًا.

﴿أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ بمَوجِدةٍ(٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾: لا حرجَ ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا﴾: تحطُّ له بعضَ مهرِها، أو تتركُ بعضَ أيّامِها، أو شيئًا فتَستَمِيلُه به.

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾: استئناف كلامٍ؛ أي: تَرْكُ الخصامِ والخلفِ خيرٌ.

وقيل: خيرٌ من الفُرْقةِ.

وقيل: من النُّشوز.

= مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى، وفي أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾».

(١) لم أقف عليه عن جويبر، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٨) عن سليمان بن يسار، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٠٥) عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار، وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي. ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٤٨) عن الزهري عن رافع بن خديج مرسلاً، كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في حاشية «جامع الأصول» (١١/ ٥٢٠)، ورواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٢٦٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٤٦٩) عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن رافع.

(٢) الموجدة: الغضب. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٤١)، و«درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص: ٤١٠)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ١٢٨).

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تشحُّ المرأةُ بنصيبِها مِن زوجِها ومالِها(١).

الحسنُ وابنُ زيدٍ: يشحُّ كلُّ واحدٍ منهما بحقِّه(٢).

والشُّحُّ: الغايةُ في البُخل.

﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ في العِشْرةِ، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفةَ الله، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه.

***

(١٢٩) ـ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ عمرُ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم: في المودَّةِ وميلِ الطَّبع، فليس ذلكم إليكم(٣).

وقيل: في التَّسويةِ في القَسْم(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٤) عن ابن زيد، وذكره الماودري في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣) عن الحسن.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٩) عن عمر رضي الله عنه: «اللهم أما قلبي فلا أملك، وأما سوى ذلك فأرجو أن أعدل»، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «في الحب والجماع»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٣) عن الحسن: «بقلبه وهواه، ولكن في القسمة»، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٨٨).

(٤) في (و): «التسوية والقسم».

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: ولو بالغْتُم في تحرِّي ذلك.

ابنُ عبّاسٍ: ولو حرصتم في الجماع[1].

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى[2] المحبوبةِ الشّابّةِ.

﴿فَتَذَرُوهَا﴾؛ أي: الأخرى ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كالمحبوسةِ بغيرِ حقٍّ[3].

وقيل: ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: لا أيِّمًا ولا ذاتَ بَعْلٍ[4].

﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ ما كنتم تُفسدونَ في أمورهنَّ، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصيةَ اللهِ فيهنَّ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما سلَفَ ﴿رَحِيمًا﴾.

* * *

(١٣٠ ـ ١٣١) ـ ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾: أغنى كلُّ واحدٍ عن الآخرِ ببَدَلٍ أو سُلُوٍّ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٩) بلفظ: «لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت».

(٢) في (و): «أي».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٨٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥١)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٧٤) عن قتادة، وذكر الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٩١) وابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٣٥) أن قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: (كالمسجونة).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٦٠١).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: هو واسعُ المقدور[(١)].

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنَّصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: ونُوصيكم ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ والمعنى: وصَّينا الجميعَ بالتَّقوى.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ يجوزُ أن يكونَ التَّقدير: وقلنا لهم: وإن تكفروا، ويجوز أن يكون ابتداءً.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادتِكم، فلا يضرُّه كفرُكم، حميدٌ على فعلِه لا ينقطِعُ حمدُه.

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: كِلُوا الأمورَ إليه.

وكرَّرَ قولَه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاثَ مرّاتٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ متَّصلٌ بقولِه: ﴿يُغْنِ اللَّهُ﴾؛ أي: هو واسعُ المقدور، والثّانيَ حكايةٌ عن توصيةِ أهلِ الكتاب، والثّالثَ استئنافُ إخبارٍ.

* * *

(١٣٣ ـ ١٣٤) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ أي: إنْ يشأ إذهابكم يُذهبْكم، ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: لـمّا نزلَت هذه الآيةُ[(٢)] ضربَ رسولُ الله

---

(١) «أي هو واسع المقدور» من (ن).

(٢) «الآية»: من (ن).

عليه السَّلام ظهرَ سلمانَ فقال: «هم قومُ هذا»[1]؛ يعني: عجمَ فارسٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾: قادرًا لا يعجزُه شيءٌ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: الغنيمةَ بجهادِه، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؛ أي: وثوابُ الآخرةِ فليطلبْه منه، وهذا جوابُ الشَّرط.

والآية وعيدٌ للمنافقين.

وقيل: حضٌّ على الجهاد.

* * *

(١٣٥) - ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ أسباطٌ عن السُّدِّيِّ قال: نزلَت في رسول الله عليه السَّلام، اختصمَ إليه غنيٌّ وفقيرٌ، وكان صَغْوُه[2] مع الفقير،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٦٤): «وفيه انقطاع؛ فإن الطبري لم يسمع من شيخه»، وروي نحو هذا الحديث في غير هذه الآية، فقد روى البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والمراد: كان ميله، وفي معناها: كان ضلعه، وقد وردت في بعض مصادر التخريج. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٣٠)، و«الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٢/ ٢٠٢).

يرى أنَّ الفقيرَ لا يظلمُ الغنيَّ، فأبى اللهُ إلَّا أنْ يقومَ بالقسطِ في الغنيِّ والفقير[١].

ومعنى ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾؛ أي: دومُوا واثبتوا.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ بالحقِّ.

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بأن تُقرُّوا عليكم، ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: وعلى آبائِكم وأمَّهاتِكم وأقاربِكم.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾؛ أي: إن يكن المشهودُ له أو عليه غنيًّا، فلا تميلوا لغناه، أو فقيرًا فلا ترحموه لفقرِه، ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: أرأفُ وأحقُّ بالنَّظرِ لهما.

وثنَّى لأنَّ المعنى: بالغنيِّ والفقيرِ.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ الزَّجّاجُ: لأن تعدلوا[٢].

وقيل: هو من العُدول؛ أي: كراهة أن تعدلوا.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾: تقلِبوا[٣] الشَّهادة، من (لويت يدَه).

مجاهدٌ وقتادةُ: تُحرِّفوا الشَّهادة[٤].

وقيل: تُدافعوا وتُماطلوا، من (لَيِّ الغريمِ).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٦) مختصرًا بلفظ: «نزلَت في النبي ﷺ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١١٨)، وفيه: «أي: لا تتبعوا الهوى، فتعدلوا»، ومراده: اتركوا اتباع الهوى، فتغدوا عادلين.

(٣) في (و): «تقبلوا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٠ ـ ٥٩٢) عن مجاهد وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٩) عن مجاهد.

﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن إقامتِها أصلًا.

ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: هو لَيُّ القاضي وإعراضُه عن أحدِ الخصمَينِ للآخر[١].

ومَن قرأ: ﴿تَلُوا﴾[٢] فمعناه: تُقبلوا عليه، فإنَّ ولايةَ الشَّيءِ إقبالٌ عليه.

وقيل: هُمِزَ ثم نُقِلَ[٣]، وفيه بُعدٌ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من العدلِ والميل[٤] ﴿خَبِيرًا﴾: عالمًا.

* * *

(١٣٦) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: الكلبيُّ[٥]: نزلَت في عبد الله بن سلامٍ وأسدٍ[٦] وأُسيدٍ ابني كعبٍ وثعلبةَ بنِ قيسٍ وجماعةٍ من مؤمني أهلِ الكتاب، قالوا: يا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٩٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة (تلوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها، وقرأ الباقون بإسكان اللام، وبعدها واوان؛ الأولى مضمومة والأخرى ساكنة. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٢).

(٣) قال الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٣١٩): «تَلُوا: أصلها تَلْوُوا، فأبدل من الواو المضمومة همزة، فصارت (تَلْؤُوا) بإسكان اللام، ثم طُرِحت الهمزة، وطُرِحت حركتها على اللام، فصارت (تَلُوا)، كما قيل في (أدْوُر): أدْؤُر».

(٤) «من العدل والميل» من (ن).

(٥) «الكلبي» من (ن).

(٦) «وأسد» من (ن).

رسولَ الله، أنؤمنُ بك وبكتابِك وبموسى والتَّوراةِ وعُزيرٍ، ونكفرُ بما سواه من الكتبِ والرُّسلِ؟ فأنزلَ الله هذه الآية[١].

وقيل: هو خطابٌ للمنافقين.

وقيل: للمؤمنين؛ أي: دُومُوا على الإيمان[٢].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ أي: القرآنِ على محمَّدٍ عليه السَّلام[٣].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: هو للجِنسِ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن المطلوبِ المقصود.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾:

قتادةُ: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ حين عبدُوا العجلَ، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى بعدَ عودِه، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [بعيسى][٤] ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام[٥].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١١٩) القولين الأخيرين، ورجَّح الأخير.

(٣) «أي: القرآن على محمد عليه السَّلام» من (ن).

(٤) ما بين معكوفتين من «النكت والعيون».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) و(٧/ ٥٩٦ـ٥٩٧).

مجاهـدٌ: هـم المنافقـون، آمنوا فـي الظّاهـرِ وكفروا في السِّـرِّ مرّةً بعـدَ أخرى، ﴿ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾: ماتوا عليه(١).

الحسنُ: هم اليهودُ، كانوا يشكِّكون المؤمنين بذلك؛ كقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢](٢).

وقيل: نزلَت فيمن ارتدَّ مرّاتٍ(٣).

عليٌّ رضي الله عنه: لا يُستتابُ المرتدُّ أكثرَ من ثلاثِ مرّاتٍ(٤).

غيرُه: يُستتابُ كلَّما ارتدَّ(٥).

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ لأنَّ الأمورَ بخواتيمِها، وخاتمةُ أمرِهم الكفرُ، وخصَّهم بالذِّكرِ تقبيحًا لفعلِهم، كما يُخَصُّ الشَّيءُ تفضيلًا.

﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾: لا يُوفِّقهم لطريقِ النَّجاة.

* * *

(١٣٨) ـ ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هذا على سبيلِ الاستهزاءِ بهم، وأنْ لا شيءَ لهم سواه(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٨٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٧) عن قتادة.

(٣) في (و): «ارتدت».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩١).

(٥) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧): «وهو قول الشافعي والجمهور».

(٦) في (و): «سواها».

وقيل: جاء على الأصل؛ فإنَّ أصلَه من تغيُّرِ البشرةِ[1].

ابنُ عيسى: دخل الباء ليكونَ فرقًا بين المُخبَرِ وبين المُخبَرِ به.

***

(١٣٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: يُظهرونَ الإيمانَ ثم يُوالون الكفّار.

وقيل: اليهود.

﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ أن يَتعزَّزوا بموالاتهم، وأنَّى لهم العزّةُ وقد ضُرِبَتْ عليهم الذِّلّةُ.

﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ولمن أعزَّه الله كالنَّبيِّ عليه السَّلام والمؤمنين، ولا اعتدادَ بعزّةِ[2] غيرِهم بالإضافةِ إليهم.

***

---

(١) فتغيُّر البشرة يكون بما يسرُّ وبما يسوء، ولذلك قيل في البشير: المُبشِّر بخير أو شرٍّ، وقيل: لا يستعمل في الشر إلا مقيّداً، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، ولا يكون عند إطلاقه إلا في الخير، وقيل: بَشَرَ بالتخفيف خاصّة في الخير، وبشَّرَ بالتثقيل عامّة في الخير والشَّرِّ. انظر: «العين» (٦/ ٢٥٩)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٤٩٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٠٠)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٥٩)، و«المطلع على ألفاظ المقنع» لشمس الدين البعلي (ص: ٤١٤).

(٢) في (ن): «العزة».

(١٤٠) - ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾.

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾: في القرآنِ ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ قيل: الخطابُ للمنافقين[1] الذين ذُكِروا في أوَّل الآية.

وقيل: هو استئنافُ كلامٍ، وخطابٌ للمؤمنين، ذكَّرهم به نهيَهم عن مجالستِهم بقولِه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ الآية [الأنعام: ٦٨]، وسورةُ الأنعامِ متقدِّمةٌ في النُّزول.

ودلَّتِ الآيةُ أنَّ خطابَ النَّبيِّ عليه السَّلام خطابُ الأمّةِ إلَّا ما خُصَّ به بدليلٍ.

والآيتان مُتطابقتان في المعنى وإن اختلفتا في اللَّفظ.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾؛ أي: أثمتُم كما أثموا.

وقيل: إن رضيتم بذلك وخُضتم، صرتم[2] كفَّارًا.

ووحَّدَ ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنَّ المعنى: عصيانُكم كعصيانِهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾؛ أي: اجتمعُوا في الكفرِ والاستهزاء، فجُمعُوا في عذاب النّار، ولأنَّ المنافقَ كافرٌ سرًّا والمشركُ كافرٌ جهرًا.

* * *

(١) في (و): «للمؤمنين».

(٢) في (و): «سرًّا».

(١٤١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾: يتوقَّعون وقوعَ أمرٍ بكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: نصرٌ وغنيمةٌ، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ فأشرِكُونا في الغنيمة والمال.

﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾؛ فإنَّ الحربَ سِجالٌ، ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكفّار: ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ الزَّجّاجُ: نستولي[1].

أبو عبيدةَ: نغلبْ، ومثلُه: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩][2].

وقيل: كنّا لكم على المؤمنين عيونًا؛ جمع العين، وهي الجاسوسُ[3].

و(استحاذَ) مِن (حاذَه يحوذُه حَوذًا)؛ إذا أحاطه، و(أحاذَ) أيضًا بمعناه، وشَذَّت هذه الكلمةُ، فجاءَت على الأصل[4].

﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأن نخذلَهم ولا ننصرَهم.

وقيل: نجعلكم في مَنَعةٍ من أن ينالَكم مكروهٌ من جهتِهم.

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٤١).

(٣) «جمع العين وهي الجاسوس» من (ن).

(٤) أي: (استحوذ) بالواو، مع أن القياس أن تنقلب الواو ألفاً، وهما لغتان. انظر: «العين» مادة: (ح وذ) (٣/ ٢٨٤).

عليٌّ رضي الله عنه: أي: في القيامة(١)، وأوَّلُ الآيةِ يدلُّ عليه.

وقيل: حجّةً وسلطانًا.

وقيل: بالنُّصرةِ والغلبة، فإنَّ الكافرين ـ وإن استولوا أحيانًا ـ فالعُقبى للمؤمنين.

***

(١٤٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أولياءَه، وهم المؤمنون، حتى(٢) شاركوهم في الغنائم وفي حقنِ الدَّمِ وإحرازِ الأموال.

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مُجازيهم على الخداع، وقد سبقَ.

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقلين لا يُريدون بها وجهَ الله.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالُوهم مؤمنين.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: التَّكبيرَ والتَّسليمَ في الصَّلاة.

قتادةُ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنَّه غيرُ مقبولٍ(٣).

وقيل: إذا حضرُوا مع الذّاكرين ذكروا.

ابنُ جريرٍ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لشيءٍ قليلٍ، وهو الدُّنيا(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) في (ن): «حين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٦).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٦١٣)، وفيه: «فلعل قائلاً أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟ قيل =

(١٤٣) ـ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: مُرَدَّدينَ، من (الذَّبذبة)، وهو: جعلُ الشَّيءِ مُضطربًا.

وقيل: مُتردِّدين.

وقيل: أصله: مُذبَّبين، من (الذَّبِّ)، وهو الطَّرْدُ، وهذا على أصلِ الكوفيِّين؛ أي: يُذبذِبُهم المؤمنون، فلا يقبلونهم لإبطانِهم الكفر، ويُذبذِبُهم الكافرون، فلا يقبلونهم لإظهارِهم الإيمان[١].

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بينَ الإيمانِ والكفر.

﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: لا يصيرون[٢] إلى المؤمنين بالكلِّيّة.

﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ولا يصيرون إلى الكفّار بالكلِّيّة[٣].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى التَّوفيق.

* * *

= له: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، إنما معناه: ولا يذكرون الله إلا ذكرَ رياءٍ؛ ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله مخلص له الربوبية، فلذلك سماه الله قليلًا؛ لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب إلى الله، ولا مراداً به ثواب الله وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نَصَبِ عاملِه وذاكرِه في معنى السراب؛ الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء».

(١) ظهر هذا الأصل كثيراً عند أبي بكر الأنباري، وذكر نحوه الهروي، وقال الزمخشري: إلا أن (الذبذبة) فيها تكرير ليس في (الذبِّ)؛ كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذُبَّ عنه. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٣٢٠)، و«الغريبين» للهروي (٢/ ٦٧٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٨٠).

(٢) في النسختين الخطيتين: «أي: لا يصيروا».

(٣) «أي: لا يصيرون إلى الكفار بالكلية» من (ن).

(١٤٤) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لا تَستعينوا بهم ولا تَستنصروهم.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: على عقابِكم.

﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجّةً ظاهرةً.

وقيل: تسلِّطون على أنفسِكم عذابَه.

***

(١٤٥) ـ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النّارُ دَرَكاتٌ، والجنّةُ دَرَجاتٌ، والمنافقُ في أسفلِها دركًا.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: في توابيتَ من حديدٍ(١).

وقيل: هو عبارةٌ عن التَّفاوت؛ أي: ليسوا بمتساوين.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يمنعُهم عن العذاب، ولا شفيعًا يشفعُ لهم.

***

(١٤٦) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النِّفاق.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٨).

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ نيَّاتِهم.

وقيل: أصلحُوا ما أفسدُوا.

﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: تمسَّكُوا بدينِه وسنّةِ نبيِّه.

﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾: أخلصُوا الطّاعةَ من شائبةِ الرِّياء.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: المخلِصين.

وقيل: مع المهاجرين والأنصار.

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: الجنّةَ ونعيمَها.

وقيل: المنافقُ شرٌّ من الكافرِ المصرِّح؛ لأنَّه ما اشترِطَ للكافرِ[1] ما اشتُرِطَ للمُنافِقِ من التَّوبةِ والإصلاحِ والاعتصامِ والإخلاص، ثم قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل: هم المؤمنون، ثم قال: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل[2]: نُؤتيهم جزاءَ المؤمنين؛ لانضمامِ المنافقين إليهم.

والقولُ هو الأوَّل.

* * *

(١٤٧) ـ ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ استفهامُ تقريرٍ ﴿إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾؛ أي: لا يُعذِّبُ المؤمنَ الشّاكر.

والشُّكرُ: الاعترافُ بالنِّعمةِ عن اعتقادٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾: يقبلُ اليسيرَ ويعطي الجزيل.

---

(١) في (ن): «لم يشترط للكفار».

(٢) «هم المؤمنون ثم قال: وسوف يؤت الله المؤمنين ولم يقل» من (ن).

(١٤٨) ـ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾:

مجاهدٌ: إنَّ رجلًا ضافَ قومًا فأساؤوا قِراه فاشتكاهم، فنزلَت هذه الآيةُ رخصةً في أن يشكوَ[١].

والمعنى على هذا القول: لا يرضى أن يجهرَ أحدٌ بالقولِ السَّيِّئِ ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾؛ أي[٢]: إلّا المظلوم، فيكون في محلِّ رفعٍ بإسناد المصدر إليه، وإن شئْتَ جعلته استثناءً منقطعًا، فيكون في محلِّ نصبٍ؛ أي: لكن المظلومُ له ذلك، وهو أن يَذكرَ مَن حرَمَه بالبخل، ويُخبِرَ بما فعَلَه.

قال قطرب: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ بأن أُكرِهَ على الجهرِ بالسُّوء[٣].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فله أن يشتمَ الظّالمَ ويدعوَ اللهَ عليه؛ ليمنعَه مِن ظُلمِه[٤].

وقيل: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فإنَّ الله ينصرُه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لكلامِ المظلومِ ﴿عَلِيمًا﴾ بالظّالم.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٨).

(٢) (﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾؛ أي) من (ن).

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٢٧)، وابن الملقن في «التوضيح» (١٥/ ٥٨٣) بلفظ: «يريد الـمُكرَهَ عليه؛ فإنه موضوع عنه وإن كفر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٠)، بلفظ: «لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، وإن صبر فهو خير له».

(١٤٩ ـ ١٥٠) ـ ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾: طاعةً وبرًّا ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾: مظلمةٍ؛ بتركِ المؤاخذةِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: يعفو مع قدرتِه عن كثيرٍ مِن خليقتِه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويجحدوا النُّبوّاتِ.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهودِ؛ كفروا بعيسى والإنجيلِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وكالنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ والقرآن.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين[1] الإيمانِ ببعضٍ والكفرِ ببعضٍ.

﴿سَبِيلًا﴾: دينًا.

***

(١٥١ ـ ١٥٢) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ فإنَّ مَن كفرَ بواحدٍ، فقد كفرَ بالجميع.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ، وُكِّدَ به الخبرُ؛ أي: أحقُّ حقًّا؛ استعظامًا لكفرهم، ولكي لا يتوهَّمَ أحدٌ أنَّ إيمانَهم ببعضٍ يُزيلُ عنهم اسمَ الكفر.

---

(١) في (و): «بين ذلك».

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ جملةً، ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في التَّفضيل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(١٥٣) - ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ نزلت في اليهودِ، قالوا: ائتنا بكتابٍ من السَّماءِ جملةً.

السُّدِّيُّ: يريدُ أن يكونَ مكتوبًا بخطٍّ غيرِ خطِّ آدميٍّ في ألواحٍ، كما كانَت التَّوراة(١).

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾؛ أي: آباؤُهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟﴾؛ أي: حينَ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ لأنَّها كانت مُحالًا في الدُّنيا.

و﴿جَهْرَةً﴾ صفةٌ للرُّؤيةِ أو القولِ، وقد سبقَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ وهي نارٌ جاءَت من السَّماءِ، فأهلكتهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾، ثم أحياهم، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أي: إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: التَّوراةُ والمعجزاتُ التِّسعُ، ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ تفضُّلًا منّا عليهم، ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجّةً واضحةً ظاهرةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٣)، ولفظ الطبري: «قالت اليهود: إن كنت صادقًا أنك رسول الله، فآتنا كتابًا مكتوبًا من السَّماء، كما جاء به موسى».

(١٥٤ ـ ١٥٥) ـ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ مضى بيانُه.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يريدُ: زمنَ داودَ عليه السَّلام.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: مُبالغًا في الإحكامِ في شأنِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: بسببِ نقضِهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾: هو كتمانُهم أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلام. و(ما) زائدةٌ متَّصلةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: لَعَنَّاهم[1].

الزَّجّاجُ: متَّصلٌ بقولِه: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾، قال: والباءُ في ﴿بِظُلْمٍ﴾ بدلٌ من الباءِ في ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[2].

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي القرآنُ، وقيل: تركُهم العملَ بما في كتابِهم.

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ يحيى وزكريّا عليهما السَّلام وغيرَهما.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعيةٌ للعلم، جمعُ (غلافٍ) ثم سُكِّن، أو جَمْعُ (أغلفَ)؛ كقولِه: ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥].

﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾: استوثقَ منها ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

وقيل: إلّا إيمانًا قليلًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١)، وعدَّه من العجائب، وهو مستند إلى آية أخرى جاء مصرحًا بالفعل فيها، وهي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٧).

(١٥٦ ـ ١٥٧) ـ ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ كُرِّر تبكيتًا لهم.

وقيل: وبكفرِهم بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ حين قذفوها بالزِّنى.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾؛ أي: رسولَ الله بزعمِه، ويحتملُ أن يكونَ استئنافًا؛ أي: أعني رسولَ الله.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ جاء في التَّفسير: أنَّ اليهودَ ثارُوا عليه ليقتلوه، فبعث اللهُ جبريلَ عليه السَّلام، فأدخلَه[1] خوخةً فيها رَوزَنةٌ[2] في سقفِها، فرفعَه الله إلى السَّماءِ من تلك الرَّوزنةِ، فأمرَ يهوذا ـ رأسُ اليهود ـ رجلًا من أصحابِه اسمُه طَطْيَانُوسُ أن يدخلَ الخوخةَ فيقتلَه، ولـمّا دخلَ ططيانوسُ لم يرَ عيسى، فألقى الله عليه شَبَهَ عيسى، فلـمّا خرجَ ظنُّوا أنَّه عيسى فقتلوه وصلبوه.

وقيل: حضرَ هو والحواريّون وجماعةٌ ممّن آمنَ بالله، فأُلقِيَ شَبَهُ عيسى على الجميعِ، فصلبوا واحدًا، وفقدوا واحدًا، ثم اختلفوا في المصلوبِ والمفقودِ أيُّهما هو.

وقيل: إنَّه قال لأصحابِه: إنَّ الله يرفعُني إلى السَّماء، فأيُّكم يرغبُ في أن يُلقِيَ اللهُ عليه شبهي فيُقتَلَ مكاني وله الجنّة، فأجابَه رجلٌ منهم إلى ذلك مُختارًا، فأُخِذَ وقُتِلَ.

---

(١) في (ن): «فدخل».

(٢) الروزنة: الكوة، وهي معربة. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة (ر ز ن) (٥/ ٢١٢٣).

وقيل: أُلقِيَ الشَّبَهُ على الوجهِ فحسبُ، وقالوا: الوجهُ وجهُ عيسى، والجسدُ جسدُ غيرِه.

وقيل: توارى في بيتِ بعضِ الحواريّين، وكان في أصحابِه رجلٌ ينافقُه[1]، فخرجَ ليدلَّ النّاسَ عليه، فألقى اللهُ عليه شَبَهَ عيسى، فأخذوه وصلبوه.

وقيل: لمّا رفعَه اللهُ إلى السَّماءِ خافَ رؤساءُ اليهودِ أن يعلمَ العامّة برفعِه إلى السَّماءِ فيُفتَنوا بذلك، فأخذوا رجلًا وصلبوه، ولم يُمكِّنُوا من قُربِه أحدًا، وقالوا للعوامِّ: إنَّه عيسى، وقد صلبناه.

وقيل: لم يكونوا يعرفونَه بوجهِه، فلـمّا رُفِعَ[2] عيسى، ظفروا برجلٍ من أصحابِه، فقتلوه[3] ظنًّا منهم أنَّه عيسى.

وقيـل: إنَّ اليهـودَ وكَّلُـوا بعيسـى رجـلًا يكـونُ رقيبًـا عليـه، يـدورُ معـه حيثما دار، فصعِـدَ عيسـى عليـه السَّـلام الجبـلَ، فجـاءَ الملَـكُ فأخـذَ بضَبْعَيْـهِ فرفعَه إلى السَّـماء، فألقـى الله علـى الرَّقيبِ شَـبَهَ عيسـى، فلـمّا رأتْهُ اليهـودُ ظنُّوا أنَّه عيسـى، فقتلـوه وصلبوه.

---

(١) أي: يداهنه ويدلِّس عليه، والأكثر في الفعل (نافق) أن يكون لازماً، وإنما يتعدى بالحرف، وهو الذي ذكرته المعاجم العربية، لكنه استخدم متعدياً في كلام العلماء والعامة، واستدركه المستشرق دوزي على المعاجم العربية، وقد ذُكِرَ في قول طرفة:

وأمـا رجـال نافقـوا في إخائهـم ... ولسـت إذا أحببـت حـرّاً أنافقـه

انظر: «ديوان طرفة بن العبد» شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (ص: ١٧٤)، و«تكملة المعاجم العربية» للمستشرق دوزي مادة (ن ف ق) (١٠/ ٢٧٨).

(٢) في (و): «رجع».

(٣) «فقتلوه» من (ن).

وهبٌ: أوحى الله إلى عيسى على رأسِ ثلاثينَ سنةً، ثم رفعَه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وكانَت نبوَّتُه ثلاثَ سنين[١].

وقيل: ولكن شُبِّهَ الخبرُ بقتلِه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، واختارَه ابنُ بحرٍ[٢].

وقولُ الجمهورِ أولى بالأخذ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾؛ أي: في قتلِه وصلبِه، أو رفعِه إلى السَّماء.

وقيل: اختلفُوا في أنَّه إلـهٌ، أو ابنُ الله، أو نفسُ الله، أو عبدٌ رسولٌ[٣]، أو ساحرٌ كذّابٌ.

﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ لكن يتَّبعونَ ظنًّا لا يُؤدِّي إلى يقينٍ، والاستثناءُ منقطعٌ.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الهاءُ تعودُ إلى العِلم[٤]. تقولُ العربُ: قتلتُ الشَّيءَ عِلمًا؛ إذا استقصى النَّظرَ فيه حتّى علمَ علمًا تامًّا[٥]، وأُنشِدَ في ذلك:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٦٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) بلفظ: «لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر ـ وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر ـ أن اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أمرت به، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١) دون نسبة، واستغربه.

(٣) في (ن): «أو عبد الله ورسوله».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١١)، بلفظ: «لم يقتلوا ظنهم يقينًا».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٤)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩٨)، وقال النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣٤): «قال أبو عبيد: ولو كان المعنى: وما قتلوا عيسى يقيناً، لقال: وما قتلوه، فقط»، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١)، واستغربه.

كَـذاكَ تُخْبِرُ عنها العالِمـاتُ بها وقـد قَتَلْتُ بِعِلْمِي ذَاكُـمُ يَقَنا[١]

وقيل: يعودُ إلى عيسى عليه السَّلام.

﴿يَقِينَۢا﴾ توكيدٌ للخبرِ؛ أي: ما قتلُوه حقًّا.

ورُوِيَ عن ابنِ الأنباريِّ: ﴿يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ فجعلَه متِّصلًا بما بعدَه[٢].

* * *

(١٥٨) ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾: أبطلَ به ما تقدَّمَ من القتلِ والصَّلب.

وقولُه: ﴿إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى السَّماءِ ومحلِّ الكرامة[٣].

وقيل: إلى مكانٍ لا يجري لأحدٍ فيه حُكمٌ سوى الله.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في انتقامِه من اليهودِ.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّرَ لعيسى عليه السَّلام.

* * *

---

(١) البيت للمقنع الكندي كما في «تفسير الثعلبي» (١١/ ٧٠).

(٢) ذكر هذا ابن الأنباري نقلًا عن بعض المفسرين، فقال: «قال: ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ وقف تام، ثم ابتدأ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾، فهذا على معنيين: إن نصبت ﴿يَقِينَۢا﴾ بـ ﴿رَّفَعَهُ﴾ كان خطأ؛ لأن (بل) أداة لا ينصب ما بعدها ما قبلها، وإن نصبت ﴿يَقِينَۢا﴾ بجواب لقسم محذوف كأنه قال: يقينًا لنرفعنه، فحذف الجواب واكتفى منه بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ كان هذا وجهًا جائزًا، فالهاء على مذهب هذا المفسِّر تعود على عيسى ابن مريم، والأظهر في الهاء عند المفسرين والنحويين أن تكون تعود على (الظن)، كأنه قال: وما قتلوا ظنهم يقينًا». انظر: «الوقف والابتداء» لابن الأنباري (٢/ ٦٠٤)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٥١٩).

(٣) في السَّماء الثانية، كما جاء مصرَّحًا به في حديث المعراج الذي رواه البخاري (٣٤٣٠) ومسلم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه.

(١٥٩) ـ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾؛ أي: وما مِن أهلِ الكتابِ أحدٌ إلّا ليُؤمِننَّ بعيسى.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ حينَ يرى البأسَ، فلا ينفعُه إيمانُه.

وقيل: كلاهما يعودُ إلى عيسى، وذلك بعدَ نزولِه من السَّماءِ، فيؤمنُ به أهلُ المللِ جميعًا.

وقيل: الأوَّلُ يعودُ إلى محمَّدٍ عليه السَّلام، والثّاني إلى الكتابيِّ.

وقيل: الأوَّلُ إلى الله سبحانه، والثّاني إلى الكتابيِّ.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ أنَّه بلَّغَ الرِّسالة.

* * *

(١٦٠ ـ ١٦١) ـ ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾؛ أي: بسببِ ظلمِهم الذي تقدَّمَ وغيرِه ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾، والباءُ متَّصلٌ بـ﴿حَرَّمْنَا ﴾.

﴿طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ يريدُ قولَه: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا... ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾؛ أي: وبمنعِهم النّاسَ عن الإيمانِ بتحريفِهم وتغييرِهم ما في كتبِهم.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كان الرِّبا محرَّمًا عليهم كما حُرِّم علينا، وكانوا يتعاطونه ﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾؛ أي: عن الرِّبا.

﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرُّشوةِ وسائرِ الوجوهِ المحرَّمةِ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ دونَ مَن تابَ وآمنَ[1].

***

(١٦٢) ـ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: الثّابتونَ في العلم.

والرّاسخُ في العلم: مَن قتَلَ الشَّيءَ[2] عِلمًا وتحقَّقَه.

﴿مِنْهُمْ﴾ من أهلِ الكتابِ؛ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قيل: من أهلِ الكتابِ أيضًا؛ أي: عامَّتُهم.

وقيل: ﴿المؤمنون﴾: المهاجرون والأنصارُ ومَن تابعَهم بإحسانٍ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآنِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: سائرِ الكتب.

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: الذين يُديمونَها.

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

تكلَّمُوا في ﴿المقيمين﴾؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه غلطٌ من الكاتب[3]، وهذا

---

(١) في (و): «وأعمل».

(٢) في (و): «علمَ» بدل «قتل الشيء».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨٠) عن أبان بن عثمان، وعائشة رضي الله عنها، وذكره الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٢)، وعدَّه من العجائب.

القائلُ بالغلطِ أولى[١] من كتابِ اللهِ الذي لا يَأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفِه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ محلَّه جرٌّ عطفًا على الكافِ في ﴿قَبْلِكَ﴾[٢]، وهذا ممتنعٌ عندَ البصريِّين.

وقيل: عطفٌ على ﴿ما﴾؛ أي: يؤمنون بالقرآن وبسائر الكتب وبالمقيمين الصَّلاة، والمراد بهم: المؤمنون؛ كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] [التوبة: ٦١].

وقيل: نصبٌ على المدح؛ لأنَّ العربَ إذا أرادَت المبالغةَ في المدحِ أو الذَّمِّ قطعَتْه عن إعرابِ الأوَّلِ إلى الرَّفعِ أو النَّصب[٤].

وهذا فيمن جعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الخبرَ، فأمّا مَن جعلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ الخبرَ، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ حالًا، فمحلُّه جرٌّ على ما سبقَ، ولا يجوزُ النَّصبُ على المدح؛ لأنَّ ذلك إنَّما يكونُ بعدَ تمامِ الكلام.

---

(١) أي: هذا القائل هو الذي تليق به نسبة الغلط، لا كتاب الله، فاللفظ يدل على الاشتراك، لكنَّه غير مقصود، وكثيراً ما يخرج اسم التفضيل إلى معنى الصفة المشبهة.

(٢) أي: قبلك وقبلَ المقيمين الصلاة، وقد ذكر المصنف أنه هذا قول الكوفيين في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٢)، واستغربه.

(٣) في (و): «بالمؤمنين».

(٤) قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨٠): «الكلام لما تطاول واعترض بين (الراسخين في العلم) و(المقيمين الصَّلاة) ما اعترض من الكلام فطال، نصب (المقيمين) على وجه المدح، قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته؛ إذا تطاولت بمدح أو ذم خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه، وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب»، وقد ذكر النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٤٩) ستة أوجه لنصب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ونقل كلام سيبويه أنه نصب على التعظيم، وقال: «وهذا أصح ما قيل».

(١٦٣) - ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ وغيرِهم ممَّن ذُكِرَ في القرآن أو لم يُذْكَر.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: أولادِ يعقوبَ عليه السَّلام.

﴿وَعِيسَىٰ﴾: هو عيسى ابن مريم؛ لأنَّه لم يُسمَّ به قبلَه نبيًّا، وقدَّمَه في الذِّكرِ إنكارًا على اليهود، ولأنَّ الواوَ لا تُوجِبُ ترتيبًا.

﴿وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾: اسمُ كتابِه المنزَّلِ عليه زَبورٌ، وزُبورٌ بالضَّمِّ جمعٌ، كـ(تَخومٍ) و(تُخومٍ)[1]، و(أَرومٍ) و(أُرومٍ)، والأحسنُ أن يُقالَ: (زَبورٌ) واحدٌ، و(زُبورٌ) جمعُ زُبُرٍ.

وخُصَّ هؤلاء[2] بالذِّكرِ مع اشتمالِ لفظِ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عليه تخصيصًا.

***

(١٦٤ - ١٦٥) - ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾.

---

(١) هي: حدود الأرض. انظر: «الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٤٦)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٢٩)، وفي (و): «كنجوم ونجوم».

(٢) «هؤلاء» من (ن).

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ تتبَّعنا أحوالَهم فأوردناها عليك من قبلِ هذه السُّورةِ أو قبلَ هذا اليوم.

﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ اكتفاءً عن البعضِ بالبعض[1].

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ﴾ من غيرِ واسطةٍ ﴿تَكْلِيمًا﴾، قيَّدَ بالمصدرِ قطعًا للمجاز.

﴿رُّسُلًا﴾: بدلٌ[2] عن الأوَّل، وإن شئْتَ حملتَه على الكلِّ.

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ لمن أطاعَ الله وأنبياءَه ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لمن عصوهم.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أُرسِلُوا لئلَّا يكونَ ﴿عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ من قولِه حكايةً: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤].

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

***

(١٦٦) - ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ قال الكلبيُّ: إنَّ رؤساءَ أهلِ مكّةَ أَتوا رسولَ الله عليه السَّلام فقالوا: سألنا عنك اليهودَ، فزعمُوا أنَّهم لا يعرفونَك، فأتنا بمَن يشهدُ أنَّك نبيُّه، وأنَّه بعثَكَ إلينا رسولًا، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

---

(١) في (و): «اكتفاء بالبعض عن البعض».

(٢) في (و): «بدلًا».

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٧) عن الكلبي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٥٨) والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «دخل على رسول الله ﷺ جماعةٌ من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾».

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ أنَّك نبيُّه ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ المعجِزِ الذي لا يأتونَ بمثلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا؛ يعني: القرآن[1]، فهو شهادةٌ لصدقِكَ، ومعجزةٌ لنُبوَّتِك.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾: بسببِ علمِه فيك، وأنَّك أهلٌ لذلك تقومُ بحقوقِه.

الزَّجّاجُ: أنزلَه مُتضمِّنًا للعلومِ والأحكام[2].

الدِّمياطيُّ: ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾ وحيًا يُنطَقُ.

والباءُ للحالِ؛ أي: أنزلَه وفيه علمُه[3].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لك بالنُّبوّةِ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

* * *

(١٦٧ ـ ١٦٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: اليهودَ، ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بقولِهم: لا نعرفُ صحّةَ نبوّةِ محمَّدٍ، ولا نجدُه في كتابنا ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: هم الكفرةُ ﴿وَظَلَمُوا۟﴾؛ أي: محمّدًا بإنكارِ نبوَّتِه وقولِهم فيه: إنَّه ساحرٌ كاهنٌ.

---

(١) «يعني القرآن» من (ن).

(٢) هذا معنى قوله، ففي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٤): «ومعنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: أنزل القرآن الذي فيه علمه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٤١)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٦٠).

وقيل: هم اليهودُ أيضًا، ومعنى ﴿ظلموا﴾: أقامُوا على الجحودِ حسدًا للعربِ وبَغيًا.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾؛ أي: والذين ظلموا[1].

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: في جهنَّمَ[2] ﴿أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: سهلًا هيِّنًا.

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بالدِّينِ والإسلامِ والشَّرع.

وقيل: حالٌ؛ أي: جاءَكم محقًّا.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم.

وقيل: حالٌ من المصدر؛ أي: آمنوا الإيمانَ خيرًا لكم.

وقيل: وأتوا خيرًا لكم، وهذا مذهبُ سيبويه[3].

وقول مَن قال: (ليكونَ الإيمانُ خيرًا لكم)[4] بعيدٌ؛ لا يجوزُ عند البصريِّين: (زيدًا المقتولَ)؛ أي: كنْ.

---

(١) فالذين ظلموا غير الذين كفروا على هذا القول، والذين ظلموا هم الكفار أو اليهود في القولين السابقين.

(٢) «في جهنم» من (ن).

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٢). ١٥٣٧

(٤) أي: (خيراً) منتصب بفعل ناقص مقدَّر، وهذا قول الكسائي وأبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٤٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٦)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ١٨١)، و«الهداية» لمكي (٢/ ١٥٣٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ١٦٠).

﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فلا يضرُّه كفرُكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

***

(١٧١) ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم[1] النَّصارى خاصّةً، وقيل: اليهودُ والنَّصارى.

﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾: لا تجاوزُوا الحدَّ، والغُلُوُّ: مجاوزةُ الحدِّ إلى الباطل، وغلوُّ اليهود نسبتُه إلى غيرِ رِشدةٍ[2] وأمِّه[3] إلى الزِّنى، وغلوُّ النَّصارى دعواهم أنَّه إلهٌ، وأنَّه ابنُ الله.

﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: لا تنسبُوه وأمَّه إليه؛ صاحبةً وولدًا[4].

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ سبقَ ذكرُه.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: بنفخةِ جبريلَ كانَ.

وقيل: روحٌ كسائرِ الأرواحِ، نسبَه إليه تعظيمًا له.

---

(١) في (و): «هو».

(٢) الرِّشدةُ: النِّكاحُ الصَّحيح، وهي ضدُّ الغيّة والخِبثة والزِّنية، وغير الرِّشدة: الزِّنى. انظر: «لسان العرب» مادة (ر ش د) (٣/ ١٧٦).

(٣) كلمة (أمه) معطوفة على الضمير في (نسبتُه)، وفيه خلاف تقدم الكلام عليه. انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٤) يعني: لا تنسبوا عيسى إلى الله تعالى ولدًا، ولا تنسبوا أمَّه إليه تعالى صاحبةً.

وقيل: الرُّوحُ جبريلُ عليه السَّلام، وهو عطفٌ على[١] ضميرِ الفاعلِ في قوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾، وفيه بُعدٌ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾؛ أي: لا تقولوا بالأقانيم[٢] كما قالَتِ النَّصارى: الله ثلاثةٌ؛ فأُقنومُ الأبُ، وهو اللهُ سبحانه، وأُقنومُ الابنُ، وهو عيسى، وأُقنومُ الرُّوحُ، وهو جبريلُ عليه السَّلام.

الزَّجّاجُ: آلهتنا ثلاثة[٣].

﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن القولِ بالثَّلاثة، والانتهاءُ: الامتناعُ من النَّفاذِ لمانعٍ.

﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فيه الأوجهُ الثَّلاثةُ[٤]؛ أي: انتهاءً خيرًا، فيكون وصفًا لمصدرٍ منكَّرٍ[٥]، أو انتهوا الانتهاءَ خيرًا لكم، فيكون حالًا عن المصدر، سيبويه: وأتوا خيرًا لكم[٦].

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ تنزيهًا عن أن يكونَ له ولدٌ كما زعمَ النَّصارى.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا ومُلكًا.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ لا حاجةَ إلى مُعِينٍ[٧].

وقيل: مَن توكَّلَ عليه كفاه.

---

(١) في (و): «على قوله».

(٢) الأقانيم: جمع أُقنوم، ومعناه: الأصل، ورأى الجوهري أنها رومية معربة. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة (ق ن م) (٥/ ٢٠١٦)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٩٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٥).

(٤) أي: التي تقدَّمت في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

(٥) في (ن): «نكرة».

(٦) انظر: «الكتاب» (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٧) وعلى هذا يكون معنى وكيلًا: كافياً. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ١٤٥).

(١٧٢ ـ ١٧٣) ـ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الكلبيُّ: إنَّ وفدَ نجرانَ قالوا: يا محمَّدُ، لِمَ تعيبُ صاحبَنا؟ قال: «ومن صاحبُكم؟» قالوا: عيسى، قال: «وأيُّ شيءٍ أقولُ؟» قالوا: تقول: إنَّه عبدُ الله ورسوله، فقال: «إنّه ليسَ بعيبٍ لعيسى أن يكونَ عبدًا لله»، قالوا: بلى، فأنزلَ الله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[1]؛ أي: لم يترفَّعْ ولم يمتنعْ من عبوديّةِ الله.

وأصلُ الكلمةِ من (نكفَ الدَّمعَ)؛ إذا مسحَه عن خدِّه بأصبعِه أنفةً من أن يُرى أثرُ البكاءِ عليه، ودرهمٌ منكوفٌ: بهرجٌ رديءٌ[2].

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من رحمتِه ومحلِّ كرامتِه.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ الـمَلكَ أفضلُ من الإنسِ بهذه الآية، وقالوا: هو كما تقولُ: لا يعرفُ هذا زيدٌ ولا شيخُه، فقد فضَّلْتَ الشَّيخَ عليه.

الجوابُ عنه من وجهين:

أحدُهما: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ بكثرتِهم.

الوجهُ الثّاني: أنّهم عُبِدُوا كما عُبِدَ المسيحُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٧) عن الكلبي، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٢) عنه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «العين» مادة (ن ك ف) (٥/ ٣٨٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (٤/ ٢٣٩).

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: يترفَّعْ ويمتنعْ، ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: فيجازيهم على فعلِهم.

ثم فصَّلَ فقالَ:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

* * *

(١٧٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: النَّبيَّ عليه السَّلام.

وقيل: القرآن.

والبرهانُ: الشّاهدُ الحقُّ في نفسِه ودلالتِه[1].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يعني: القرآنَ؛ لأنَّه يهدي إلى الحقِّ ويوضِّحُه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ قيل: بالقرآنِ.

وقيل: بالله تبارك وتعالى.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ﴾: يُوفِّقُهم ويُرشدُهم.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله، وقيل: إلى الرَّحمة والفَضْل.

---

(١) «ودلالته» من (ن).

﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ يجوزُ أن يكونَ مفعولًا به؛ أي: يعرِّفُهم صراطًا مستقيمًا[١]، وقيل: حالٌ.

***

(١٧٦) ـ ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: اشتكيْتُ فدخلَ عليَّ رسولُ الله عليه السَّلام وعندي سبعُ أخواتٍ، فنفخَ في وجهي، فأفقْتُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أُوصي لأخواتي بالثُّلثين؟ قال: «احبِسْ»، فقلت: الشَّطر؟ قال: «احبِسْ»[٢]، ثم خرجَ وتركَني قال: ثم دخلَ عليَّ فقال: «يا جابرُ، إنِّي لا أراكَ تموتُ في مرضِك هذا، إنَّ اللهَ قد أنزلَ فبيَّنَ الذي لأخواتِك، جعلَ لأخواتِك[٣] الثُّلثين»، فكان جابرٌ يقول: نزلَت هذه الآيةُ فيَّ[٤].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ سبقَ بيانُها.

---

(١) «مستقيمًا» من (ن).

(٢) «فقلت: الشطر، قال: احبس» من (ن).

(٣) «جعل لإخواتك» من (ن).

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (٢٨٨٧)، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٨) بهذا اللفظ، وهو في «سنن ابي داود»: «أحسن»، والصحيح في حديث جابر ما رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (١٦١٦) وأبو داود (٢٨٨٦)، وأن النبي ﷺ لم يجبه حتى نزلت الآية.

﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾: مـاتَ ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾؛ أي: ليـس لـه ولـدٌ ولا والـدٌ، ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ أي: مـن الأبِ والأمِّ، أو مـن الأبِ[١]، ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ الميـتُ.

﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الأخُ ﴿يَرِثُهَآ﴾: يرثُ الأختَ جميعَ مالِها ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ولا والدٌ، وقد ترثُ الأختُ[٢] مع البنتِ النِّصفَ بالتَّعصيب، وليس ذلك بالنِّصفِ المذكور في الآية، إنَّما هو الباقي بدليلِ البنتين.

﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ يعني: وإنْ كانَت الأختان اثنتين.

المازنيُّ: أفادَ العددَ مجرَّدًا من الصِّغرِ والكبر[٣].

والكلالةُ دلَّت على الإخوةِ والأخواتِ، فجازَ الكنايةُ عنهما[٤].

﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾؛ أي: كراهةَ أن تضلُّوا.

وقيل: أن لا تَضلُّوا.

---

(١) في (و): «من أبٍ وأمٍّ، أو أبٍ».

(٢) في (و): «يرث الأخ».

(٣) كان العرب لا يورثون الصغار ولا النساء، فلما جاء الخبر (اثنتين) بلا تفصيل دلَّ على دخول الصغيرة والكبيرة في الميراث على السواء، وقول المازني ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٣١٤)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٢/ ١٥٤٥) بعبارة أوضح فقال: «وقال المازني: فائدة الخبر هنا أنَّه لما قال: ﴿كَانَتَا﴾، كان يجوز أن يكون الخبر: صغيرين، أو كبيرين، فلما قال: ﴿اثْنَتَيْنِ﴾، اشتمل على الصغير والكبير».

(٤) في (و): «عنها»، والمراد: جاز ذكر الإخوة والأخوات بضمير واحد لأن لفظ (الكلالة) دلَّ عليهم، والظاهر أن هذا عن الإضمار في (كانوا)، والله أعلم.

وقيل: يبيِّنُ الله لكم الأحكامَ كراهةَ أن تَجهلُوها[١].

وقيل: يُبيِّنُ الله لكم الضَّلالَ فلا تَضلُّوا؛ كقولِه: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦][٢].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلمُ مصالحَ العبادِ في المبدأِ والمعادِ، والله أعلم.

* * *

(١) في (ن): «كراهةَ أن تَجهلُوا ولئلا تجهلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٣١٤)، واستغربه.